البحث الاجتماعى

(المناهج - الطرق - الأدوات)

إعداد

دكتور/ ناجى بدر إبراهيم

أستاذ علم الاجتماع المساعد

كلية الآداب - جامعة دمنهور



{ وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً }

صدق الله العظيم

سورة النساء الآية ١١٣

مقدمة الكتاب

يزخر تراث علم الاجتماع بالعديد من المؤلفات التى إهتمت بالمناهج فى محاولة للتعريف بها وتصنيفها وتوضيح حدود وأبعاد إستخدامها فى البحوث الاجتماعية، وبصرف النظر عن التوجهات الايديولوجية التى ينتمى إليها من تصدو للمشاكل المنهجية، أو بمعنى أدق إشكالية المنهج، إلا أنهم اتفقوا على أن المنهج العلمى منهج واحد، ولكن يتم تطويع هذا المنهج ليتلاءم وطبيعة الظواهر والمواقف والمشكلات موضوع البحث خاصة فى العلوم الاجتماعية ومنها علم الاجتماع.

وفى هذا الإطار نحاول أن نضع بين يدى الطالب أسس ومبادئ البحث الاجتماعى من خلال التعريف بمعنى المنهج والبحث وخصائص عملية البحث الاجتماعى، ومن ثم ننطلق إلى التعريف بأنواع المناهج والطرق والأدوات التى يمكن الاستعانة بها فى إجراء البحوث الاجتماعية.

حيث تم تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسية يسبقهم فصل تمهيدى يتناول المفاهيم الأساسية فى مناهج البحث العلمى الاجتماعى.

أما الباب الأول فقد خصص لتناول مناهج البحث الاجتماعى، وتضمن ثلاثة فصول هى: الفصل الأول: المنهج التاريخى، والفصل الثانى: المنهج التجريبى، والفصل الثالث: المنهج المقارن.

وجاء الباب الثانى ليعرض موضوع طرق البحث الاجتماعى، من خلال خمسة فصول هى: الفصل الرابع: المسح الاجتماعى، والخامس: دراسة الحالة، والسادس: تحليل المضمون، والسابع: الطريقة الإسقاطية، والثامن: الطريقة السوسيومترية.

وأخيراً الباب الثالث وقد خصص لتناول أدوات جمع البيانات من خلال ثلاثة فصول هى: الفصل التاسع: المقابلة، الفصل العاشر: الاستبيان، وأخيراً الفصل الحادى عشر: الملاحظة.

والله من وراء القصد.

دكتور/ ناجى بدر

سبتمبر ٢٠١٢.

فصل تمهيدى

البحث العلمى الاجتماعى " المفاهيم الأساسية "

تمهيد

أولاً : مفهـــــــوم العلــــم.

ثانياً : مفهـــــوم المعرفـة العلمية وأنواعها.

ثالثاً : مفهـــــــوم المنهـــج.

رابعاً : مفهـــــــوم البحث العلمى.

خامساً : مفهوم البحث الاجتماعى وأهم خصائصه.

تمهيد.

إن تعريف المفاهيم معناه تحديد عناصر المفهوم تحديداً كاملاً، ومثل هذا التحديد هو الذى يجعل عملية الاتصال بين المتخصصين فى العلم يسيرة، ومن ثم فنحن عندما نصوغ قضية ما نستعين بالمفاهيم بوصفها رموزاً لما ندرسه من وقائع لذا فسوف نطرح فى هذا الفصل عدد من المفاهيم التى تشكل اللبنة الأساسية فى تناول موضوع البحث العلمى الاجتماعى. وتترابط تلك المفاهيم ترابطاً عضوياً بنائياً بحيث يتعين تصور أى جزء منفصل عن الآخر، فكل منها تشكل حلقة معرفية معينة وإن إختلفت مواقع كل حلقة منها فى سلم عملية التأمل والإستغراق العقلى للإنسان فى عالمه المحيط به.

ولسوف نقف فى هذا الفصل على ابرز المفاهيم وأكثرها شيوعاً وإستخداماً فى موضوع البحث العلمى الاجتماعى، وذلك على سبيل العرض لا الحصر، وتتلخص هذه المفاهيم فيما يلى:

أولاً: مفهوم العلم.

يشير مصطلح العلم إلى بعدين أساسيين مترابطين هما:

١. العلم بإعتباره هيكلاً منظماً من المعرفة يستند إلى مشاهدات ثابته وينتظم فى نسق من القضايا والنظريات.
٢. العلم بإعتباره منهجاً يؤدى إلى إكتساب المعرفة العلمية عن طريق توظيف مجموعة من الطرق والعمليات البحثية.

وإذا كان العلم ينظر إليه بإعتباره هيكلاً منظماً من المعرفة، وبالتالى يبدو بإعتباره حالة قائمة تتبدى فى مجموعة من القضايا والنظريات التى تشكل نسيج كل علم، فإنه يعد فى الواقع مجموعة من العمليات، وهو نتاج لهذه العمليات مما يكسبه طابعه الخاص الذى يختلف به عن الطابع الذى تتسم به فروع المعرفة الاخرى كالادب، والفن، والدين..الخ[1].

وقد إرتبط مفهوم العلم بإعتباره منهجاً يؤدى إلى إكتساب المعرفة العلمية بعدد من المدركات المحسوسة والملموسة وهى:

أ- البحث عن الحقائق.

ب- جمع بيانات ومشاهدات ومحاولة التوصل إلى العلاقات التى تربط فيما بينها للتنبؤ بسلوك الأشياء فى ظل ظروف معينة.

ج- أسلوب أو طريقة أو منهج يتبع للتعرف على الأشياء او حل المشاكل.

ويتضح من تلك المدركات أو الأبعاد أن العلم يعرف بأنه معارف منظمة أو مجموعة من المعارف والمفاهيم التى أمكن التوصل إليها والتحقق من مدى صحتها عن طريق أسلوب بحثى مقنن، وعليه ترتبط المعارف والمفاهيم إتبراطاً كبيراً بالأسلوب أو الطريقة التى وظفت أو طبقت فى التوصل إليها[٢].

ويترتب على ذلك بروز الأهمية القصوى للأسلوب او الطريقة البحثية التى تتبع فى الحصول على المعارف. وقد أختلط مفهوم المنهج بمفهوم الطريقة لدى بعض الباحثين، ومن ثم نجد "فؤاد مرسى" فى دراسته حول المنهج بين الوحدة والتعدد، رؤية تحليلية يساوى بين المنهج والأسلوب حيث ذهب إلى أن العلم مقوماته ثلاثة هى:

- الموضوع.
- المنهج (الطريقة أو الأسلوب).
- الإنسان (الباحث القائم بإستخدام الطريقة).

وأعتبر المنهج بمثابة مجموعة القواعد أو الأسس التى يلتزم بها كل باحث فى مجال تخصصه أو علمه، ومن ثم تتعدد الطرق البحثية بتعدد موضوع العلم الذى يهتم به[٣].

ويستخلص "فؤاد مرسى" مما تقدم أن العلم أياً كان موضوعه نظام للمعرفة لا ينفصل عن النظام الاجتماعى الذى يتطور بداخله، ومن ثم فإن الحقيقة العلمية ليست حقيقة مطلقة على الإطلاق، إذ هى تقوم فى الواقع على إفتراضات متغيرة ومعلومات متجددة، كما أن أساليب وطرق البحث التى توظفها مهما بلغت دقتها فهى محدودة القدرات معرضة للنقص والنسبية والتحيز(٤).

ويرتبط العلم بمجموعة من الخصائص أو السمات النوعية التى تميزه كنسق معرفى. وترتبط تلك الخصائص أساساً بطبيعة العلم ذاته. فالعلم يسعى بوجه عام إلى تحقيق غاية معينة- وتتمثل بوجه عام فى الوصول إلى النظرية التى تعد بمثابة مجموعة من التعميمات أو القضايا المبرهن على صدقها وتترابط فيما بينها وتتكامل بصورة كاملة وهى قضايا تحاول تقديم تفسيرات لبعض الظواهر المشاهدة- عن طريق توظيف طرق ووسائل معينة لبلوغ الغاية. ومن ثم نجد أن النظرية يشمل بناؤها على الوسائل والطرق اللازمة لبناء النظرية أو الوصول إليها. وعليه تعد الوسائل والطرق جانباً هاماً من جوانب النظرية.

خصائص العلم.

ومن أبرز خصائص أو سمات العلم ما يلى:

(١) **العلم تجريبى** Science is Empirical.

أى يستند إلى المشاهدة، ومؤدى ذلك أنه يستبعد من المعرفة العلمية كل ما كان مجرداً أو غير قابلاً للتحقق منه ومشاهدته، ومن ثم فالعلم يعنى بالمعرفة المدركه لعالم حقيقى قائم أى ملموس ومشاهد.

(٢) **العلم إفتراضى** Science is Prepositional.

لما كان العلم يستند إلى التجربة والخبرة المشاهدة، فإنه يتعامل مع فرضيات أو قضايا لها علاقة بأشياء فعليه حقيقية لها قيمة ووزن.

وهناك مستويات عديدة ومتباينة لمستوى التجربة بالفرضيات. وأياً كان مستوى التجربة بالفرضية أو القضية محور الاهتمام عالياً أم منخفضاً، فإن كلاهما يعنى به العلم. وترجع أهمية السمة الافتراضية فى العلم إلى أنها تمكننا من معرفة ما إذا كانت بعض الفرضيات يمكن تضمينها بناء النظرية أم تستبعد منه. والباحث فى هذا الإطار عليه أن يختار من بين بدائل الفرضيات ليحدد ما يصلح منها أو لا يصلح. ومن ثم فإن عليه أن يستند إلى بعض القواعد التى تمكنه من إتخاذ القرار أو الإختيار الدقيق لفرضية أو بعض فرضيات وليس معنى رفض أو استبعاد فرضية من الفرضيات أنها أصبحت غير قابلة للبحث أو الاختبار بعد ذلك، حيث تظل جميعها قابلة لإعادة بحثها أو اختبارها من جديد.

(٣) **العلم منطقى** Science is Logical.

أى يعتمد على المنطق فى عملية الاستدلال، ومن ثم يشكل قوام بناء الجدل العلمى، ويشكل المنطق ميداناً منفصلاً عن أى علم، حيث يعد ميداناً من ميادين البحث فى حد ذاته، ومع ذلك فإن العلم لا يمكن تصوره منفصلاً عن المنطق الذى يدعمه ويسانده.

(٤) **العلم تطبيقى إجرائى** Science is Operational.

من المعروف أن المنطق علم صورى شكلى بالكامل، ومن ثم فإن الصدق الصورى لجدل حول قضية من القضايا لا يعتمد على المحتوى الصورى أو المضمون الامبريقى للجدل.

فالمنطق لا يعول على الوجود الإمبريقى (القائم) للشئ. على حين يعول العلم على حقائق العالم الواقعى المعروف، ومن ثم حتى تكون مقبولاً ومعترفاً بك من جانب العلم عليك أن تقوم بعدد من العمليات التطبيقية الإجرائية التى تستطيع أن تثبت بها أن الرمز

(z) مثلاً هو تماماً الذى نعنى به كذا وكذا. أى أن العلم يسمح بوجود مضمون أو محتوى إمبريقى يدعم الجدل الشكلى أو الصورى.

(٥) **العلم عام او مشاع** Science is Public.

من الثابت أن العلم يتواصل بين عالم إلى آخر، وما قد يعد من قبيل المسائل الشخصية بالنسبة للباحث (دوافعه، قيمه، احكامه..الخ) لا ينتمى للعلم أو ينتسب إليه بأى صورة من الصور، ومن ثم فإن حق العلماء فى إعادة تطبيق فرضية أو تصور العالم من العلماء وتحرى مدى مصداقيته من الأمور التى تساعد على توفير الأساس لقبول الفرضية أو الأخذ بها، الأمر الذى يساعد على نماء العلم وثرائه.

(٦) **العلم إجابة على مشكلة** Science is Problem Solving.

يقصد بالمشكلة فى هذا المجال بعض الملاحظات والمشاهدات التى تحتاج إلى تفسير. ويعد الافتقاد إلى تفسير مقبول ناشئ عن وجود فرضيات غير دقيقة داخل النظرية، أو قد يكون نتيجة- وببساطة- لعدم ملاءمة النظرية. ويقتضى حل المشكلة من جانب الباحث طرح بعض الفرضيات أو مجموعة فرضيات وكل فرضية تتضمن تصوراً لحل المشكلة. ويستمد الباحث فرضياته من ثرائه النظرى وخبراته العلمية ومشاهداته، ومن ثم تكون مصادر الفرضيات الاستقصاء ، على حين يكون إختبار الفرضية مرتبطاً بالبحث.

(٧) **يتجه العلم إلى ان يكون مجرداً** Science is Tends to be abstract.

أشرنا إلى أن العلم يعنى بالعلم المدرك الواقعى أو الحقيقى، ومن ثم فإن الفرضيات ذات العلاقة بهذا العالم كثيراً ما لا يحتاج إلى التجربة لأنها فرضيات مستمدة فى الغالب من مشاهدات إمبريقية واقعية، وحتى تكون تلك الفرضيات جزءاً من العلم يتعين أن تصاغ على نحو يتسم بالتجريد أو العمومية بمعنى أدق، أى التى ليس لها

علاقة بزمن أو مكان معينين، وهو ما يسمى النظرية العلمية التى تكون على درجة عالية من التجريد أو التعميم.

(٨) **يتجه العلم نحو النسقية** Science is tends towards a system.

كلما أصبحت المعرفة العلمية مجردة أكثر وأكثر، وكلما إزدادت الفروض والقوانين فى العدد وكذلك مستوى التعميم كلما إتجهت النظرية العلمية إلى إلغاء التماثل بين التعميمات ذاتها. وليس معنى أن العلم فى إعتماده الشديد على المنطق أنه يتجه إلى ما يشبه النسقية الجامدة، أى غير القادرة على قبول بعض المشاهدات الإمبريقية أو التعميمات، حيث يمارس العلم فى الواقع سيطرة كاملة على فرضياته، وإذا كانت بعض الفرضيات قد ترفض نظراً لتعارضها مع غيرها من الفرضيات المعروفة أو المسلم بها، فإنه قد يحدث أن يتم إكتشاف جديد يدفع إلى إحداث تغيير يشمل النسق الكلى للنظرية العلمية، وما يجب ان ندركه- فى نفس الوقت- هو أن هذا النسق العلمى تقوم بين مفهوماته وقضاياه وإجراءاته التى يتبعها ضرب من ضروب العلاقة الديالكيتكية التى تربط فيما بينها جميعاً.

(٩) **العلم عملية متواصلة مستمرة** Science is on-going.

العلم عملية مستمرة قائمة لا تتوقف، حيث أن العملية البحثية العلمية ما هى إلى سلسلة مستمرة ومتصلة الحلقات من العمليات المتداخلة المركبة والعديدة، ومن ثم يتعذر تصور شكل من الاستقلالية أو الانفصالية بين العمليات العلمية، حيث أن كل منها تفضى إلى العملية التالية، ويحتم ذلك على الباحث حين يقوم بعرض هذه العمليات أن يتناولها كسلسلة متصلة قائمة بإستمرار.

إن البحث العلمى أو أى جزئية منه نتاج مباشر لميراث عقلى يوظفه الباحث. فالإكتشاف العلمى محصلة لجهود العديد من الباحثين فى مواقع وأزمنة مختلفة، وقد تكون متباعدة أيضاً، وأياً كان ما يرثه

الباحثون من إرث عقلى، سليماً أم رديئاً فإنه يشكل المصدر الذى يغذيهم ويدفعهم للتواصل فى نشاطهم العلمى(٥).

ثانياً : مفهوم المعرفة العلمية وأنواعها.

حاول الإنسان منذ القدم أن يتعرف على عناصر البيئة المحيطة به، ويكتشف الكثير من أسرارها، ويقف على حقيقة القوى الموجهة لها. فالإنسان منذ خلق محب للإستطلاع، كما انه لا يستطيع أن يحيا وسط الظواهر والأشياء دون أن يكون لنفسه عنها بعض الأفكار التى تساعده على تحديد سلوكه تجاهها، والتى تمكنه من القضاء على المشكلات التى تعترض سبيل حياته، وقد ترتب على هذه المحاولات زيادة حصيلة الإنسان من المعرفة وفهمه لكثير من الظواهر المحيطة به.

والمعرفة عبارة عن مجموعة المعانى والتصورات والآراء والمعتقدات والحقائق التى تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به. وهى بهذا المعنى لا تقتصر على ظواهر من لون معين، وإنما تتناول جميع ما يحيط بالإنسان وكل ما يتصل به، فمن المعارف ما يتصل بتكوين الإنسان البيولوجى والنفسى، ومنها ما يتصل بعناصر بيئته الطبييعية والاجتماعية والثقافية، ولم تكن هذه الالوان جميعاً هدفاً لدراسات المفكرين والباحثين فى مختلف العصور، بل إنصرفوا إلى دراسة بعض جوانبها دون البعض الآخر فاليونانيون مثلاً كانوا يعنون بطبيعة المادة التى يتكون منها العالم، وكان مفكرو القرون الوسطى- وخاصة فى الغرب- يهتمون بدراسة المسائل التى يغلب عليها الطابع الدينى، أما المفكرون المعاصرون فإنهم يظهرون الوحدة الاساسية للمعرفة، ويقبلون على دراسة المسائل أياً كان لونها، ومهما تكن طبيعتها.

ومفهوم المعرفة ليس مرادفاً لمفهوم العلم، فالمعرفة أوسع حدوداً ومدلولاً، وأكثر شمولاً وإمتداداً من العلم، والمعرفة فى شمولها تتضمن معارف علمية ومعارف غير علمية، ولذا يمكن القول بأن كل علم معرفة، وليست كل معرفة علماً، وتقوم التفرقة بين النوعين على أساس قواعد المنهج وأساليب التفكير التى تتبع فى تحصيل المعارف. فإذا اتبع الباحث قواعد المنهج العلمى فى التعرف على الأشياء، والكشف عن الظواهر، فإن المعرفة حينئذ تصبح علمية.

ويفرق بعض الباحثين بين المعرفة والعلم بتعريفهم العلم بأنه "المعرفة المصنفة" أو "المعرفة المنسقة"[٦]. بينما يذهب فريق آخر إلى تعريف العلم بانه عبارة عن "المعرفة المنسقة التى تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب، والتى تتم بهدف تحديد طبيعة وأصول الظواهر التى تخضع للملاحظة والدراسة"[٧].

وفى رأينا أن التعريف الثانى أكثر دقة من التعريف الاول حيث انه يضع فى اعتباره موضوع العلم، وكذلك المنهج الذى يستخدم في تحصيل المعارف، بينما لا يشير التعريف الأول صراحة إلى أن تنسيق المعارف أو تصنيفها يتم وفقاً لقواعد المنهج العلمى، ولما كان فى استطاعة الإنسان أن يصنف معارفه مكتفياً ببعض الإنطباعات الحسية البسيطة، أو بالإعتماد على أساليب التفكير الفلسفى دون الإلتجاء إلى قواعد المنهج العلمى، فإن من الخطأ إطلاق تعبير العلم على كل لون من ألوان المعارف المصنفة.

والعلم فى نظرنا منهج أكثر مما هو مادة للبحث، ويؤكد "كارل بيرسون Karl Pearson " هذا الرأى بقوله " كل ميدان علم ما دام يستخدم على نحو متسق قواعد المنهج العلمى[٨]. وكذلك "أندروز" إذ يقصر كلمة العلم على المعرفة التى يمكن ان تحقق[٩].

وللتفرقة بين المعرفة والعلم فإنا نميل إلى تعريف العلم بأنه" المعرفة المصنفة التى تم الوصول إليها بإتباع قواعد المنهج العلمى الصحيح، مصاغة فى قوانين عامة للظواهر الفردية المتفرقة".

والعلم بالصورة التى حددناها يمثل مرحلة متأخرة فى تاريخ التفكير الإنسانى، وقد حاول "أوجست كونت" أن يثبت أن المعرفة العلمية جاءت متأخرة فى تطور العقل البشرى، فوضع قانونه المعروف بقانون الحالات الثلاثة، وإنتهى فيه إلى أن المعرفة العلمية كانت ثمرة لعملية بطيئة من النضج العقلى، إستطاع الإنسان بعدها ان يتخلص من كل التفسيرات الدينية، والتفسيرات الفلسفية الميتافيزيقية، وأن يتجه إلى تفسير الظواهر تفسيراً علمياً يقوم على ربط الظواهر بعضها ببعض ربطاً موضوعياً بحتاً.

أنواع المعرفة.

يمكن تقسيم المعرفة إلى ثلاثة أنواع:

١- المعرفة الحسية(التجريبية).

٢- المعرفة الفلسفية.

٣- المعرفة العلمية.

ونعرض فيما يلى لهذه الأنواع الثلاثة بشئ من التفصيل.

(١) المعرفة الحسية (التجريبية).

يطلق هذا الاسم على المعرفة التى تقتصر على مجرد ملاحظة الظواهر ملاحظة بسيطة تقف عند مستوى الإدراك الحسى العادى دون ان تتجه إلى إيجاد الصلات أو تسعى إلى إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر[١٠].

ويمكن التمثيل لهذا النوع بملاحظة الرجل العادى البسيط الذى ينظر إلى الكون، فيرى أن الليل والنهار يتعاقبان وأنهما ليسا متساويين بل يختلفان فى الطول والقصر، وفى الحرارة والبرودة. فهذه

الملاحظات تتم عادة بطريقة حسية تلقائية غير مقصودة، وهى فى حد ذاتها لا تعين الإنسان على معرفة أسباب تعاقب الليل والنهار، ولا توقفه على معرفة العلاقات القائمة بين حدوث الفصول الأربعة وبين تفاوت درجات الحرارة أو إختلاف طول الليل والنهار، هذا بالإضافة إلى أنها لا تتم بغرض الكشف عن حقيقة علمية، أو تحقيق غاية نظرية.

وقد لجأت البشرية منذ فجر نشأتها إلى هذا اللون من المعرفة فى إكتساب الخبرات، وتحديد المعانى للمواقف المختلفة، فالرجل البدائى مثلاً كان يتعرف على الأشياء بنظره أو بسمعه أو بيله، فيدرك ما لتلك الأشياء من صفات، ثم أخذت حصيلته من تجربته الحسية تزداد على مر الأيام، فتكونت لديه خبرات أفادته فى تدبير اموره، والتغلب على مشكلات حياته، فإذا ما مرض أحد فى بيئته وصف له بعض الاعشاب التى جربها وخبر فائدتها من قبل، وإذا ما رأى الغيوم تلبدت توقع المطر، غير انه لم يكن يدرك سر العلاقة القائمة بين الأعشاب والمرض، وبين السحاب والمطر، وما إلى ذلك من العلاقات التى تبدو له بين الأشياء.

ولم يستطع الإنسان عن طريق خبرته الحسية، ومعرفته الذاتية المحدودة، أن يحيط بكل ما حوله من أمور، فعجز عن فهم بعض ظواهر الطبيعة المألوفة التى تتكرر بين الحين والآخر، فالصواعق وكسوف الشمس، وخسوف القمر، والاوبئة والزلازل، والبراكين هذه وأمثالها أمور يحللها العلم الحديث، ويقف على أسرار الكثير منها، ولكنها لم تكن كذلك قبل أن يهتدى العلم إلى أسرارها، فلم يكن بد من أن ينسبها الإنسان إلى قوى خارقة فوق الطبيعة، لها إرادة كإرادة الإنسان، وكان يتوسل إليها إذا غضبت لتخفف من بأسها وغضبها، كما كان يقدم لها القرابين، ويقيم الشعائر، تقرباً إليها، ودفعها، وإظهاراً لخضوعه وتقديسه لها.

ومن الملاحظ أن التفسيرات البدائية للظواهر الطبيعية، تشبه إلى حد كبير تلك التفسيرات التى تتبادر إلى أذهان أطفالنا اليوم، فالإنسان البدائى يفسر الطبيعة بإسقاط عواطفه عليها، مثله كمثل الطفل حين يخلع على الظواهر صفات بشرية، متأثراً فى ذلك بالنزعة التشبيهية السائدة لديه، فهو يقول أن إله الريح يغضب كما يغضب بنو البشر، وهو يفرح ويتألم كما يفرح الناس ويتألمون.

وبمرور الوقت وبحكم العادة، إستفاد الإنسان من الخبرات التى إكتسبها بتجاربه المحدودة أو بتجارب غيره من الناس، فظهرت الآراء الحسية المشتركة بين الناس، ويطلق الانجليز والأمريكان على هذه الآراء المشتركة "Common Sense" ويطلق عليها الفرنسيون " Sens Commun" وكلاهما معناهما الحرفى "الحس المشترك" وهو تعبير نطق به أرسطو، لمعنى يختص بالحواس والإدراك، ثم تطور على مر الزمن ليكون مفهومه عند أهل القرون الحديثة الرأى المشترك لا الحس المشترك. ونفضل استعمال هذا المفهوم بأسم "الرأى الباده المشترك"[11]. فهو باده لإنه يأتى بداهة أوبداءة، دون أن يحتاج إلى أداة من علم أو منطق، وهو مشترك لأن جمهور الناس يشتركون فيه وهم يحكمون على الأشياء.

وليس من شك فى أن كثيراً من هذه الآراء المشتركة تأتى نتيجة لبعض التجارب الذاتية البسيطة، وتقف عند بعض المواقف العملية المحدودة، وبالرغم من ذلك فإنها تنتقل بين الناس بحكم العادة، ويسلمون بها دون فحص أو تمحيص.

والرأى الباده المشترك ليس بالشئ الثابت، فهو يتغير بتغير المكان والزمان بل قد يتحول إلى نقيضه، فإذا نظرنا إلى الأمثال الشعبية – التى تدخل فى نطاق الرأى الباده المشترك– لوجدنا بينهما تناقضاً. فكل مثل له تقريباً ما يعارضه. وإذا سلمنا بأن بعضاً من هذه

الأمثال لا يوجد بينها ما يناقضه فإننا لا نستطيع أن نسلم بأنها تصلح لجميع المجتمعات، أو حتى بين مختلف الجماعات التى يتكون منها المجتمع الواحد، ذلك لأنها تنشأ نتيجة لخبرة اجتماعية محدودة، فى موقف اجتماعى بذاته وتحت ظروف معينة.

وعلى هذا فإن المعرفة التجريبية وما ينشأ عنها من آراء بادهة مشتركة، تبدو قاصرة تماماً فى ميحط التفكير النظرى، ومحاولة تفسير الظواهر وتعليلها، لما بينها من تناقض، ولخلوها من صفات الموضوعية والمنهجية والعمومية.

(٢) المعرفة الفلسفية.

تعتبر المعرفة الفلسفية المرحلة التالية من مراحل التفكير، فوراء الأمور الواقعية المكتسبة بالملاحظة مسائل اعم ومطالب أبعد تعالج بالعقل وحده. وتتناول الفلسفة هذه المسائل بالدراسة والبحث، ولا يقتصر على العالم الطبيعى وحده بل ترتقى إلى العالم "الميتافيزيقى" أى "بحث ما وراء الطبيعة"، فتبحث عن الوجود بالإجمال وعن علته، وعن صفات الموجد، وكثير من المسائل التى تتصل بمعرفة "الله" وإثبات وجوده.

ومسائل الفلسفة يتعذر الرجوع فيها إلى الواقع، وحسمها بالتجربة كما انها دقيقة عويصة يتعذر إستيعاب وجهاتها المتعددة، وكشف وجه الحق فيها تماماً واضحاً، فيجتهد الفلاسفة فى حلها كل على قدر طاقته، وتبعاً لمزاجه ونشأته ومواهبه وما إلى ذلك من المؤثرات التى تكيف العقل وتوجه النظر، والبحث الفلسفى لا يهتم بالجزئيات، وإنما بالمبادئ الكلية، كما يحاول تفسير الأشياء بالرجوع إلى عللها ومبادئها الأولى.

وتتشكل الموضوعات التى تطلبها الفلسفة بحسب المنهج الذى تتبعه، وتختلف المناهج بحسب الفلاسفة أنفسهم، ومن أيام اليونانيين كان المنهج الفلسفى هو التأمل. وهو منهج فلاسفة الهند كذلك حين ينعطفون على انفسهم لألتماس الحقيقة الكبرى فى داخلها. ولكن منهج اليونانين كان عقلياً، إنتهى عند أرسطو إلى أن يكون هو المقياس المنطقى وظل القياس الأرسطى(الصورى) المنهج المتبع فى التفكير الفلسفى أكثر من عشرين قرناً من الزمان[١٢].

ويعتمد القياس الصورى على حقائق معروفة من قبل والتسليم بالمقدمات تسليماً لا يقبل الشك حتى يمكن الوصول إلى النتائج، والوصول من الكلى إلى الجزئى، مثال ذلك:

كل شهيد بطل.

أحمد شهيد

إذن أحمد بطل.

وكذلك المثال التالى:

كل معدن موصل جيد للحرارة

الذهب معدن.

إذن الذهب موصل جيد للحرارة.

فالنتيجة التى توصلنا إليها وهى أن أحمد بطل، أو أن الذهب موصل جيد للحرارة، موجودة بنفسها فى مقدمات هذا القياس، وهى غير جديدة، بل هى جزء من المقدمة، فمن يسلم بصحة المقدمة التى تقول "كل معدن موصل جيد للحرارة" يدخل فى موضوع القضية- وهو معدن- كل المعادن. ومن يضيف إلى هذه القضية قضية ثانية يقول فيها "الذهب معدن" يعلم أن الذهب أحد المعادن التى سبق أن وصفها بأنها موصلة جيدة للحرارة، ومن ثم لا يكون فى النتيجة التى ينتهى إليها قياسه وهى"الذهب موصل جيد للحرارة" شئ جديد. ولذا فالقياس لم يوصلنا إلى معرفة جديدة، بل تحصيل حاصل.

ويرى بعض المدافعين عن الأسلوب القياسي أنه إذا كان لا يقدم شيئاً جديداً خالصاً، فإنه يؤدى إلى نتائج جديدة من حيث صورها وأشكالها، فالنجار لا يبتدع خشباً، ولكنه يخرج من الخشب أثاثاً يختلف عن مادة الخشب فى شكلها القديم، كذلك القياس فإنه صناعة عقلية تشكل المعلومات التى نعرفها فى صورة جديدة نحن فى حاجة إليها، وتفدينا فائدة جديدة.

وفى رأينا أن القياس الصورى قد يفيد فى تنمية القدرة على الجدل وقد ينجح فى ربط الأفكار بعضها ببعض، ولكنه لا يكشف عن العلاقات والأسباب، ولا يستطيع إثبات المبادئ العلمية،بل المقدمات والنتائج لديه سواء. ولذلك قال عنه "ديكارت" " أنه عقيم مجدب لا يكشف عن معرفة جديدة، فهو يفسر لنا ما نعلمه، ولا يكشف لنا عما نجهله"، كما قال "جوبلو": "أن قواعد المنطق الصورى لا تسمح بالإبتكار ولا بالإختراع ولا بالكشف، بل تجعل الذكاء سجين معرفته السابقة، وهى تتيح له أن يضيق نطاق هذه المعرفة، بدلاً من ان يعمل على نموها. وليست هناك أية قاعدة من قواعد المنطق الصورى تستطيع تفسير تقدم المعرفة. ومهما أفتن الإنسان فى التعبير عن تفكيره بصورة مختلفة فإنه لا يزيد ثروته من العلم إلا إذا أنصب هذا التفكير على مادة يستمد منها غذاءه"[١٣].

(٣) المعرفة العلمية.

تقوم المعرفة العلمية على الأسلوب الإستقرائى الذى يعتمد على الملاحظة المنظمة للظواهر، وفرض الفروض، وإجراء التجارب وجمع البيانات وتحليلها للتثبت من صحة الفروض أوعدم صحتها. ولا يقف العلم عند المفردات الجزئية التى يتعرض لبحثها، بل يحاول الكشف عن القوانين والنظريات العامة التى تربط بين هذه المفردات بعضها ببعض، والتى تمكن من التنبؤ بما يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة.

والإستقراء نوعان، احدهما تام Complete والآخر غير تام (ناقص) Incomplete وفى الاستقراء التام يقوم الباحث بملاحظة جميع مفردات الظاهرة التى يبحثها، ويكون حكمه الكلى مجرد تلخيص للاحكام التى يصدرها على مفردات البحث.

ولعل من هذا القبيل ما فعله عالم الفلك الألمانى "كبلر" حينما وضع قانونه القائل بان جميع الكواكب تدور حول الشمس فى مدار بيضاوى الشكل، فإن "كبلر" لم يضع هذا القانون إلا بعد أن أحصى الكواكب السيارة جميعاً بما فيها الأرض، والمريخ، وزحل، وعطارد، والزهرة...الخ، بتحقق من أن كلا منها على حدة يدور فى مدار بيضاوى الشكل.

وواضح أن هذا النوع من الإستقراء لا يضيف معرفة جديدة، ولا يفيد فى الانتقال بالنتائج والاحكام من المعلوم إلى المجهول لأن جميع الحالات خضعت للملاحظة وأصبحت معلومة للباحث، ويرى " بيكون " أن نتائج هذا النوع من الإستقراء عرضة للخطر متى وجدت حالة جزئية واحدة مضادرة لها: مثل ذلك أن تحريك التمساح لفكه الأعلى ينقض القضية القائلة بان كل حيوان يحرك فكه الأسفل، كما أن العثور على بجع أسود فى أستراليا كان تكذيباً للقضية: كل بجعة بيضاء(١٤).

وفى الاستقراء غير التام (الناقص)، يكتفى الباحث بدراسة بعض النماذج، ثم يحاول الكشف عن القوانين العامة التى تخضع لها جميع الحالات المتشابهة والتى لم تدخل فى نطاق بحثه. وبفضل هذه القوانين يستطيع الباحث أن يتنبأ بما يمكن أن يحدث للحالات المتشابهة، والتى لم تدخل فى دائرة بحثه، وأن يتنقل بأحكامه من الحالات المعلومة إلى الحالات المجهولة.

ولما كان الإستقراء العلمى معناه الدقيق لا يتيسر فيه ملاحظة جميع مفردات الظاهرة، كما أنه يستهدف الكشف عن القوانين العامة للظاهرات الفردية المتفرقة، عن طريق دراسة بعض المفردات الجزئية، فإن العلم يصطنع منهج الإستقراء الناقص فى الوصول إلى المعارف العلمية، وقد يظن البعض أن الإستقراء التام، حسب تعريفه، أعلى مرتبة من الإستقراء غير التام، مع أن الأمر على عكس ذلك تماماً، فالإستقراء الاخير هو الإستقراء العلمى الصحيح لأنه يقوم على التعميم ويكشف عن حقائق مجهولة ويفيد فى التنبؤ بما يمكن أن يحدث للظواهر المختلفة تحت ظروف معينة.

ويمكن تحديد خصائص التفكير العلمى فيما يلى :

(١) استبعاد المعلومات غير الصحيحة.

يبدأ البحث العلمى بإستبعاد المعلومات غير الصحيحة، وعلى العالم أن يطهر عقله منذ بداية البحث من كل ما قد يقوده إلى الخطأ، أو يعوق قدرته على التوصل إلى الحقائق، وقد حرص واضعو مناهج البحث العلمى من الغربيين منذ مطلع العصور الحديثة على التنبيه إلى هذه النقطة. نذكر من بين هؤلاء "فرنسيس بيكون" واضع أصول المنهج العلمى فقد مهد لمنهجه التجريبى بجانب سلبى أوصى فيه الباحث بتطهير عقله قبل أن يبدأ بحثه من كل ما يقوده إلى الخطأ، وحذره من الاخطاء التى تنشأ عن تسليمه بأفكار سابقة لم تثبت صحتها.

كما ذهب "ديكارت" إلى مثل ما ذهب إليه "فرنسيس بيكون" فكان يجب على الباحث أن يطهر عقله فى بداية البحث من معلوماته السابقة عن طريق الشك المنهجى، وأن يتحرر من كل سلطة إلا سلطة عقله أملاً فى التوصل إلى المعرفة الصحيحة[١٥].

(٢) الاعتماد على النتائج العلمية السابقة.

مع التسليم بقاعدة الشك المنهجي، إلا أن ذلك لا يعنى عدم الاستفادة بالنتائج العلمية السابقة، فالعلم له طبيعة تراكمية، والنتائج التى توصل إليها بحث علمى سابق تكون هى نفسها المقدمات التى يبدأ منها بحث لاحق، فهناك إمكانية لإضافة متغيرات جديدة، أو الكشف عن بعض الجوانب الغامضة. وهنا يبدو فارق من أهم الفوارق بين النسق العلمى والنسق الفلسفى. فحقائق العلم تقبل الإندماج معاً فى منظومة واحدة نسقية البناء. وهى ليست بالإنتاج العقلى الذى ينتجه من أوله إلى آخره شخص واحد بمفرده، بخلاف الحال فى الدراسات الفلسفية التى يبنى فيها كل فيلسوف نسقه الفكرى من الأساس إلى القمة كأنها هو عمل فردى فنى لا يجوز أن يشارك فيه أحد أحداً. ولعل أصدق وصف للعلماء تشبيههم بالطوابق فى البناء الواحد يكمل احدهما الآخر، بعكس الفلاسفة الذين يشبهون الأهرامات حيث يستقل كل منها عن الآخر(١٦).

(٣) الاعتماد على الملاحظة الحسية كمصدر للحقائق العلمية.

يتخذ الفيلسوف العقل مصدراً للحقائق ومعياراً للتثبت من صوابها، فيضع لنفسه مبادئ يتخذها ينبوعاً ينبثق منه كل عنصر من عناصر النسق الفلسفى الذى يقيمه، أما العالم فإنه لا يستمد حقائقه إلا من الملاحظة الحسية المباشر، فإذا قال العالم عن طبيعة العلاقات الاجتماعية فى جماعة معينة أنها قائمة على أساس التعاون أو التنافس أو الصراع، أو قال عن الضوء أن سرعته كذا ميلاً فى الثانية، فإن مصدره فى ذلك هو الملاحظة الحسية، وتتوقف صحة النتائج التى يتوصل إليها على مدى مطابقتها للوقائع الخارجية. وقد حرص "جون لوك" على التنبيه إلى هذه النقطة، فأشار إلى أن الإدراك الحسى هو أساس كل معرفة، وبدون الأشياء، وإحساسنا بها، وإدراكنا لها: لا يوجد وعى ولا حكم عقلى ولا معرفة.

(٤) **تحويل الكيف إلى كم (التكميم Quantification)**

حينما يتعامل الناس معاً فى حياتهم اليومية، فإنهم يشيرون إلى الأشياء والحوادث بأوصافها الظاهرة للحواس أو بمنافعها، وأساليب إستخدامها فى الحياة العملية، يقال: ماء، وضوء، وصوت، وهذه الألفاظ تتناول الأشياء والكائنات فى جملتها لا فى عناصرها التحليلية، كما أنها تعبر عن وجود الصفات دون أن تكشف عن مقدار وجودها أو مستواها.

أما عالم الكمياء فإنه يعكف على تحليل الماء إلى عناصره التى يتألف منها إلى أن يتوصل إلى أنه يتكون من ذرتين من الهيدورجين وذرة واحدة من الاوكسجين، وفى هذه الحالة نقول أنه تمكن من تحويل الكيف إلى كم.

وبالمثل يقوم عالم الطبيعة بدراسة الصوت ورده إلى سعة الذبذبة، وبدراسة الضوء وإرجاعه إلى طول الموجات، وبهذه الصورة يتجه العلم إلى تحويل الكيف والكم، والتعبير عن الظواهر بلغة الأرقام.

ومن الملاحظ أن كل العلوم - خلال مراحل تطورها - قد مرت بالدور الكيفى. ففى البداية كان يقال أن الأشياء باردة أو ساخنة، ثقيلة أو خفيفة، وأن الأشخاص أذكياء أو أغبياء، إلى أن ظهرت مقاييس دقيقة أمكن بمقتضاها تحديد هذه الصفات تحديداً كمياً، والتعبير عنها تعبيراً رقمياً دقيقاً.

وتتفاوت العلوم المختلفة فى مقدار تقدمها بنفس المقدار الذى اختلفت فيه من حيث ضبطها لمفهوماتها ضبطاً كمياً. فعلم الفيزياء- مثلاً- متقدم على علم النفس أو علم الاقتصاد بنفس الدرجة التى استطاع بها أن يتعامل مع ظواهره باستخدام الأساليب الرياضية، وبنفس القدر الذى إستطاع به أن يحول مفاهيمه الكيفية إلى مفاهيم كمية.

(٥) الموضوعية.

يقصد بالموضوعية معالجة الظواهر بإعتبارها أشياء لها وجود خارجى مستقل عن وجود الإنسان، والشئ الموضوعى هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين مهما إختلفت الزاوية التى يشاهدون منها، ويوضح "برتراند راسل" هذه النقطة بقوله:

"لكى نوضح الفرق بين الموضوعية والذاتية نقول :افرض أن عدداً كبيراً من المتفرجين فى مسرح كانوا يشاهدون فى أن واحد ما يجرى على خشبة المسرح، وكذلك كان فى المسرح عدة آلات للتصوير وتلتقط فى أن واحد صور ما يحدث على خشبة المسرح، فعندئذ تكون الصور التى تلتقطها آلات التصوير، وكذلك الصور التى يتلقاها المتفرجون، متفقة فى وجوه ومختلفة فى وجوه. ونستخدم كلمة "موضوعى" لنصف بها ذلك الجانب الذى يشترك فيه المتفرجون جميعاً، أو آلات التصوير جميعاً. كما نستخدم كلمة "ذاتى" لنصف بها الجوانب التى ينفرد بها متفرج دون غيره، وآلة من آلات التصوير دون غيرها، فسيبدو الممثل على خشبة المسرح اطول عند المتفرج القريب منه مما هو عند المتفرج البعيد.وعلى هذا فالذاتية أمر لا يقتصر على مجرد الاهواء الشخصية. بل هو أحد جوانب الطبيعة نفسها، ومعناها أن المؤثر الواحد لا يبدو للأعين المختلفة فى أوضاعها على صورة واحدة، أما إذا كان فى هذا المؤثر جوانب لا تتغير صورتها عند مختلف الأعين مهما إختلفت أوضاعها، كانت تلك الجوانب المشتركة موضوعية"[١٧].

والباحث الذى يتحرى الموضوعية فى الدراسة يتناول الظواهر كما هى وفى صورتها الواقعية، ويستعين بالأساليب التى تتسم بالصدق والثبات، ويصل إلى نتائجه بعد الموازنة والقياس، ويعرضها بالطريقة التى هى عليها لا كما ينبغى أن تكون. أما الباحث ذو النظرة

الذاتية فإنه لا يهتم بإستخدام الأدوات والمقاييس التى تساعد على تقليل مخاطر التحيز الذاتى.

ويترتب على إلتزام صفة الموضوعية فى البحث العلمى، أن تكون نتائج البحث قابلة للإختبار بحيث إذا إختار باحث آخر نفس الظاهرة، وإتبع نفس الخطوات، وإستخدم نفس الإجراءات المنهجية، أمكنه أن يحصل على نتائج مماثلة.

(٦) **التجريد** Abstraction .

يقصد بالتجريد استنباط الخصائص أو الصفات التى تتميز بها الظواهر أو الأشياء، بحيث تتحول إلى أفكار أو مفاهيم ذهنية تدرك بالعقل لا بالحواس، ويقوم التجريد على إغفال السمات الجزئية المشخصة من أجل الوصول إلى معنى عام ينطبق على أفراد النوع الواحد. والفكرة المجردة إذا بلغناها وجدناها بالضرورة فكرة عامة تصدق- لا على فرد واحد، أو موقف واحد- بل تصدق على مجموعة الأفراد أو مجموعة المواقف المتجانسة، فكلمة – ثقافة- يمكن تجريدها بقولنا : أنها ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدسات والعادات الأخرى التى يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو فى المجتمع.

ويعبر برتراند راسل عن صفة التجريد بقوله: "إن العقل العلمى لا يعالج الأشياء الموجودة فى الواقع من حيث هى كذلك، وإنما من حيث أن لها خواصاً معينة... فنحن حين نتكلم عن المكان أو الحركة، فليس ما نتكلم عنه هو المكان الفعلى أو الحركة الفعلية كما نعرفها فى التجربة، بل نتكلم عن شئ له تلك الخواص العامة المجردة للمكان أو الحركة"[١٨].

(٧) **التعميم.**

لما كان العلم يعتمد على الاستقراء الناقص الذى لا تتيسر فيه ملاحظة كل مفرادت الظاهرة، فإن الباحث يكتفى بملاحظة بعض النماذج، ثم يحاول الكشف عن القوانين العامة التى تخضع لها جميع الحالات المتشابهة، والتى لم تدخل فى نطاق البحث، وتفيد هذه التعميميات فى الانتقال من المعلوم إلى المجهول، وفى التنبؤ بما يمكن أن يحدث للظواهر تحت ظروف معينة.

أوجه الاختلاف بين ألوان المعرفة.

أ- **تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الحسية (التجريبية) فيما يلى:**

- تعتمد المعرفة الحسية على الملاحظة الذاتية البسيطة، بينما تقوم الأولى على الملاحظة المنظمة للظواهر التى تعتمد على وسائل دقيقة للقياس.
- تختلف المعرفة العلمية عن الآراء البادهة المشتركة بين الناس، ذلك لأن الكثرة الكبرى من الآراء المشتركة بين الناس قريبة المتناول، أشياء تدركها الحواس ثم يقبلها العقل سريعاً بلا رؤية ولا تمحص، أما المعرفة العلمية فإنها تقوم على أساس من الدراسة الموضوعية المنظمة، ولايمكن التسليم بها إلا بعد إختبار دقيق.
- للمعارف العملية ميزة كبرى بالقياس إلى المعارف الحسية، فالقضايا التى تعبر عنها الحقائق العلمية تقبل الاندماج فى - أنظمة- دقيقة واضحة من التفسير، فتساعد على التحقق من قضايا أخرى قريبة منها أو متماسكة معها بخلاف الحال فى المعارف الحسية.

ب- تختلف المعرفة العلمية عن المعرفة الفلسفية فيما يلى:

- مسائل العلوم محسوسة ملموسة يمكن الرجوع فيها إلى الواقع وحسمها بالتجربة، بخلاف مسائل الفلسفة التى تختلف بأنها مجردة لا يمكن إخضاعها للتجربة.

- تتميز المعرفة العلمية بأنها موضوعية، فالباحث العلمى يتناول الظواهر والأشياء كما هى وفى حالتها الراهنة، كما أنه حينما يدرس الظاهرة يوجه عنايته إلى موضوع البحث دون التأثر بأفكاره ومعتقداته التى كونها من قبل حتى يستطيع أن يرى الأشياء على حقيقتها لا كما يود هو أن يراها، وهو يعمل على إستخلاص القوانين من الوقائع المشاهدة دون أن يحفل بأن تكون هذه القوانين أو الوقائع حسنة أو قبيحة، خيراً أو شراً.

أما الفلسفة وخصوصاً فلسفة القيم، فإنها تخضع الأشياء لمعايير ذاتية وتضيف المعانى الاخلاقية إلى الحقائق العلمية، وتضفى عليها معنى إنسانياً، ولذا يمكن وصفها بانها شخصية، إنسانية، ذاتية.

- تهتم العلوم بالعلل القريبة على حين أن الفلسفة تهتم بالعلل البعيدة.. فالبيولوجيا مثلا تنظر فى تركيب الأعضاء وأدائها وظائفها، بينما تحاول الفلسفة تفسير الحياة ذاتها التى هى علة الأعضاء وأفعالها، وهكذا فى باقى المسائل، فإن الفلسفة أما أن تختص بمسائل كلية لا تتناولها العلوم، وإما أن تبحث مسائل مشتركة بينها وبين العلوم ولكن من جهة كلية.

- لا يستطيع العالم أن يبدأ فى بحثه إلا إذا إستعان بالحقائق والنتائج التى توصل إليها العلماء الذين سبقوه فى ميدان بحثه، أما الفيلسوف فإنه يستطيع أن يقيم دعائم مذهبة الفلسفى دون الاستعانة بالنتائج التى توصل إليها الفلاسفة السابقون.

- يختلف الأسلوب القياسى عن الاسلوب الاستقرائى فى البحث فى أن الاستقراء يبدأ بالجزيئات ليتوصل إلى القوانين، أما القياس فإنه يبدأ بالقوانين ليستمد منها الحقائق الجزئية، وليست هذه المقابلة دقيقة تماماً لأن الإستقراء يستخدم القياس فى إحدى مراحله، أى عند تطبيق القاعدة على بعض الحالات الخاصة.

وليس بوسع العلم أن يستغنى بالإستقراء عن القياس، فبالإستقراء يتوصل العلم إلى القضايا العامة، وعن طريق القياس يستطيع العلم أن يتحقق من صدق القوانين العامة بإختبارها على حالات جزئية لم تتناولها الملاحظة من قبل.

والقياس والإستقراء- كما هو ظاهر- يقطعان طريقاً واحداً إلى المعرفة ولكن فى إتجاه مضاد، ذلك لأنه إذا كان الطريق مجهولاً لم يطرق من قبل، فإن العقل يفضل أن يقطع هذا الطريق فى اتجاه الإستقراء، بمعنى أنه يبدأ من ملاحظة الظواهر متجهاً نحو الفروض والوصول إلى القوانين العامة، أما إذا كان الطريق معروفاً، فإن العقل يستطيع أن يرتكز على القوانين العامة، ويهبط منها إلى الحقائق الجزئية.

ثالثاً: مفهوم المنهج.

يشير إصطلاح المنهج إلى التكتيك العلمى الذى يستعمله دراس موضوع معين فى جمع وتحليل البيانات بغية الحصول على البيانات التى يقوم عليها بناء النظريات وتكوين القوانين. كما يجسد الاصطلاح القاعدة أو الأساس المنطقى للدراسة التى يستند عليها العلم عند توظيف الطريقة العلمية، أو بمعنى أدق المنهج.

ويعد "جون ستيورات مل" أول من استخدم هذا الاصطلاح فى مؤلفه بعنوان "نظام المنطق" الصادر عام ١٨٩٨، وقد قصد به

الوسائل والسبل التي تمكن من البحث عن الحقيقة وتنقب عن الادلة التى تستعمل فى بناء القوانين[١٩].

ويقترب من التوجه المتقدم ما ذهب إليه "يحيى هويدى" فى مقاله حول "المعرفة والعلوم الاجتماعية"، حيث ذهب إلى أن المنهج مجموعة القواعد المعرفية والمنهجية التى توجه مسالك الباحث الاجتماعى فى جمعه وتفسيره للمعطيات الاجتماعية، وتحقق له نوعاً من الفهم لتصميم البحث والوقوف على الإجراءات العلمية المناسبة للدراسة أو على الاستخدام المناسب للنظرية العلمية[٢٠].

ويرتبط المنهج، بناءاً على ما تقدم، ببعد الوسيلة أو الأداة أو الأسلوب فى المحل الأول، وأن أهميته ترتبط بالنتائج المترتبة على إستعماله، ومن ثم كان من المهم- إلى حد بعيد- البحث عن شروط الإنتاج المعرفى العلمى قبل البحث عن المنهج المستعمل. وقد ذهب فى هذا الصدد "محمد على محمد" فى كتابه "علم الاجتماع والمنهج العلمى"، إلى اعتبار المنهج بمثابة أسلوب يسير على نهجه الباحث كى يحقق الهدف من بحثه، كأن يجد إجابة مناسبة للسؤال الذى يشغله أو يطرحه للبحث، أو يستطيع التحق من الفرض الذى يبدأ به بحثه[٢١].

ولا يختلف هذا التعريف عما قدمه " محمد أحمد بيومى" فى كتابه "علم الاجتماع" حين حدده بالاستراتيجية العامة أو الخطة العامة التى يرسمها الباحث لكى يتمكن من حل مشكلة بحثه أو تحقيق هدفه[٢٢].

وهناك من يفرق بين المنهج العلمى وبين طرق البحث العلمى، فالمنهج العلمى يشير إلى مجموعة العمليات العقلية التى تقود إلى دراسة علمية مهما كان موضوعها، اما طرق البحث العلمى فهى وسيلة كل علم لجمع الحقائق بطريقة خاصة ولهدف معين، فالمنهج العلمى هو واحد إنما التعدد يكون فى أدوات البحث[٢٣].

ويحوى المنهج العلمى مجموعة من العمليات الأساسية التى يتحقق بواسطتها إكتساب المعرفة العلمية، كما يوجه المنهج العلمى منطق معين يحوى مجموعة من المعايير أو الشروط الأساسية التى توجه منهج العلم فى مشكلة خلال عملية البحث العلمى.

وهناك مجموعة من العمليات تعد أساسية ولازمة فى العلم، تستخدم دائماً فى كل دراسة علمية، وينظر إلى هذه العمليات بانها طرق يستخدمها العلم، وبالتالى تصبح بمثابة القاعدة المشتركة بين كل العلوم، وهى بالتالى أساس المنهج العلمى، وتتمثل هذه العمليات فى:

- المشاهدة والتجربة.
- التحليل والتركيب.
- التصور والإفتراض.
- الاستدلال
- التصنيف.

والمشاهدة هى عملية إدراك للأشياء والحوادث وخواصها والعلاقات التى يمكن أن تشاهد بين هذه الاشياء، ويشير التحليل إلى عملية عزل صفات أو عناصر الشئ بعضها عن بعض حتى يمكن إدراك كل عنصر إدراكاً واضحاً. وتسعى عملية التصور والافتراض إلى تحديد نوع النظام الذى تخضع له الظواهر، ومن ثم تجرى عمليات إختبار الفروض ومشاهدتها. ويتمثل الاستدلال فى عملية الوصول إلى أحكام أو آراء على أساس من الاستناد إلى أحكام اخرى أو إلى الشواهد التى تنتهى إليها المشاهدات، ويقصد بالتصنيف مشاهدة التشابه بين أشياء معينة، ووضع هذه الأشياء فى فئة واحدة، ومعنى ذلك أن التحديد العلمى لفئة ما يعنى الإقرار بوجود وحدة فى خواص جوهرية بين مجموعة من الحالات التى تحويها تلك الفئة، ويعنى التصنيف فى هذه الحالة إكتشاف النظام بدلاً من الفوضى، والوحدة بدلاً من التعدد[٢٤].

رابعاً: مفهوم البحث العلمى.

يقصد بالبحث العلمى الوسيلة المستخدمة للوصول إلى حقائق الأشياء ومعرفة العلاقات التى تربط بينها والقواعد التى تحكمها، وعليه يعد البحث العلمى وسيلة لإكتساب المعارف، فضلاً عن اعتباره الدراسة العلمية المنظمة لظاهرة معينة للتحقق من صدق فرضيات محددة حولها.

وقد مر البحث العلمى بأربعة مراحل رئيسية هى:

١. مرحلة الملاحظة العشوائية للظواهر وجمع بيانات عنها.
٢. مرحلة البحث المنظم، وفيها يتم تحديد الموضوع أو المجال الذى ستشمله خطوات البحث، وتحديد للأهداف وأدوات جمع البيانات.
٣. مرحلة البحوث المستندة إلى فروض محددة تبنى عليها البحوث وتوجه الباحث إلى الحصول على بيانات محددة وإستبعاد غيرها من البيانات ويأخذ البحث فى هذه المرحلة نمط البحث التجريبى الذى يوظف الطرق والأساليب الإحصائية.
٤. مرحلة التجريب العلمى، التى تهدف إلى التوصل إلى التعميمات والنظريات، وتخضع التجربة فيها إلى ضوابط معينة تتحكم فى الظروف التى تجرى فيها التجربة[٢٥].

إن وظيفة البحث العلمى فى ضوء ما سبق تتمثل فى سبر أغوار الظواهر المحيطة بنا لنتمكن من فهمها وتفسيرها والسيطرة عليها وتوجيهها والتنبؤ بمستقبلها ونتائجها، وفضلاً عن ذلك التوصل إلى وضع التعميمات وبناء التصورات فى ضوء حقائق الواقع التى تمدنا بها أساليب البحث وأدواته المستقرة والمختبرة والمحكمة. بيد أن إجراء البحث العلمى فى مجتمعنا المعاصر الذى يتسم بالتعقيد والتركيب ليس بالأمر اليسير حيث يتطلب نوعية من الأفراد مدركين تلك الحقيقة وقادرين على الدفاع عن حقائق العلم والدعوة لها،

والإبتعاد عن كل ما يشوه المعرفة العلمية ومنهجها وأدواتها ودورها. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل يكون قادراً على التفرقة والتمييز الدقيق بين ما هو علمى وغير علمى، أى إمتلاكه لعقلية ما يمكن تسميته بممارس البحث.

ومن ثم فإن البحث العلمى، وبخاصة نمط البحوث التى تستهدف صياغة التعميمات ووضع النظريات وإكتشاف القواعد التى تحكم قوانين الظواهر المسيطرة على الإنسان، لا يمثل متعة كمالية يخص بها نفسه أحد المفكرين المنعزلين عن واقع المجتمع وعن تيار الحركة فيه، بل يمثل هذا البحث نشاط إنسان يشعر بإنتمائه إلى ذلك المجتمع الذى يحاول التعرف عليه ويستمد منه الرغبة فى تغيير هذا المجتمع دافعاً له ومشجعاً على مواصلة هذا البحث[٢٦].

خامساً : مفهوم البحث الاجتماعى وأهم خصائصه.

يكتفى البعض بتحديد المقصود بالبحث الاجتماعى من خلال الاقتصار على المعنى البسيط للبحث، والقول بأن عملية البحث تتم فى أبسط صورها فى حياتنا اليومية بأكثر من مظهر وشكل، فعندما تصادفنا بعض المشكلات ونحاول الوصول إلى حلول لها بطريقة وأخرى، فإننا فى هذه الحالة نقوم بعملية لا تختلف فى شكلها عن عملية البحث الاجتماعى، بحيث تزداد قدراتنا على حل المشاكل اليومية كلما زادت وتعددت المواقف التى نجابهها وتتطلب البحث عن حل لها[٢٧]. ويعتبر البحث بهذا المعنى البسيط بمثابة محاولة لحل مشكلة، وبقدر زيادة المواقف المشكلة التى تحتاج إلى بحث تنمو قدرتنا على إجراء البحث والتوصل إلى حلول سلمية ما امكن ذلك.

ولكن عندما وجد البعض الآخر من المهتمين والمشتغلين بالبحث الاجتماعى أن هذا التعريف للبحث الاجتماعى يمتاز بأنه تعريف شكلى لا يمس مضمون البحث وجوهره، فكرو فى تقديم

تعريف آخر دقيق على حد تعبرهم، ومن هنا تعددت محاولتهم للوصول إلى مثل هذا التعريف إلى درجة يصعب معها الإحاطة بكل ما أسهموا به فى هذا الصدد.

ومع هذا يمكن أن يساعدنا تصنيف هذه المحاولات والاستشهاد بأمثلة منها على التوصل إلى المقصود بالبحث الاجتماعى فالملاحظ أن بعض هذه التعريفات كانت تهتم بتوضيح المقصود به من خلال التركيز على أهدافه، بينما إهتم بعضها الآخر بالتركيز على إجراءاته وإنصراف بعضها الثالث نحو بيان المقصود به بإعتباره سلوكاً له خصائص مميزة.

أ- تعريف البحث الاجتماعى من خلال أهدافه.

فقد يحدد البعض البحث الاجتماعى بإختصار على انه مسئولية علمية تعتمد على طرق منسقة ومنطقية فى تحقيق الأهداف التالية:

١. إكتشاف وقائع جديدة أو التحقق من وقائع قديمة.
٢. تحليل تتابع هذه الوقائع وعلاقتها المتبادلة، وتفسيراتها العلمية أو السببية والتى تم اشتقاقها من إطار مرجعى أو نظرى مناسب.
٣. تنمية أدوات علمية جديدة ومفاهيم ونظريات قد تعين فى الدراسة الثابتة والصادقة للسلوك الإنسانى.

وهكذا يتمثل الهدف الأول للبحث سواء البعيد أو المباشر فى إكتشاف وتحقيق فهم السلوك الإنسانى والحياة الاجتماعية، حتى تزيد قدتنا على التحكم فيها[٢٨]. كما يحدد البعض الأخر البحث الاجتماعى بإعتباره: عملية تقصى أو فحص دقيقة للوصول إلى حقائق أو قواعد عامة والتحقق منها[٢٩]. وكذلك ينظر إليه على أنه نشاط إنسانى مقصود وموجه نحو غايات أو أهداف معينة سواء أكان هذا النشاط يتم عن وعى أو قصد أو بدون وعى او قصد.

ب- تعريف البحث الاجتماعى من خلال إجراءاته ومنهجه.

ويحدد البعض الثالث البحث الاجتماعى بأنه: عبارة عن منهج منسق لإكتشاف وتحليل وتصور الحياة الاجتماعية بهدف تطوير وتصحيح أو التحقق من المعرفة سواء أكانت هذه المعرفة تساعد فى بناء نظرية أو فى تطبيق أحد النتائج.

والبحث الاجتماعى فى تعريف رابع عبارة عن وسيلة لغاية ما بمعنى انها تهدف إلى حل مشكلة- عملية أو منهجية. وهى تهدف إلى كشف العلاقات بين البيانات المتراكمة أو التحقق من صدقها ويمكن السير فى هذه الخطوات فقط بواسطة المنهج العلمى بمعنى التطبيق المنطقى والمنسق لأسس العلم على التساؤلات العامة والشاملة للدراسة. وإستخدام الطرق العلمية التى تمدنا بالأدوات العلمية والإجراءات الخاصة والوسائل الفنية التى تهدف إلى توفير البيانات وترتيبها قبل معالجتها منطقياً وإحصائياً.

ج- تعريف البحث الاجتماعى بإعتباره سلوكاً.

ويحدد البعض الأخير البحث الاجتماعى بإعتباره سلوكاً مناسباً يتمسك بقيم معينة فى علاقات الباحث بإخبارييه وبمن يمدونه بالبيانات. ويحتاج الباحث بالإضافة إلى تدريبه وخبرته على فنون العلم والبحث إلى أن يكون متميزاً بالحساسية للعلاقات الإنسانية[٣٠].

د- المفهوم الحديث للبحث الاجتماعى.

ولكن لما كانت هذه التعريفات السابقة والتى تزعم الدقة تركز كل منها على جانب دون آخر من جوانب البحث الاجتماعى، فتوجه بعضها الأفكار نحو أهدافه، ويهتم بعضها بإجراءاته ومنهجه، وتتصرف غيرها نحو توضيح سلوكيات الباحث ومميزاته برزت الحاجة إلى تعمق تراث البحث الاجتماعى الحديث بحثاً عن تعريف أكثر وضوحاً وشمولاً من تلك المحاولات السابقة.

ولعل أول خطوة يجب ان نخطوها فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف، أن نشير إلى تلك الإنطباعات الخاطئة التى قد تعلق بذهن الطلاب أو المشتغلين بالبحث الاجتماعى وهى:

أ- قد يظن البعض أن عملية جمع عدد قليل من الوقائع والبيانات تم تسجيلها كتابة فى ورقة أو عرضها بطريقة موثقة تعتبر بمثابة بحثاً، ولكن مثل هذا العمل بالطبع لا يزيد على مجرد عملية الحصول على وقائع أو بيانات تم توصليها للآخرين.

ب- كما قد يظن البعض الثانى خطأ أيضاً أن عملية نقل المعلومات من المؤلفات أو المراجع ثم عرضها والإشارة إلى المصدر الذى نقل عنها فى الهامش، تعتبر من قبيل البحث، ولكن هذا العمل لا يزيد فى شئ عن مجرد نقل المعلومات.

ج- بل قد يظن فريق ثالث أنه يمكن أن نطلق على النتيجة النهائية لعملية نقل الحقائق وكتابتها فى بعض الأوراق تقرير بحث. غير أنه ربما كان ذلك العمل يعد بمثابة تقريراً أو حتى وثيقة ولكن ليس بحثاً بالمرة.

ومرد هذه التصورات الخاطئة حول البحث، راجع إلى أن أصحاب هذه التصورات لم يكابدو مشقة التفكير فى الحقائق التى قاموا بجمعها أو نقلوها، وإنما نظروا إلى هذه الحقائق بإعتبارها أهدافاً فى حد ذاتها، والواقع أن عملية جمع الحقائق ما هى إلا أحد العناصر المكونة لعملية شاملة هدفها النهائى الكشف عن دلالة ومغزى هذه الوقائع من أجل إكتشاف الحقيقة(٣١).

إذ يسعى البحث الاجتماعى بعبارة أخرى إلى تفسير الظواهر الاجتماعية التى لم يتم تفسيرها بعد، وإلى توضيح أو تجلية تلك المشكوك فيها، وتصحيح الحقائق المتعلقة بالحياة الاجتماعية التى أسئ إدراكها أو فهمها(٣٢).

كما أن الباحث لا ينظر إلى حقائقه بإعتبارها ظواهر منفصلة أو منعزلة وإنما ينظر إليها على أنها ترتبط إرتباطاً وثيقاً وتتشابك مع بعضها الآخر، وهذا ما عبر عنه "كون" قائلاً:

إن الحقائق لا يمكن أن تكون مفهومة أو واضحة إلا إذا ربطت بحقائق أخرى وأوضحت على إنها جانب من نسق أكبر. ومما نبه إليه أيضاً "بافلوف" قائلاً لا تجمع الحقائق لمجرد جمعها، وإنما حاول أن تتعمق سر حدوثها وعلاقتها المتبادلة، وأبحث بإستمرار عن أسباب حدوثها والعلاقات المتبادلة بينها، ومثل هذا النوع من البحث لا يمكن إنجازه بدون منهج منسق وأسلوب متقن فى العمل.

كما لا يعتقد الباحث فى أن الحقائق والأرقام تتحدث عن نفسها وإنما هى أمور معقدة للغاية وغامضة، وفى حاجة إلى تفسير وتحليل[٣٣].

وهكذا، فالباحث الاجتماعى أولاً وقبل كل شئ يحدد طريقه في التفكير واسلوب للنظر إلى الوقائع، يصبح معه معنى المعطيات التى تم جمعها واضحاً فى ذهن الباحث، كما أنه أسلوب يحل به الأفراد المشكلات الصعبة فى محاولة تجاوز حدود الجهل الإنسانى[٣٤]. وهذا الأسلوب يتميز بعدد من الخصائص يحتاج الوقوف عليه تناولها بالتفصيل على النحو التالى:

(٢) خصائص عملية البحث الاجتماعى.

للبحث عدة خصائص منفصلة أو متميزة، تظهر تباعاً بحيث قد تبدو فى نظر الباحث على أنها عدد من الخطوات، يجب أن نكون على دراية تامة بها، وأن نأخذ بها جميعاً لنقف على المدخل الخاص فى إكتشاف الحقيقة والذى نطلق عليه إسم البحث الاجتماعى.

أ- يبدأ البحث بسؤال فى ذهن الباحث.

فالإنسان حيوان محب للإستطلاع، وهو ينظر أينما يوجد إلى الظواهر التى تثير حبه للإستطلاع، والتى تثير لديه الدهشة والتأمل وتجعله يطرح التساؤلات المناسبة فإنه يستطيع أن يخلق المناخ المواتى، ويكون الإستجابة المعرفية للوقائع الهامة التى تعد بمثابة مطلباً أساسياً للبحث ذاته، لأن البحث ينشأ عن سؤال طرح بطريقة ذكية فى وجود ظاهرة ما قد لاحظها الباحث ووجد أنها تثير فى نفسه الحيرة. ويجد الباحث من خلال طرحه للأسئلة المناسبة ما يعينه على تحديد الهدف من مطلبه من أجل الحقيقة، فانظر حولك حيث المواقف المشكلة والمحيرة التى تضطرك إلى وضع الأسئلة مثل: كيف؟ وما هو سبب ذلك؟. وما الذى يعينه كل ذلك؟. هنا مثلاً نجد موقفاً من مواقف الحياة الواقعية المألوفة، فيه بدأ طفلان من نفس الحى دراستهما وإلتحقا بنفس الفصل الدراسى، وأخذا يتلقيان دروسهما على نفس المدرس. احدهما تعلم كيف يقرأ، وتقدم بسرعة. والآخر وجد صعوبة كبرى فى القراءة...فلماذا، ما الذى نعرفه حقاً حول التعلم الإنسانى وعملية القراءة؟ وما الذى لا نعرفه حول التعلم الإنسانى؟. وما هو أصل العجز فى القراءة فى المراحل المبكرة من الدراسة؟. هذه أمثلة على التساؤلات التى تكشف حاجة الإنسان إلى المعرفة. وهى أيضاً تساؤلات تشير إلى نقطة الإنطلاق فى البحث، والتى من خلالها يمكن أن تكتشف الاجابات فى ضوء الوقائع. وهكذا يبدأ البحث بعقل متسائل وتوافق إلى المعرفة ففى وجود وقائع محيرة ومشكلة.

ب- البحث يتطلب خطة.

ليس البحث بمثابة أمل ساذج فى أنك ستكشف على نحو ما وبطريقة معينة الوقائع التى تحتاجها أو الحقيقة التى تسعى وراءها. وهو ليس نشاطاً لا هدف من ورائه أو غير موجه، كما أنه ليس مجرد النظر إلى شئ ما بأمل التوصل إلى حل لمشكلتك، وإنما يتطلب البحث

أكثر من ذلك، ونعنى أنه يحتاج إلى خطة محددة وتصميم وتوجيه[٣٥]. وذلك من خلال السير على خطواته وإجراءاته ومناهجه وطرائقه وأدواته أو ما تطلق عليه بلغة البحث العلمى الاجتماعى.

ويجب أن تسير عملية البحث برمتها فى اتجاه هدف محدد إبتداء من الشعور بالحاجة إلى المعرفة حتى النقطة التى تتحدث فيها الوقائع ذات الصلة إلى الباحث، وتمده بإجابة وبين هذين الطرفين يجب أن تكون هناك قضية واضحة تعبر عن مشكلة البحث، وتطوير للفروض، وتصميم لجمع وتفسير الوقائع، وفى النهاية إختبار للفروض، والتوصل إلى النتائج المستندة إلى وقائع، وهكذا، فإن البحث يعد إجراءاً منظماً ومنطقياً فى تصميمه.

ج- يحتاج البحث إلى عرض مشكلته فى تعبير واضح.

يبدأ البحث الناجح بعبارة واضحة وبسيطة تعبر عن مشكلته، ويجب بلورة التساؤلات المحيرة التى لم يجب عنها ويجد الباحث انها أساسية لموقف البحث منذ بداية العمل فى البحث فى قضية تامة ودقيقة من ناحية القواعد اللغوية لتحدد مقدماً وبوضوح ما الذى يسعى الباحث إلى إكتشافه، والسبب فى ذلك واضح، إذ قبل أن نبدأ يجب أن نفهم المشكلة وننظر إليها بطريقة موضوعية، كما يجب أن ندرك بوضوح ما الذى نحاول بحثه، ولكن ضرورة التعبير عن المشكلة المحددة فى قضية دقيقة يهدف البحث إلى حلها يجب الا نقلل من اهمية التأكيد عليها[٣٦].

د- يعالج البحث المشكلة الرئيسية من خلال مجموعة مشكلات فرعية.

تنطوى معظم المشكلات التى يمكن إجراء بحوث حولها على مجالات مشكلة أخرى متباينة أقل أهمية وتأثيراً. ونتيجة لأن الكثير من الباحثين لا يأخذون الوقت الكافى ولا المخاطرة فى عزل المشكلات الفرعية فى إطار المشكلة الرئيسية، يصبح تحديدهم لمشروع بحثهم مرهقاً،

وغير علمى، وصعب التناول لضخامته، ولذلك كان من المناسب عملياً أن نقسم هذه المشكلة الأساسية إلى مشكلات فرعية مناسبة، بحيث انه عند حل كل واحد منها سوف يترتب على ذلك حل مشكلة البحث الأساسية.

ولتوضيح ذلك نسوق المثال: "لقد أصبح للجماعة نظاماً تعليمياً متغيراً ونام على نحو سريع خلال ثلاثة الأرباع الماضية من هذا القرن"

وكان ينظر إليها فى الأصل على أنها مدرسة عليا تهتم بالعلوم الاجتماعية، ولكنها غيرت اهتمامها ما تركز عليه خلال هذه السنوات، والآن أصبح لهذه الجامعة نظاماً تعليمياً مغايراً تماماً كان يتصوره لها الآباء المؤسسون. ويستند هذا النظام التعليمى إلى فلسفة وإهتمام رئيسى وجوهرى للوسط التعليمى الذى وجدت فيه. لقد أراد أحد الطلاب التعرف على الفلسفة التعليمية الأساسية للجماعة المذكورة وهو هنا يعبر عما يريده صراحة، ومن المسائل المعروفة ضمناً أن التاريخ يؤثر فى بناء وسياسات الجامعة والطريقة التى تعمل بها. وأكثر من ذلك، كانت النتائج المتراكمة عن أحداث الماضى هى المسئولة عن التغير الجوهرى فى إتجاه الجامعة، وإن كانت القضية المحورية فى هذا البحث قد بدأت فى الظهور بالنظر إليها من هذا المنظور الشامل إلا أنه يمكن لنا أن نعيد صياغة الموضوعات مرة ثانية ونعالج المشكلة الرئيسية المتعلقة بالفلسفة التعليمية لهذه الجامعة على نحو اكثر فعالية من خلال النظر أولاً إلى بعض الجوانب الأقل أو المشكلات الفرعية فى إطار هذه المشكلة الرئيسية:

أ- ما الفلسفة التعليمية الأصلية التى أخذ بها المؤسسون والإدارة المبتكرة للجامعة؟

ب- الاحداث الرئيسية التى كانت سبباً فى تغير تلك الفلسفة؟

ج- ما الفلسفة التعلمية الحالية للجماعة؟

وسوف تمدنا هذه المشكلات الثلاث الفرعية والتى يجاب عليها فى ضوء المعطيات المستخلصة من الوثائق ومنشورات وكتابات الجامعة وغيرها من المصادر المماثلة بالإجابة على المشكلة الرئيسية للبحث[٣٧].

هـ - يتلمس البحث وجهته مستعينا بفروض مناسبة.

يعد تحديد المشكلة والمشكلات الفرعية المرتبطة بها يعبر عن كل واحد من المشكلات الفرعية فى صورة أبنية فرضية منطقية تعرف بأسم الفروض، فالفروض عبارة عن قضية منطقية أو تخمين معقول، أو هو علاقة مدروسة قد توجه أو تحدد وجهة الفكر فيما يتعلق بالمشكلة، الأمر الذى يساعدنا فى حلها.

وتعد الفروض بمثابة جانباً من خبرتنا فى الحياة اليومية تلك التى نستعين بها فى معالجة مشكلات الحياة اليومية، وهى تمثل النشاط الطبيعى لعقلنا البشرى أن شيئاً ما يحدث فنحاول فى الحال تفسير سبب حدوث هذا الشئ بواسطة سلسلة من التخمينات والإفتراضات أو الإستنتاجات المنطقية، ونحن عندما نفعل ذلك فإننا نقوم بعملية وضع فروض، فمثلاً إذا قمت بإدارة مفتاح سيارتك، وأضاءت السيارة دون أن يعمل موتورها، هنا انت تواجه مشكلة تحتاج لبحث. ما الخطأ الذى حدث ؟ لماذا لم تتحرك السيارة؟ فأنت تبدأ الآن سلسلة من التخمينات المعقولة لتحديد سبب هذه المشكلة[٣٨]. وبعبارة أخرى قد تفترض الاحتمالات العديدة التالية:

- ليس هناك بنزين فى الخزان.
- شمعات الاشتعال قد عطلت.
- ترسبت شوائب فى موزع الكهرباء تسببت فى هذا العطل.

وكل واحد من هذه الإفتراضات يوجهنا فى البحث عن الوقائع التى تحدد السبب الحقيقى لماذا لم يعمل موتور السيارة عند هذه النقطة نبدأ فى جمع الوقائع، فقد نقوم بمراجعة وعاء البنزين

ونجده ممتلأ حتى منتصفه- فى هذه الحالة لا يصح الفرض الأول. ولما كان الموتور قد اعيدت صيانته وتم تركيب شمعات إحتراق جديدة، فهذا معناه أن الفرض الثانى ليس له أساس من الصحة. عندئذ قد تنظر من شباك السيارة، وتلاحظ ان السيارات الأخرى قد ازيل من موقعها آثار الرطوبة وضباب الصباح الباكر، هنا قد يؤدى بنا الفرض الثالث إلى حل مشكلة توقف السيارة. ولإختبار هذا الفرض أرفع غطاء الموزع وقم بتنظيف ما ترسب داخله ثم أرجع مرة ثانية. هنا تبدأ السيارة فى الحركة، وهذا ما يؤيد الفرض الثالث وبالمثل عندما تواجهك مشكلة للبحث ضع تخمينات مدروسة تساعدك فى إكتشاف الحل وإعطائك الوجهة التى تسير فيها بحثاً عن الوقائع.

و- البحث يتناول وقائع ويوضح معانيها.

وبعد عزل المشكلة وتقسيمها إلى مشكلات فرعية مناسبة، ووضع الفروض التى سوف تشير إلى الوجهة التى قد نجد فيها الوقائع، فإن الخطوة التالية هى جمع الوقائع التى تبدو أن لها صلة بالمشكلة ثم تنظيمها فى مجموعات ذات معنى تمكن من تفسيرها.

فالوقائع والأحداث والملاحظات هى فى حد ذاتها مجرد وقائع وأحداث وملاحظات ولا تزيد على ذلك شيئاً. إلا أنها تنطوى على معان ممكنة، وتعتمد دلالة هذه المعطيات بشكل متكرر على الطريقة التى تنظر بها إلى الوقائع وعلى الأسلوب الذى تؤخذ به المعطيات فى الاعتبار. وغالباً ما يستخلص الباحثون معان مغايرة تماماً من نفس مجموعة المعطيات، لأنه ليس هناك قاعدة واحدة توجهنا نحو التفسير الصحيح.

فقد يدرس باحثان من علماء التاريخ نفس السلسلة من الأحداث، وقد يكونا على درجة مساوية من الكفاءة والأمانة فى استجاباتهم، ولكن أحدهم قد يستخلص من وقائع التاريخ متبعاً

نفس الأسلوب معان مغايرة تماماً لما قد يصل الأخير إليه من تفسيرات فأيهما أصوب؟ ربما كان هما الاثنان، أوربما لم يكن واحداً منهما على صواب[٣٩].

ز- البحث عملية دائرية.

تبدأ دائرة البحث بعقل ممتلئ بالتساؤل يواجه موقفاً محيراً أو مشكلاً. ولكي يرى الباحث هدفه بوضوح يقوم بعزل المشكلة المحورية، قد يقسم بعد ذلك المشكلة المحورية إلى مشكلات فرعية التي تمثل كل واحدة منها جزءاً متكاملاً في الكل الأكبر وبحيث تكون في مجموعها مشكلة البحث الأساسية.

وما أطلقت عليه اسم البيئة التي يظهر عنها المشكلة التي يمكن بحثها، يمكن أن نطلق عليها اسماً أكثر مناسبة هو عالم البحث "Research Universe"* وهو العالم الذي يحتمل أن يمدنا بالوقائع أكثر من غيره. وينقب الباحث داخل هذا العالم عن تلك الوقائع الخاصة التي تبدو أنها وثيقة الصلة بحل المشكلة والمشكلات الفرعية لها. ويعمل بناء الفروض التجريبية "Tentative" على تسهيل بحثه، لأنها تشير إلى الوجهة التي يجد فيها الباحث الوقائع المناسبة، ثم يقوم بتنظيم الوقائع التي تم جمعها وتحليلها وتفسيرها من أجل إكتشاف ما الذي تعنيه هذه الوقائع ويساعد هذا الاكتشاف بدوره على حل المشكلة. ويجيب هذا الحل عندئذ على السؤال الذي أدى إلى قيام البحث في الأصل، وهكذا فإن الدائرة تكتمل وتلك هي الصيغة التي تميز كل البحوث الأساسية.

المراجع المستخدمة

(١) محمد عارف عثمان، مناهج وطرق البحث الاجتماعى، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٠، ص ١٧.

(٢) محمد محمد الهادى، أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الاكاديمية، ١٩٩٥، ص ٢٦.

(٣) فؤاد مرسى، المنهج بين الوحدة والتعدد: رؤية تحليلية فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٤، ص ٦١.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٦.

(5) Roy G. Francis: " The Nature of Scientific Research" In Fund Bale & Clifton D. Bryant, Introductory Sociology, Rand Mc. Nelly and Co. Chicago, 1980, PP. 19-23.

(6) W.Goode and P.Hatt: Methods in Social Research, 1952, p7.

(7) Webts New Twentieth Century Dictionary of Englands Language, 1960, p 1622.

(8) K.Pearson: The Grammer of Science, 1911.

(9) T.Andrews: Methods of Psychology, 1948, p5.

(١٠) ليفى بريل، فلسفة أوجست كونت، ترجمة: محمود قاسم، السيد محمد بدوى، القاهرة، ١٩٥٣، ص ٦٥.

(١١) إقترح هذه الترجمة لكلمة "Common Sense" الدكتور احمد زكى فى الباب الأول من كتابه "مع الله... فى السماء"، دار الهلال.

(١٢) يعرف المنطق الصورى لأنه يدرس صور التفكير دون البحث عن طبيعة الموضوعات التى ينصب عليها بحسب الواقع، فقد يفرض مقدمات ويستخرج نتيجتها بحسب قوانين التفكير وصدق النتيجة هى فى لزومها عن المقدمات وليس فى مطابقتها.

(13) E.Goblot: Trait de Logique ed, 1937, p.247.

(١٤) محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ص ٥٠.

(١٥) توفيق الطويل، خصائص التفكير العلمى، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، ١٩٧٣، ص ١٥٥.

(١٦) زكى نجيب محمود، فلسفة وفن، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣، ص ١٧٠.

(١٧) برتراند راسل، الفلسفة بنظرة علمية، ترجمة: زكى نجيب، ص ١٣١.

(١٨) برتراند راسل، أصول الرياضيات، ترجمة: أحمد مرسى، احمد فؤاد الأهوانى، الجزء الأول، القاهرة، منشأة المعارف، ١٩٥٨، ص ٢٤.

(١٩) دينكن ميتشل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، بيروت دار الطليعة، ١٩٨١، ص ١٤٤.

(٢٠) يحيى هويدى، المعرفة والعلوم الاجتماعية فى إشكالية العلوم الاجتماعية فى الوطن العربى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ص ٣١.

(٢١) محمد على محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمى، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣، ص ٣٧.

(٢٢) محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص ٢٧.

(٢٣) عاطف غيث، علم الاجتماع، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٦، ص ١٧٣.

(٢٤) محمد عارف عثمان، مناهج وطرق البحث الاجتماعى،مرجع سابق، ص ١٧.

(٢٥) محمد محمد الهادى، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢٦) محمد الجوهرى، طرق البحث الاجتماعى، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ٤٨.

(٢٧) جمال ذكى، السيد يس، أسس البحث الاجتماعى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢، ص ٩.

(28) P.v. Young, Scientific Social Survey and Research, P.30.

(٢٩) عبد الباسط حسن، أصول البحث الاجتماعى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٦، ص ١٣٤.

(30) P.v. Young, op.cit, p.31.

(31) Paul, d, Ieedy, Practical Research, Planning and Design, Macmillan, Pub, co, Inc., New York, 1974, p.4.
(32) P.v. Young, Scientific Social Survey and Research, P.30.
(33) Ibid, pp. 31-32.
(34) Paul, d, Ieedy, op.cit., p5.
(35) Ibid, p.5.
(36) Ibid, p.5.
(37) Ibid, p.5.
(38) Ibid, p.6.
(39) Ibid, p.6.

(*) وهو مفهوم ربما كان من الأفضل إدراكه بالنظر إليه فى ضوء معناه. فهم يعنى ببساطة المجال المحيط بالمشكلات والذى قد يحتوى على وقائع وثيقة الصلة بالمشكلة، وتعنى هذه الكلمة حرفياً مجال الوقائع الذى يدور حول المشكلة المحورية، والمشكلة الرئيسية للبحث.

الباب الأول

مناهج البحث الاجتماعى

الفصل الأول : المنهج التاريخى.

الفصل الثانى : المنهج التجريبى.

الفصل الثالث : المنهج المقـــارن.

الفصل الأول

المنهج التاريخى

تمهيد.

أولاً : تعـــــريف المنهـــج التاريخى.

ثانياً : مصـــــادر المنهـــج التاريخى.

ثالثاً : خطـــوات المنهـــج التاريخى.

رابعاً : مـــزايا وعيوب المنهج التاريخى.

تمهيد.

هناك العديد من المناهج التى تستخدم فى إجراء البحوث الاجتماعية، فنجد أن هناك المنهج التاريخى والمنهج التجريبى والمنهج الوصفى.. وغيرها من المناهج وذلك نظراً لعدم إمكانية استخدام منهج واحد في إجراء مختلف البحوث الاجتماعية فى شتى مجالاتها حتى نتحرى الدقة.

فالمنهج التاريخي هو ما سوف يتم تسليط الضوء عليه في هذا الصدد، فنجد أن المنهج التاريخي هو منهج قديم واستخدم منذ القرن الرابع عشر الميلادى، ثم بعد ذلك توالت استخداماته.

ومن أهم رواد هذه المنهج "ابن خلدون" وهو أول من استخدم المنهج التاريخي في مقدمته الشهيرة في القرن الرابع عشر. كما أن هناك الفيلسوف الإيطالي "جيوفاني باتستيا فيكو" الذي يقر بأن العلوم يجب أن تتخذ العصر الذي بدأ فيه الموضوع الذي تعنيه بالبحث كنقطة بداية للدراسة في هذا الموضوع. ثم الفيلسوف الفرنسي "سان سيمون" الذي يرجع إليه الفضل في الربط بين المنهج التاريخي والمنهج العلمي.

وفي هذا الفصل سوف نتناول عرض لكل من تعريف المنهج التاريخى وأهم المصادر سواء أكانت أولية أو ثانوية، والخطوات التي يتم اتباعها عند إجراء المنهج التاريخى وذلك بداية من انتقاء المشكلة وحتى وضع البحث في صورته النهائية، ثم مزايا وعيوب المنهج التاريخى وأهم استخداماته، وأخيراً الصعوبات التى تواجه الباحث عند استخدام هذا المنهج.

أولاً: تعريف المنهج التاريخى.

يعرف المنهج التاريخى على أنه "عملية استخلاص المبادئ من خلال البحث في أحداث الماضي وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشاكل والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر هو ما يطلق عليه أسم المنهج التاريخي Historical method"[1].

ونستخلص أن المنهج التاريخى فى هذا التعريف يكون معتمداً بصورة كبيرة على خيال وقدرة الباحث على استخلاص وكتابة المبادئ من خلال الأحداث الماضية وأيضاً قدرته على تحليل الحقائق المتعلقة بالمشاكل والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر أو كانت عاملاً في ظهوره.

كما يعرف المنهج التاريخي على أنه "تقويم مصادر المعلومات المتصلة بالماضي لتحديد أصالتها ومدى صحتها، وتحليل المصادر الأصلية بهدف الحصول على بيانات مفصلة عن المرحلة التي استخدمها المؤرخون من السجلات المدونة بجميع نماذجها (كالقانون، والسجلات العامة والتقارير، ووثائق العمل والصحف والرسائل، وملاحظات الرحالة والتراث بجميع صوره وأشكاله). وكذلك الخلفيات الفيزيقية كالمباني والأشياء المصنوعة"[2].

ويعرف كذلك على أنه " الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث والتقصي والاستقراء في أحداث الماضي وتحليل ما يرتبط منها بمشكلات الحاضر الراهن"[3].

وقد يؤكد هذا التعريف مع التعريف الأول سالف الذكر على ضرورة التوصل إلى المبادئ والقوانين ولكن يختلفان في طريقة الوصول إليها ففى التعريف الأول يرى أن المبادئ يمكن استخلاصها وذلك من خيال الباحث واستنتاجاته أما التعريف الخاص الحالى فهو يرى أن هذه المبادئ يمكن التوصل إليها عن طريق البحث والتقصي في أحداث الماضي.

ويعرف المنهج التاريخي على أنه "ينهض على فكرة أساسية قوامها أن الحاضر هو جزء من التاريخ، أي من العملية التاريخية في حركتها الدائمة".

وهذا التعريف يحدد منذ البداية – مسلمة أساسية – وهي "أنه لا يمكن فهم، طبيعة الجزء إلا من خلال الكل الاجتماعي في حركته التاريخية وصيرورته المستمرة"(٤).

لذا فإن المنهج التاريخى "على أية حال لا يبحث في الظواهر الإنسانية وحدها، بل يبحث أيضاً في الظواهر الماضية أياً كان نوعها فهو يدرس ماضي الطبيعة وماضي المجتمعات، ويمكن معالجة جميع الظواهر على أساسين مختلفين أحدهما نظري والآخر تاريخي"(٥).

كما أن هناك تعريفات أخرى للمنهج التاريخى:

فيقصد بالمنهج التاريخي أنه عبارة عن إعادة الماضي بواسطة جمع الأدلة وتقويمها ومن ثم تمحيصها وأخيراً تأليفها، ليتسم عرض الحقائق أولاً عرضاً صحيحاً في مدلولاتها وفي تأليفها، وحتى يتم التوصل حينئذ إلى استنتاج مجموعة من النتائج ذات البراهين العلمية الواضحة.

فهو يصف ويسجل ما مضى من وقائع وأحداث الماضي ويدرسها ويفسرها على أسس علمية منهجية ودقيقة، بقصد التوصل إلى حقائق وتعميمات تساعد في فهم الحاضر على ضوء الماضي والتنبؤ بالمستقبل.

حيث يصف الأحداث التى وقعت في الماضي وصفاً كيفياً، ويتناول رصد عناصرها وتحليلها ومناقشتها وتفسيرها، والاستناد على ذلك الوصف في استيعاب الواقع الحالي، وتوقع اتجاهاته المستقبلية القريبة والبعيدة(٦).

خلاصة الأمر أن المنهج التاريخي (الإستردادي): "يعتمد هذا المنهج على استرداد التاريخ أو الماضي واكتشاف حلول للمشاكل الجارية على ضوء ما تم في الماضي، ويعتمد كثيراً على جمع المعلومات التاريخية ونقدها وتحليلها، ومن المناسب الإشارة إلى أن المحاسبة وخاصة (المحاسبة المالية) تعتمد على مبدأ (التكلفة التاريخية) في تسجيل الأحداث الماضية، مما يعني أنها تعتمد على منهج البحث الاستردادي في تسجيل الأحداث الماضية، كما أنه يقوم على بحث المشكلات والظواهر الاعلامية فى سياق الوقائع والاحداث وتسجيلها كما حدثت مثل هذه المشكلات فى الماضى مثل تسجيل المؤسسات والوسائل الاعلامية والبارزين فيها كالسير والتسجيلات الاعلامية.

فهو " فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان ومسائله وأحواله المفصلة للجزيئات تحت دائرة الأحوال المعارضة للإنسان في الزمان[٧]".

ثانياً: مصادر المنهج التاريخى.

نجد أن مصادر المعلومات التاريخية تتسع لتضم كافة أشكال التوثيق المسطور منه أو الحي، المتمثل في المخلفات الأثرية أو النماذج الحضارية سواء ما كان منها مصدراً أصلياً وأساسياً أو ما كان مصدراً اشتقاقياً أو ثانوياً.

ولا يستطيع الباحث أن يحدد بصورة مسبقة ترتيباً تنازلياً يمثل الأهمية النسبية لكل مصدر من مصادر المعلومات، إذ أن ترتيب هذه المصادر يتفاوت من بحث لآخر. فبينما تعبر سلاسل الأنساب ذات أهمية حيوية في بحث ما، فإن المعطيات الأركيولوجية أو المستندات أو الوثائق الرسمية أو الشهادات وما إليها، يعتبر كل منها المصدر الأول بالنسبة لموضوع معين، ومن جهة أخرى قد يكون للمصادر الحية من المعاصرين للظاهرة موضوع البحث أهمية توثيقية من الدرجة الأولى.

على أنه في جميع هذه المصادر ينبغي على الباحث أن يحدد أو يميز بدقة بين مصادر الدرجة الأولى ومصادر الدرجات التالية. فقد يكون المصدر أصلياً – إذا كان يعبر بصورة مباشرة عن الهيكل التاريخي للظاهرة – وقد يكون اشتقاقياً إذا كان منتسباً إلى مصدر آخر سواء كان هذا المصدر في نفس مرتبته أو في مرتبة أعلى منها. وعلى الرغم من أن كلا المصدرين له أهميته التوثيقية إلا أنه من الضروري عند استخدام المنهج التاريخي مقارنة المصادر الاشتقاقية بالمصادر الأصلية للوقوف على درجة كفاءتها. ولا يعني ذلك – بالضرورة – صلاحية المصدر الأصلي بصورة مطلقة، فقد يكون مزيفاً أو مشوهاً أو مبتوراً مما يؤثر في درجة صدقه وفي دقته كوسيلة للتوثيق التاريخي. وعلى هذا فإن تداول مثل هذه المصادر - على المستوى الاشتقاقي أو الأصلي. يتطلب التدقيق في فحصها والتأكد من سلامتها بكافة وسائل الاختبار والمقارنة المتاحة[٨].

كما أن هناك من يرى أن هذا المنهج يستند إلى البيانات التاريخية التي ظهرت على مسرح الحياة وتنقسم إلى:

- آثار إنسانية في شكل مبان وإنشاءات أو أدوات ومعدات.
- بيانات شفوية في شكل قصص وحكايات تنتقل من جيل إلى جيل.
- وثائق أو آثار مكتوبة في شكل أي نوع من أنواع التسجيل.

وتنحصر مهمة الباحث في النظر إلى هذه المصادر وفحصها ودراستها، واستخلاص النتائج منها، والربط بين هذه النتائج لإعداد وصف الماضي، أو تحليل أو تفسير للوقائع والأحداث، والتعرف على معالم المسارات التي تتخذها الظواهر، والتاريخ لا يعيد نفسه على الأقل من وجهة نظر البحث العلمي[٩].

وهناك أيضاً مصادر أخرى تتمثل في:

١. الوثائق Documents والمصادر التاريخية التي يستخدمها المؤرخ نفسه.
٢. موارد التاريخ الحضاري والتاريخ التحليلي.
٣. المصادر الشخصية المجمعة عن طريق ملاحظين وشهود موثوق بهم.

فالوثيقة في شكل سجل لتسلسل الحوادث التاريخية قد يكون لها فائدة في تفسير الموقف محل الدراسة.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أن هناك وجهتان نظر مختلفتان حول – الاستخدام المباشر للوثيقة – فهناك رأى ينادى بعدم اللجوء إلى استخدام الوثائق إلا بعد أن يكون قد مضى عليها عدة أجيال.

أما الرأي الأخير يرى أن استخدام الوثائق الحديثة أو المعاصرة لا غبار عليه طالما كانت هي المصدر الوحيد للبحث.

وقد لاحظ " هوارد بيكر Howord Becker " إن ما يقصد بالبيانات التاريخية هو كل معلومات متوفرة عن أناس معينين وتكشف هذه المعلومات عن فترة تاريخية لأكثر من ثلاثة أو أربعة أجيال ماضية، وهو اعتراف بأن مصدر المعرفة عن الحاضر لا يمكن توافرها إلا عندما يصبح هذا الحاضر ماضي تاريخي Past Historical فكثير من الوثائق التي تصف أو تتناول الحاضر من العسير أن تكون في متناول الباحثين(١٠).

هناك مصادر أخرى وهى: الحقائق أو البيانات التى تكون مدونة في سجلات مثل الوثائق والمطبوعات والبحوث والدراسات الإحصائية التي تصدرها الهيئات المختلفة، وتنقسم المصادر التاريخية إلى ثلاثة أقسام:

أ- **مصادر أولية:** وهي التي تمدنا بالبيانات التى قامت جهة بحثية بتدوينها أو تعريفها وتبويبها ثم نشرها إذا اقتضى الأمر ذلك، بعد الدراسة والبحث، أو قد تكون آثاراً وهي بقايا حضارة سابقة أو أحداث وقعت في الماضى ومثالها: القوانين واللوائح.

ب- **مصادر ثانوية:** وهي ما نقل أو اشتق أو أخذ عن مصادر أولية، أي أن الجهة التي تستفيد أو تستخدم البيانات الأولية تعتمد على البيانات التي تنشر في البحوث أو الرسائل العلمية أو في الصحف والمجلات، وقد تكون مستقاة من مصادر أولية أو مصادر ثانوية أخرى ومن الأفضل استخدام المصادر الأولية، إذ أن المصادر الثانوية كثيراً ما تكون معرضة للأخطاء التاريخية الناتجة عن عدم الدقة في نقل البيانات أو أخطاء فى الكتابة والتحليل.

ج- **مصادر ميدانية:** إذا ما كانت المعلومات المطلوبة موجودة لدى بعض الأفراد أو الهيئات أو تكون مشاهدات غير مدونة في سجلات، فإن الباحث يقوم بجمعها عن طريق توجيه أسئلة للأفراد المعاصرين للواقعة التاريخية، من خلال المشاهدة المباشرة أو دراسة الآثار وبقايا الحضارات القديمة والتراث التاريخي لبعض الثقافات عن طريق مشاهدة الرحالة[١١].

ثالثاً: خطوات المنهج التاريخى.

١- تحديد مشكلة البحث:

يشترط في الظاهرة التى يختارها الباحث أن تكون ممتدة عبر التاريخ، لها صفة الاستمرار والدوام النسبي، بحيث يمكن تعقبها وتتبع مراحل التطور التى مرت بها والآثار المترتبة عليها ومثال ذلك: نظام

الزواج وما يخضع له من تغير خلال العصور. ويراعى عند اختيار المشكلة: الأهمية العلمية للمشكلة ومران الباحث على المنهج التاريخي وطريقة استخدامه، وتوفر الوثائق المتعلقة بالمشكلة، وجدية الموضوع مع مراعاة الزمن المخصص للبحث.

٢- جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة :

بعد أن يستقر رأي الباحث على موضوع من الموضوعات، فإن من الضروري أن يقوم بحصر المصادر التي تفيده في الحصول على بيانات عن موضوع بحثه. ومن البديهى كخطوة من خطوات المنهج التاريخى أن يقوم الباحث بـ:

تحليل المصادر ونقدها: والتحليل نوعان أحدهما خارجي والآخر داخلي، ويستخدم التحليل الخارجي للتحقق من صدق النص التاريخي من جهة الشكل لا من جهة الموضوع والتحليل الداخلى وهو التحقق من صدق مضمون الموضوع عبر الحقب التاريخية وينصب على مرتبة أعلى وأسمى درجة من التحليل الخارجي ويحدث في كثير من الأحيان أن يصعب الفصل بين هذين النوعين حيث أنهما يتداخلان في أكثر من موضوع[١٢].

٣- تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها :

يستطيع الباحث بمقتضى التحليل الداخلى للمصدر أن يحدد المعانى الحقيقية التى ترمي إليها محتويات الوثائق سواء أكانت هذه المعاني ظاهرة أو خفية، وأن يصل إلى مجموعات من الحقائق الجزئية.

وللاستفادة من هذه الحقائق تصنف هذه الحقائق عادة على أسس كالمكان والزمان أو كليهما حتى يمكن الكشف عن الاتجاهات العامة للظاهرة موضوع الدراسة ومعرفة العوامل والظروف التي خضعت لها في تطورها وتغيرها وانتقالها من حال إلى حال

٤- عرض النتائج:

بعد أن ينتهي الباحث من استخلاص الحقائق وإيجاد العلاقات وتحليل النتائج وتفسيرها تبدأ خطوة عرض النتائج بحيث تتمشى مع الخطوات المختلفة التي استخدمت في الوصول إليها، وعرض النتائج بمنتهى الدقة، مع الإشارة إلى مصدر كل العبارات المقتطفة في البحث، وترتيب المصادر والمراجع حسب أهميتها العلمية[١٣].

وهناك مجموعة أخرى من الخطوات وهي:

١. التعرف على الآثار والوثائق وحصرها وجمعها في حالة ما إذا كان هذا ممكناً.
٢. فحص الآثار والوثائق فحصاً ناقداً.
٣. إعادة ترتيب الوقائع.
٤. إعداد النتائج والتفسيرات والملخصات.

والآثار التى هى فى شكل منشآت تكون عادة في الموقع الذي وصفت فيه أول مرة أو قد تكون قد وضعت في متحف يبعد عن موقعها الأصلي، وفي كلتا الحالتين فإن الباحث يذهب إلى هذه الآثار ويقيم بجانبها طيلة فترة دراسته، ولكن الوثائق المكتوبة الخاصة بموضوع قد لا تكون موجودة في مكان واحد، وقد تكون موجودة في أماكن ليس من السهل الوصول إليها.

ويحتاج الباحث في تجميعها أو تجميع صورها وتتبع أخبارها وحصرها، والأشياء المكتوبة يمكن أن تتعرض للعبث، أو تكون قد أعدت أصلاً من وجهة نظر معينة ومتميزة ولا تعكس الحقيقة.

وتقع على الباحث مهمة فحص هذه الوثائق للتأكد من سلامتها واكتشاف أي تحريف تكون قد تعرضت له خلال السنين، فالوثائق لا تعامل كبيانات جيدة إلا بعد أن تجتاز امتحاناً عسيراً، يبدأ بفحص لغتها ومقارنتها بالأسلوب الذي كان سائداً أثناء إعدادها

لتحديد الزمن الذي أعدت فيه، ثم تفحص من حيث الأخطاء التي يمكن أن يكون قد وقع فيها صاحب الوثيقة، وهي الأخطاء التي حدثت نتيجة جهل أو إهمال. ثم تفحص من حيث تزوير الحقائق لمعرفة ما إذا كانت الوثيقة قد أعدت بهدف أن تعكس وجهة نظر معينة بدلاً من أن تعبر عن الحقيقة، فالتاريخ في أغلبه رسمي يعبر عن وجهة نظر الحاكم أو السلطان، وقد لا تكون هذه النظرة مطابقة للواقع[١٤].

وبعدئذ يصل الباحث إلى مرحلة يرتب فيها الوقائع بحسب تصوره لدرجة مطابقتها للواقع. وقد تنتج عن هذه المرحلة وثائق تتضمن بيانات تغاير تلك التي بدأ فيها الباحث أول مرة ويستخدم الباحث هذه الأخيرة في رسم صورة الواقع الذي كان يهدف إلى وصفه وشرحه وتلخيصه وإعداد استنتاجات عنه[١٥].

وهناك أيضاً خطوات أخرى كما يراها " ديويولدفان دالين " وهي:

١- **انتقاء المشكلة:** فلابد من إنتقاء مشكلة البحث التاريخى بكل دقة وإهتمام حتى تتوافر فيها الشروط سالفة الذكر.

٢- **جمع المادة العلمية:** من الأعمال الأولى والهامة التي يقوم بها المؤرخ، الحصول على أفضل مادة علمية لحل المشكلة التي يبحثها، لذلك فهو يقوم في فترة مبكرة من دراسته باستعراض آثار الإنسان العديدة المتنوعة التي تدل على الأحداث الماضية، ويوجد مصدرين للمادة العلمية إما ثانوي أو أولي[١٦]. وقد يكون الجانب الأكبر من المادة التي يعتمد عليها المؤرخ من السجلات التي حفظت عن قصد بغرض نقل المعلومات، وتوجد فى السجلات التي تحفظ الأفكار والأحوال والأحداث الماضية في أشكال متعددة: مكتوبة ومصورة وإلكترونية، ومنها على سبيل المثال: السجلات الرسمية، والسجلات الشخصية، والتراث الشفوي، السجلات المصورة،

والمواد المنشورة، والسجلات الإلكترونية. وقد يجد المؤرخ أنواعاً متعددة من الآثار: كالآثار المادية، والمطبوعات، والمخطوطات[١٧].

٣- **حصر المادة العلمية**: وهى عملية جمع للمادة العلمية الخاصة بالبحث من مختلف مصادرها كما ذكرنا وهذا غالباً ما يتطلب التردد على بعض المكتبات والأماكن المتخصصة التي تحتفظ بأوراق أو سجلات أو وثائق تتعلق بمشكلته وبطبيعة الحال لا توجد المادة الأصلية كلها ميسرة في متناول يد الباحث، وكثيراً ما تخرج رحلات تنقيب عن معلومات قيمة وربما ظهرت معلومات هامة من الحديث مع المخضرمين في المهنة، أو استكشاف المخازن القديمة وما إليها[١٨].

٤- **نقد المادة**: وتتم هذه العملية عن طريق تحليل للمادة العلمية ويكون هذا النقد إما خارجي أو داخلى، **فالخارجي**: يحاول المؤرخ عن طريقه أن يتأكد من صدق الوثيقة أو الأثر. **الداخلى**: يهتم بالتحقق من معنى وصدق المادة الموجودة فى الوثيقة[١٩].

وأخيراً فهناك أسس ومبادئ ينبغي أن يراعيها الباحث قبل أن يقوم بعمل أى خطوة من خطوات المنهج التاريخى:

١- تحديد المفهومات الأساسية للبحث وقضاياه والإطار التصوري الذي سوف يوجه الدراسة التي يقوم بها الباحث، ويساعد على الربط بين البيانات، كما يساعد في تصنيفها.

٢- تحديد وحدة التحليل التاريخي، وهي وحدة قد تكون زمانية كما يحدد الباحث فترة معينة يريد تحليل معطياتها، وقد تكون هذه الوحدة مجموعة من الجماعات أو نظاماً أو ظاهرة أو مجتمعاً محلياً[٢٠].

٣- تعيين أدوات ووسائل جمع البيانات من المصادر المحددة، وقد تكون هذه الأدوات والوسائل والطرق، دراسة حالة لكل ظاهرة

وقد تكون تحليل مضمون content analysis الوثائق أو القيام بتحليل إحصائي للجداول والإحصاءات والبيانات الرقمية.

٤- تحقيق البيانات التاريخية التي تم جمعها، أو ما يسمى أحياناً بالتحليل التاريخي. سواء كان مصدر جمع البيانات أولياً كالإحصاءات والقوانين أو ثانوياً كالبيانات التي تنشر في الكتب والبحوث والرسائل العلمية، فإنه على الباحث أن يبذل محاولة جادة في سبيل التأكد من صدق مصدر جمع البيانات ودقته[٢١].

رابعاً: مزايا وعيوب المنهج التاريخي.

أ- مزايا المنهج التاريخي:

١- يستخدم المنهج التاريخي في البحوث الاجتماعية بقصد الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ الماضية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوى الاجتماعية التي شكلت الحاضر[٢٢].

٢- يستخدم المنهج التاريخي ليساعد في الوصول إلى المبادئ والقوانين المرتبطة بأحداث التاريخ الماضي وترتبط بمشاكل الحاضر، فالتاريخ ما هو إلا سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الماضي بالحاضر والمستقبل.

٣- يعتبر المنهج التاريخي مصدر التجديد المستمر لأن الجانب الأكبر من الحياة البشرية متغير ومتطور على الدوام.

٤- يعمل المنهج التاريخي على تأكيد العلاقة السببية بين الماضي والحاضر كأساس المستقبل.

٥- يساعد المنهج التاريخي الباحث من استقراء القوانين العلمية التي توضح تفاعل العلاقات بين الأفراد والجماعات والهيئات.

٦- يصف المنهج التاريخي الوثائق التاريخية التي تفسر حوادث وظواهر الأزمنة الماضية بدقة.

٧- يساعد على التعرف على العوامل المؤثرة على مشكلات الحاضر والوصول إلى أساس سليم للتخطيط المستقبلي[٢٣].

٨- يعتبر المنهج التاريخى طريقة التعامل المنهجى مع المادة التاريخية في ضوء القواعد والأساليب المستخدمة في البحث الاجتماعي، وما يقتضيه ذلك من تحديد للمفهومات ووصف وتحليل وتفسير وغير ذلك من خطوات منهجية[٢٤].

ب- عيوب المنهج التاريخى.

١- تعرض ابن خلدون للصعوبات التي تقابل الباحث الاجتماعي عند استخدامه للمنهج التاريخي نتيجة لعدم صدق بعض الروايات التاريخية فمنها صحيح حدث بالفعل وبعضها زائف أصلاً، وبعضها مستحيل حدوثه لأنه لا يتفق مع طبائع الأشياء، ولذا نصح ابن خلدون بعدم الثقة بالناقلين ثقة مطلقة وبتحري الدقة عند الرجوع إلى المصادر التاريخية[٢٥].

٢- لا يستطيع البحث التاريخي دائماً أن يعمم Generalize على أساس الأحداث السابقة.

٣- يعتمد الباحث التاريخي بالضرورة على الملاحظات التي يبديها الآخرون وغالباً ما يشكك في نزاهة وكفاءة هؤلاء الشهود نظراً لتحيزاتهم الشخصية أي أنه يفتقد للموضوعية[٢٦].

٤- يتطلب المنهج التاريخي مستوى عال من الكفاءة لدى الباحثين وذلك لأن هذا النوع من المنهج يدرس التاريخ سواء في صورة تحليلية أو تركيبية وحجم جهاز البحث يلعب دوراً هاماً في تحديد أعماق التسلسل التاريخي.

٥- الحدود الفاصلة بين المعلومات التاريخية وغير التاريخية والمعلومات الاجتماعية لا يمكن أن تكون جامدة حيث أن الأحداث والوقائع التاريخية قد تكون ذات دلالة اجتماعية تسهم في تصوير الظاهرة موضوع البحث وفي تفسير التغير الذي صاحبها من ناحية الشكل والمضمون ولهذا فإن البحث الاجتماعي لا يمكنه أن يقف عند خط فاصل يسمى خط المعلومات الاجتماعية وإنما يحتاج إلى أن يفلسف هذه الأحداث والوقائع التاريخية[٢٧].

٦- ليس لدى الباحث حرية تكوين البيانات بالصورة التي تتفق مع موضوع دراسته وفي كثير من الأحيان لا يمكن التوصل إلى البيانات المرتبطة بالمشكلة البحثية.

٧- أحياناً لا تعطي السجلات المكتوبة إجابات متصلة بالمشكلة البحثية.

٨- كثرة البيانات التاريخية والصعوبة البالغة في اختيار وتحديد أهمها[٢٨].

المراجع المستخدمة

(١) علـى عبـد الـرازق جلبـى، آخـرون، منـاهج البحـث الاجتمـاعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ١٠٦.

(٢) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفـة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ٢٢٣.

(٣) أحمد الـنكلاوي، طـرق البحـث الاجتمـاعي، القـاهرة، دار الثقافـة العربية، ٢٠٠٢، ص ١٥٨.

(٤) سـامية محمـد جـابر، منهجيـات البحـث الاجتمـاعي والإعلامـي، الإسكندرية دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ٢٦٠.

(٥) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الإسـكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

(10) http://sadamar.maktoobblog.com/1425134, 2005.

(11) http://arabibrarians.wadpres.com.p1, 2008.

(٨) محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القـاهرة، مكتبة القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٩٨.

(٩) مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٩، ص ٥٤.

(١٠) علي عبد الرازق جلبي، آخرون، مرجع سابق، ص ١١٢.

(١١) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(١٢) عبد الباسط محمـد حسـن، أصـول البحـث الاجتمـاعي، القـاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٥، ص٢٧٢.

(١٣) المرجع السابق، ص ٢٧٩: ٢٨١.

(١٤) مصطفى عمر، مرجع سابق، ص ٥٥.

(١٥) المرجع السابق، ص ٥٥.

(١٦) ديويولدب فان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل، القاهرة، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، ط٤، ١٩٩٠، ص ٢٥٨.

(١٧) المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(١٨) أحمد النكلاوي، مرجع سابق، ص ١٦٣.
(١٩) سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص ٢٦٠.
(٢٠) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٠٤.
(٢١) المرجع السابق، ص ١٠٥.
(٢٢) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٦٨.
(٢٣) أحمد النكلاوي، مرجع سابق، ص ١٥٧.
(٢٤) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٠١.
(٢٥) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٧٠.
(٢٦) أحمد بدر، أصول البحث العلمى ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥، ص ٢٥٠.
(٢٧) أحمد النكلاوي، مرجع سابق، ص ١٦٠.
(٢٨) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٠٧.

الفصل الثانى

المنهج التجريبى

تمهيد.

أولاً : مفهـــــوم التجـــريب.

ثانياً : إجراءات المنهج التجريبى.

ثالثاً : صـــور المنهـــج التجريبى.

رابعاً : خصائص المنهج التجريبى.

خامساً : حـدود المنهج التجريبى.

تمهيد.

يعد دخول المنهج التجريبى إلى مجال البحوث الاجتماعية تأكيداً لإمكانية الوصول بالعلوم الاجتماعية إلى مستوى العلوم الطبيعية المعملية التي تخضع للتجريب الطبيعى.

فنجد التجريب يعني قياس تأثير أحد المواقف أو قياس عامل معين على أحد الظواهر أي دراسة حالة واحدة تحت متغيرات متعددة وهذه الحالة الواحدة هي الفرض العلمى، ثم ملاحظة نتائج هذا التجريب أو المؤثرات التي تتم بطريقة خاصة ومسلك معين.

والتجريب جزء من المنهج العلمي الذي يسعى إلى صياغة النظريات التي تقوم على اختبار الفروض التي تتألف منها وتتحقق من صحتها فالتجربة هي الطريقة التي تختبر صحة هذه الفروض العلمية.

وسنعرض في هذا الفصل تتبع علمي للمنهج التجريبي من حيث الجذور التاريخية وتطور الاهتمام به ثم بعض التعريفات الخاصة بالمنهج التجريبي ثم الوقوف على بعض المبادئ الأساسية التي يقوم عليها المنهج التجريبي وبعض المزايا والعيوب لهذا المنهج فيما يسمى أهم الصعوبات الخاصة بالمنهج التجريبي.

أولاً: مفهوم التجريب.

التجريب هو القدرة على توفير كافة الظروف التي من شأنها أن تجعل ظاهرة معينة ممكنة الحدوث في الإطار الذي رسمه الباحث وحدده بنفسه، والتجريب يبدأ بتساؤل يوجهه الباحث مثل: هل يرتبط ارتفاع المستوى الاقتصادى للفرد بإقباله على التعليم؟ أو هل هناك علاقة بين الدين والسلوك الاقتصادي أو بين التنشئة الاجتماعية وانحراف الأحداث؟ ومن الواضح أن الإجابة على هذه التساؤلات

تقتضي اتباع أسلوب منظم لجمع البراهين والأدلة، والتحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع البحث، والوصول إلى إدراك للعلاقات بين الأسباب والنتائج.

وإذا كانت الملاحظة تنحصر في فحص الظاهرة على النحو الذي تبدو عليه، وكأن الملاحظ يكتفي بمشاهدتها والمقارنة بينها، وكأنه يصغى إلى الطبيعة ليأخذ عنها ما تقول، وليسجل كل ما قد تكشف له من صفات الأشياء أو العلاقات بينها، إلا أن الباحث عادة لا يكتفي، ولا يقنع بهذا الموقف السلبي، ويسعى باستمرار إلى معرفة أكثر عمقاً وتفصيلاً، مما يدفعه إلى التدخل في مجرى الظواهر الطبيعية، وتعليل الظروف التي توجد فيها، حتى يستطيع دراستها في أنسب وضع، وهكذا يمكن تعريف التجربة بأنها ملاحظة الظاهرة بعد تعديلها كثيراً أو قليلاً عن طريق بعض الظروف المصطنعة[1].

وهذا هو المعنى العام للتجربة. لكن المصطلح قد يستخدم أيضاً بمعنى خاص فيراد به الدلالة على الخبرة التي يكتسبها العالم بتصحيح آرائه ونظرياته العلمية دون انقطاع، حتى يوفق بينها وبين الكشوف الجديدة، لكي يزداد قرباً من الحقيقة. غير أن الذي يهمنا هنا هو المعنى العام للتجربة باعتبار أنها جزء جوهري من المنهج الاستقرائي، ووسيلة لتحقيق بعض النتائج السريعة التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق الملاحظة فهناك مثلاً فارق كبير بين ملاحظتنا للبرق، يمر خاطفاً وبين ملاحظة العالم لشرر كهربائي يثيره في معمله متى أراد، ويستطيع تكراره، كيفما شاء حتى يدرس الشروط الضرورية لوجود الكهرباء.

والواقع أن التجربة بهذا المعنى تجد أوسع مجالاتها في العلوم الطبيعية فالباحث في العلاقة بين متغيرين لا يكتفي بالمشاهدات العامة التي تتصل بهذه العلاقة، ذلك أنه يستطيع أن يصطنع موقفاً

تجريبياً يمكنه من التحكم في كل المتغيرات الأخرى التي قد تكون ذات تأثير في هذه العلاقة، بصورة يمكن معها قياس النتائج موضوعياً ثم التأكد من صحة الفرض الذي صاغه منذ البداية.

أما الباحث في العلوم الاجتماعية، فلا تتوافر له في كثير من الحالات تلك الظروف المهيئة للباحث في ميدان العلوم الطبيعية، نظراً لشدة تعقد الظواهر الاجتماعية، وتشابك عدد كبير من العوامل التي يصعب ضبطها والتحكم فيها فضلاً عن النقص في كثير من أدوات الملاحظة والقياس لذلك يقال أن الباحث الاجتماعي يلجأ في كثير من الأحيان إلى التجريب الطبيعي أي إلى تلك الحالات التي تتهيأ فيها طبيعياً ظروف تيسر الملاحظة أو المقارنة أو القياس، مثل المقارنة بين عدد من المجتمعات الإنسانية التي تختلف في بعض المتغيرات الهامة أو في دراسة ظروف الجماعات في مواقف معينة. ولا شك أن التخطيط لمثل هذه الدراسات تعترضها صعوبات عديدة، تتصل بالتصميم التجريبي الملائم لإخضاع عينات تجريبية وأخرى ضابطة، وكافة الظروف الأخرى التي يمكن أن تؤثر في مجرى التجربة.

وترجع أصول المنهج التجريبي إلى ثلاث طرق أساسية لإقامة البراهين والأدلة، قدمها جون ستوارت J. S. Mill في مؤلفه: "نسق المنطق System of Logic"، ويرى مل أن طرقه هذه وإن استخدمت في الكشف عن القوانين، فإنها الطرق الوحيدة في البرهنة. وهي تعتمد على الاعتقاد في مبدأ السببية، والسبب هو المقدمة الثابتة التي لا تتوقف على أي شرط، أنه يكفي وحده في إحداث النتيجة، دون تخلف، مهما تغيرت الظروف. وأنها تقوم على التحقق من الفروض التجريبية.

أما الطريقة الأولى التي استخدمها مل فهي ما يعرف بطريقة الاتفاق Method of Agreement وتنحصر هذه الطريقة في المقارنة بين أكبر عدد ممكن من الظواهر أو الظروف التي تحتوي بالضرورة على سبب الظاهرة الأولى وإذن، تقوم هذه الطريقة على أساس الاعتراف بأن وجود السبب يؤدي إلى وجود النتيجة[٢]. وقد حدد مل القاعدة التي تعبر عن هذه الطريقة على النحو التالي: "إذا اتفقت حالتان أو أكثر للظاهرة المراد بحثها في ظرف واحد فهذا الظرف الوحيد الذي تتفق فيه جميع هذه الحالات هو السبب في هذه الظاهرة". فإذا قلنا أن الظاهرة المراد تفسيرها هي (ص) وأنها تسبق أو تصاحب:

في الحالة الأولى بالظروف، س ، ك، ب.

وفي الحالة الثانية بالظروف، ل، م، س.

وفي الحالة الثالثة بالظروف، ط ، س ، و .

فالظرف الوحيد المشترك بين هذه الحالات الثلاثة وهو (س) يعد سبباً لـ (ص) أو نتيجة لها[٣].

ولا تستلزم هذه الطريقة كثرة عدد الحالات فقط، بل لابد من تنوعها أيضاً فمثلاً حين نقول أن علة جذب الحديد لبرادة الحديد هي حصول قطعة الحديد على خصائص الجذب، فإن فرضنا لا يتحقق بكثرة ملاحظتنا لقطع أخرى من الحديد وإنما يتحقق لملاحظتنا لمعدن الرصاص حين نجد أنه يفتقد خاصية الجذب وليس من الضروري أن يكون الظرف الوحيد المشترك سبباً في وجود الظاهرة، لأن هذا الاتفاق قد يكون وليد الصدفة. أو يرجع لأن كلا من الظروف المشترك والظاهرة المراد تفسيرها نتيجة لسبب واحد[٤].

أما الطريقة الثانية فهي طريقة الاختلاف Method of Difference وهي على العكس من الطريقة السابقة، إذ أنها تنحصر في المقارنة بين حالتين متشابهتين في جميع الظروف ما عدا ظرفاً واحداً،

بحيث توجد الظاهرة في إحداها ولا توجد في الأخرى وتعتمد هذه الطريقة على الفكرة القائلة بأن غياب السبب يؤدي إلى غياب النتيجة، وقد حدد مل هذه الطريقة على النحو التالي:

"إذ اشتركت الحالتان اللتان توجد الظاهرة في إحداهما ولا توجد في الأخرى في جميع الظروف ما عدا ظرفاً واحداً لا يوجد إلا في الحالة الأولى وحدها، فإن هذا الظرف الوحيد الذي تختلف فيه الحالتان هو نتيجة للظاهرة أو سببها أو جزء ضروري من هذا السبب"[٥].

فإذا قلنا مثلاً، إن الظاهرة المراد تفسيرها هي (س). وأنها توجد إذا وجدت الظروف: ك، ل، م، ص. وتختفي إذا وجدت الظروف: ك، ل، م.

فمن المرجح أن يكون الظرف (ص) هو السبب في وجود الظاهرة (س).

أما الطريقة الثالثة والأخيرة فهي التغير النسبي Method of Concomitant Variation وقد حدد مل هذه الطريقة بقوله: أن الظاهرة التي تتغير على نحو ما كلما تغيرت ظاهرة أخرى على نحو خاص، تعد سبباً أو نتيجة لهذه الظاهرة أو مرتبطة بها بنوع من العلاقة السببية (أي أن الزيادة والنقصان فى المعلول يرتبط بالزيادة أو النقص في العلة). وإذن فالبحث هنا يتجه إلى العلاقة الكمية بين السبب والنتيجة فبعد أن نفرغ مثلاً من إثبات أن الاحتكاك هو أحد علل توليد الحرارة، نجد بمقتضى هذه الطريقة أنه كلما زاد الاحتكاك ارتفعت درجة الحرارة في الأجسام المعرضة له، وكلما قل الاحتكاك قلت هذه الدرجة، وكذلك شدة سماع الصوت مرتبطة بتعدد ذبذباته، أو أن حجم الغاز والضغط الواقع عليه يتناسبان تناسباً عكسياً[٦].

أما بالنسبة للمنهج التجريبي عند " فرنسيس بيكون " فهو يقوم على ركيزتين أساسيتين هما:

الأولى: جمع الوقائع عن طريق الملاحظة حتى يمكن تجنب معلومات الدرجة الثانية، لأن مثل هذه المعلومات كثيراً ما تتعرض للخطأ الناشئ عن مجموعة من الأوهام لخصها بيكون في أربعة هي:

أ- **أوهام البشر:** التي تؤدي إلى انتقال المعلومات من جيل إلى آخر دون إمعان أو تفكير من جانب من يستقبلونها وينشرونها. فهذا الانغلاق الفكري يحبس الخبرات الإنسانية ويضيق نطاق تأثيرها مما يجعل المعلومات المتداولة قاصرة ومضللة في الوقت ذاته.

ب- **أوهام اللغة:** بمعنى أن من واجب الباحث أن يجد التفسير الملائم للكلمات والألفاظ ويتعمق وراء المعاني التي تعكسها دون أن يتأثر بالتفسيرات الشائعة، وبها يتحرر الملاحظ من تأثير اللغة وتفسيراتها على تفكيره.

ج- **أوهام المعتقدات:** وتعتبر العادات والتقاليد والأساطير والطقوس وغيرها من المأثورات الشعبية هي حصيلة ما يعنيه "بيكون" بالمعتقدات. ومن هنا فإن على الباحث – في ملاحظته للحصول على معلومات من الدرجة الأولى – أن يدرك أثر المعتقدات الراسخة في كثير من المفاهيم حتى يتجنب الوقوع في خطأ التحيز.

هـ- **الأوهام القبلية والعشائرية:** وهي التي تنشأ عن انتماء الفرد إلى جماعة معينة – وخاصة إذا كانت كبيرة وممتدة – ففي هذه الحالة يجد الباحث نفسه متأثراً بهذا الانتماء. ومن الضروري حتى تتحقق الملاحظة الموضوعية أن يتدرب الباحث على التخلص من تأثير هذه الأوهام بحيث يصبح إدراكه وملاحظته وتحليله موضوعياً إلى أقصى درجة ممكنة.

الثانية: تنظيم معطيات الملاحظة بحيث يبدأ الباحث بالموازنة بين الوقائع لتقرير ما هو جوهري ومباشر في حدوث الظاهرة موضوع البحث وما هو دائري وغير مباشر. ومن ثم يقوم بوضع جداول توضح ما يؤيله الفرض وما لا يؤيده، وأخيراً إجراء التجريب في ظروف جديدة للتحقق من صدق النتائج التي أوردتها الملاحظة فإذا أظهرت التجارب أن تغير بعض العوامل يؤدي إلى تغيير في النتائج أمكن تحديد المسببات المختلفة من واقع الملاحظة المباشرة(٧).

ثانياً : إجراءات المنهج التجريبي.

من الثابت أن المنهج التجريبي لا يلتزم بحدود الواقع في الدراسة وأنما يحاول إعادة تشكيله عن طريق إدخال تغييرات عليه، وقياس أثر هذه التغييرات وما تحدثه من نتائج ويقوم الباحث بتنفيذ سلسلة من الإجراءات للتحقق التجريبي وتنحصر في:

أ- وضع تصميم تجريب يتضمن الإجراءات التي سيستخدمها الباحث لإثبات الفروض التي يضعها :

وتشمل هذه الإجراءات اختيار مجموعة الدراسة "العينة" وطريقة سحبها وتوزيعها، وضبط العوامل المؤثرة والتحكم فيها حتى يستطيع معرفة أثر المتغير المستقل الذي سيقوم بإدخاله على المجموعة التجريبية ليعرف نتيجته أو تأثيره. كما يقوم الباحث بإعداد وسائل القياس كالاختبارات وغيرها.

ب- تحديد مجموعة الدراسة :

وتستخدم التجربة مجموعة للدراسة أو أكثر من مجموعة كأن تستخدم مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة.

- **المجموعة التجريبية Experimental group**: وهي المجموعة التي تتعرض للمتغير التجريبي أو المتغير المستقل لمعرفة تأثير هذا المتغير عليها.

- **المجموعة الضابطة Controlled group**: وهي المجموعة التي لا تتعرض للمتغير التجريبي، وتبقى تحت ظروف عادية، وتقدم هذه المجموعة فائدة كبيرة للباحث حيث تكون الفروق بين المجموعتين التجريبية والضابطة ناتجة عن المتغير التجريبي الذي تعرضت له المجموعة التجريبية، فهي أساس الحكم ومعرفة النتيجة.

ج- ضبط المتغيرات:

يتأثر العامل أو المتغير التابع بعوامل متعددة غير العامل التجريبي، ولذلك لابد من ضبط هذه العوامل وإتاحة المجال للمتغير التجريبي وحده بالتأثر على المتغير التابع.

ويتأثر المتغير التابع بخصائص الأفراد الذين تجري عليهم التجارب ولذلك يفترض أن يجري الباحث تجربته على مجموعتين متكافئتين بحيث لا يكون هناك أية فروق بين أفراد المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة إلا دخول المتغير التجريبي على المجموعة الضابطة.

وتهدف عملية ضبط المتغيرات إلى:

- **عزل المتغيرات**: يقوم الباحث أحياناً بدراسة أثر متغير ما على سلوك الإنسان ولكن هذا السلوك يتأثر أيضاً بمتغيرات وعوامل أخرى، وفي مثل هذه الحالة لابد من عزل العوامل الأخرى وإبعادها عن التجربة.
- **تثبيت المتغيرات**: يعني استخدام المجموعات المتكافئة أن الباحث قام بتثبيت جميع المتغيرات المؤثرة، لأن المجموعة التجريبية تماثل المجموعة الضابطة وما يؤثر على إحدى المجموعتين يؤثر على الأخرى، فإذا أضاف الباحث المتغير التجريبي فإن المجموعة التجريبية تتميز به فقط.
- **التحكم في مقدار المتغير التجريبي**: يستخدم الباحث هذا الأسلوب من الضبط عن طريق تقديم كمية أو مقدرا معين من

المتغير التجريبي ثم يزيد من هذا المقدار أو يقلل لمعرفة أثر الزيادة أو النقص على المتغير التابع.

د- إدخال المتغير المستقل أو التجريبى وملاحظة ما ينتج عنه من آثار[٨].

ثالثاً: صور المنهج التجريبى.

وللمنهج التجريبى صور متعددة من أبرزها ما يلى:

١- استخدام مجموعة واحدة والقياس قبل التجربة وبعدها:

يستخدم في هذا الشكل مجموعة واحدة من المفردات تقاس قبل التجربة بالنسبة للمتغير التابع. بعدئذ يدخل المتغير التجريبي أو المستقل وتقاس المفردات أو الوحدات مرة ثانية بالنسبة للمتغير التابع.

ويمثل الفرق بين نتيجتي قياس المتغير التجريبي والمتغير التابع الدليل الذي يؤثر على المتغير التابع.

ويمتاز هذا الشكل عما عداه بما يلي:

أ- قلة عدد الأفراد الذي يحتاج إليهم في هذا الشكل من التجارب نتيجة لإجراء التجربة على مجموعة واحدة فقط.

ب- يؤدي استخدام نفس المجموعة في القياس قبل التجربة وبعدها إلى بروز مجموعة الفروق الجوهرية التي تظهر من القياس.

ج- إمكانية استخدام الطريقة الإحصائية في التحليل لمعرفة موقف نفس المجموعة قبل التجربة.

وعلى الرغم من المزايا السابقة فهناك عيبين رئيسين يؤخذان عليها هما:

أ- تكرار القياس يرهق الباحث وقد يؤثر ذلك على الإجابة مما يقلل من أهمية النتائج المستخلصة.

ب- صعوبة التحكم في ارتباط أثر المتغير التجريبي على المتغيرات الأخرى.

٢- استخدام مجموعتين والقياس بعد التجربة فقط:

يختار هـذا الشـكل مـن التجـارب مجمـوعتين عشـوائتين مـن المجتمع الذي يدرس فيه الظاهرة ويعمل على إدخال المـتغير التجـريبي على إحداهما. وتسمى هـذه المجموعـة بالمجموعـة التجريبيـة بينمـا لا يدخل هذا المتغير التجريبي على المجموعة الأخـرى الـتي يطلـق عليهـا "المجموعة الضابطة" ويقـاس بعـد التجربـة الفـرق بـين المجمـوعتين بالنسبة للمتغير التابع.

ويمتاز هذا الشكل من التجارب بأنه يتفادى التكرار القياسـي وما يستتبع ذلك من إرهاق الباحث والمبحوث واحتمال عدم الوصـول إلى نتائج دقيقة.

إلا أنه يعيب هذا الشكل احتمال ظهور فـروق غـير جوهريـة، واحتمال عدم التناظر والتطابق الكامل بين المجمـوعتين، بجانـب ذلـك يصعب استخدام الطريقة الإحصائية في التحليل حيث لا يتم القياس قبل التجربة. وكل الذي يحدث هو قيـاس نتيجـة التحـول في النهايـة دون قياس الموقف قبل التحول. ولا يتأكد أيضاً في هذا الشكل من أن التغير الحادث هو نتيجة المتغير التجريبي وحده دون تأثير من العوامل العارضة.

٣- استخدام مجموعتين والقياس قبل التجربة للمجموعة الضـابطة وبعدها للمجموعة التجريبية:

تختار في هذا الشكل مجموعتين من مجتمع البحث على أسـاس عشـوائي وتقـاس إحـدى المجمـوعتين بالنسـبة للمـتغير التـابع قبـل التجربة ويطلق على ذلك "المجموعـة الضـابطة" ثـم يـدخل بعدئـذ المـتغير التجـريبي علـى المجموعـة الثانيـة ويطلـق عليهـا "المجموعـة التجريبية" وتقاس المجموعة التجريبية بعد اكتمال التجربـة بالنسـبة للمتغير التابع.

ويمتاز هذا الشكل من التجارب العلمية بأنه يتفادى تكرار القياس حيث يفترض تكافؤ المجموعتين. ومن ذلك يمكن الاستدلال على أن المجموعة التجريبية تحصل على نفس النتائج التي تحصل عليها المجموعة الضابطة تقريباً، وخاصة عند القياس قبل التجربة. ويتضح من ذلك أن تكرار القياس قبل التجربة وبعدها يصبح لا داعي له.

٤- استخدام مجموعتين والقياس قبل التجربة وبعدها لكل من المجموعتين الضابطة والتجريبية:

يختار في هذا الشكل مجموعتين على أساس عشوائي من مجتمع البحث وتقاس هاتين المجموعتين قبل التجربة وخاصة بالنسبة للمتغير التابع. ثم يدخل بعدئذ المتغير التجريبي على المجموعة التجريبية فقط أي لا يدخل هذا المتغير على المجموعة الضابطة وأخيراً تقاس المجموعتين بعد التجربة فيما يتصل بالمتغير التابع[٩].

رابعاً: خصائص المنهج التجريبي.

من أهم خصائص المنهج التجريبي أن الباحث خلاله لا يكتفي بمجرد وصف موقف أو تحديد معالمه، سواء في الحاضر أو الماضي. وإنما يعمد إلى معالجة عدة عوامل معينة تحت شروط خاصة ومضبوطة بشكل دقيق، وذلك من أجل التحقق من كيفية حدوث واقعة أو حادثة معينة من خلال تحديده للأسباب التي أدت إلى حدوثها بالشكل الذي حدثت علية.

ومن الطبيعي ألا يتيسر ذلك للباحث التجريبي إلا من خلال التحكم في جميع المتغيرات المتضمنة في التجربة باستثناء واحد من تلك المتغيرات أو العوامل لأن التجريب في جوهره هو تغير عمدى ومضبوط للشروط المحددة لحدث ما مع ملاحظة التغيرات الواقعة في ذات الحدث وتفسيرها[١٠].

وعموماً يتضمن تحقيق ذلك المنهج، مجموعة من الأسس والمبررات الأساسية لقيامه وهي:

١- توجد صعوبة في تحديد تأثير المتغيرات التي يحددها الباحث قبل إجراء التجارب وبعدها بصورة دقيقة ثم يقوم الباحث بخلق الموقف التجريبي، الذي يسمح له بمعرفة التأثير التابع للمتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة والكشف عموماً عن الملاحظات السببية بينهم.

٢- ضرورة اهتمام الباحث بكل من البيانات الأساسية أو المصادر الأولية والبيانات الثانوية، وجمع الخصائص اللازمة حول الظاهرة المدروسة وخاصة أن هذه البيانات الثانوية تكون دائماً عرضه للخطأ والتجزئة وعدم الدقة.

٣- نظرا لصعوبة دراسة الظاهرة الاجتماعية وإخضاعها للتجربة، يجب أن يقوم الباحث بتصنيف البيانات وتحديدها بين ما هو مباشر أو أولي وبين ما هو غير مباشر أو ثانوي ولاسيما خلال مرحلة إجراء التجربة.

٤- ينبغي أن يقوم الباحث بتحديد مجموعة الفروض مسبقاً، قبل أن يقوم بالتجربة واستبعاد ما هو غير صحيح، أو باطل وإبقاء الفروض السليمة أو الصحيحة، ثم يحاول أن يعيد عملية التجريب مرة أخرى للتحقق من صدق النتائج التي توصل إليها في التجربة الأولى وملاحظتها.

٥- ضرورة أن يقوم الباحث بتحديد كيفية استخدام المجموعة الضابطة والتي تنحصر فى ملاحظة مجموعتين متقاربتين من الأفراد أثناء أدائهم تحت نفس الظروف فيما عدا ظرف واحد ويمثل سلم الوجود الموجود، الغياب بها العنصر الواحد المتغير المستقل للتجربة، إما لاختلاف في الأداء بين المجموعتين فهو

المتغير التابع، وهو أحد وظائف المتغير المستقل بعد استبعاد كل مصادر التأثير الأخرى.

٦- ضرورة أن يحدد الباحث طبيعة الملاحظة التي يقوم باستخدامها عند تطبيق المنهج التجريبي في دراسة الظواهر الاجتماعية، وخاصة أن الملاحظة المضبوطة تستخدم في اختبار صدق الفروض، وهي ليست ملاحظة سلبية لمعرفة ما يحدث بين كل من المجموعة التجريبية والمجموعة الضابطة.

٧- ينبغي أن يعرف الباحث جيداً أن المنهج التجريبي ليس هو المنهج الوحيد المستخدم في دراسة الظواهر الاجتماعية، ولكن هناك العديد من المناهج البحثية الأخرى ولاسيما المنهج التجريبي.

٨- ضرورة أن يفهم الباحث أن عملية تفضيل استخدام المنهج بين دراسة الظواهر الاجتماعية، جاءت نتيجة لسرعة الحصول على البيانات والنتائج عند تطبيق هذا المنهج في الدراسات الاجتماعية وامتيازه عن المناهج الأخرى يعدد من الخصائص العامة، والتي من أهمها التركيز على الكشف عن العلاقات السببية الدقيقة التي تحدث بين عناصر الظاهرة الواحدة.

٩- يجب أن يتعرف الباحث على طبيعة التمايز والاختلاف بين خصائص الظواهر الطبيعية والاجتماعية ولاسيما عند تطبيقه للمنهج التجريبي خطوة تلو الأخرى، كما يجب أن يدرك تماماً أن حدوث الظاهرة الاجتماعية، لا يمكن إدراك حدوثها إلى العامل الأوحد، بقدر ما يرجع إلى مجموعة من العوامل المتعددة.

١٠- ومن أهم الأمور في التصميم التجريبي لهذا الطراز أن يكون للفريقين موضع التجربة إمكانيات متساوية أول الأمر وفي سبيل الوصول بهذا الشرط إلى أقرب حالة ممكنة ينبغي أن يتعادل الفريقان، أي أن يكون اختيارهما بحيث يضعهما القياس على

نفس المستوى من القدرة من حيث المتغيرات التي يمكن أن تؤثر في النتائج على نحو معقول، أما من الوجهة المثالية فينبغي أن يشمل تعادلهما "كل" الخصائص التي يمكن أن تضع نفس البحث موضع التجريب. ولما كان التعادل التام بين الفريقين استحالة صريحة، كأن على الباحث أن يقنع بتحقيق التعادل لتلك الخصائص التي يرجع تأثيرها في المتغير التابع[١١].

خامساً: حدود البحث التجريبي.

هناك عدد من الصعوبات التي تواجه إجراء التجارب الاجتماعية يمكن أن نوجزها على النحو التالي:

أ- يصعب تحقيق الضبط التجريبي في المواقف الاجتماعية نظراً للطبيعة المتميزة للكائنات الإنسانية والتي تتمثل في إرادة هذه الكائنات وقدرتها على تغيير أنماط سلوكها واتجاهاتها مما يعرض التجربة لخطر التشويه.

ب- لا يمكن ضبط جميع الظروف المؤثرة في الموقف التجريبي، وهذا هو ما يجعلنا نتحدث دائماً عن المتغيرات الوسيطة Intervening Variables التي تتدخل باستمرار في تحقيق الضبط التجريبي[١٢].

ج- التحكم الدقيق في السلوك الاجتماعي يؤدي باستمرار إلى إيجاد موقف غير طبيعي لا يجعل الأفراد والجماعات يتصرفون بتلقائية، وفقدان عنصر التلقائية في السلوك يجعل هذا السلوك خالياً من المعنى، بل وغالباً ما يترتب على هذا التحكم نتائج غير سليمة، فضلاً عن أنه يمثل اتجاهاً غير أخلاقي في البحث الاجتماعي.

د- العوامل السببية في المجال الاجتماعي كالأسرة، والطبقة، والمكانة الاجتماعية، والوضع الاقتصادي، والمستوى الثقافي، غالباً ما تكون هي ذاتها معبرة عن تأثير عدد كبير من الظروف، ومن ثم فإن

إخضاعها للضبط يعني التحكم في عدد لا نهائي من العوامل مما يتعذر تحقيقه في البحوث الاجتماعية.

هـ- يعتبر الموقف التجريبي ذاته متغيراً ثالثاً يضاف إلى المتغيرين المستقل والتابع اللذين نحاول الكشف عن العلاقة بينهما، وذلك على نحو ما حدث في تجارب هاوثورن، مما يضيف صعوبة أخرى للبحث التجريبي.

و- يذهب أصحاب الاتجاه الكيفي إلى أن محاولة قياس كل شيء التي ينطوي عليها المنهج التجريبي لا تسلمنا إلى نتائج لأنها تنافى النوعية الخاصة بالمجتمع والإنسان، تلك التي تختلف تماماً عن الطبيعة وظواهرها موضوع الدراسة في العلوم الطبيعية، والاختلاف في الموضوع يقتضي اختلافاً في المنهج[١٣].

المراجع المستخدمة

(1) Fisher; Ronald, The design of experiments, Edinbug, Oliver, and Boyd, 1935.

(٢) أحمد النكلاوي، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٣، ص١٤٥.

(٣) محمد علي محمد، البحث الاجتماعي: دراسة في طرائق البحث وأساليبه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ٢٠٢.

(٤) غريب سيد أحمد، تصميم البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤.

(٥) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، ط١١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠، ص ٢٨٧.

(٦) المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٧) محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٢، ص ٣١١: ٣١٢.

(٨) ذوقان عبرات، آخرون البحث العلمي: مفهومه – أدواته – أساليبه، عمان، دار مجدلاوي، ١٩٨٣، ص ١٩٢.

(٩) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(١٠) صلاح الفوال، مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٢، ص ٢١٣.

(١١) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(١٢) عبد الله عبد الرحمن، محمد علي البدوى، مناهج وطرق البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٢٤٩.

(١٣) علي جلبي، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي: الأسس والاستراتيجيات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٧، ص١٥٧: ١٦٦.

الفصل الثالث

المنهج المقارن

أولاً : الجذور الفكرية للمنهج المقارن.

ثانياً : تعريف المنهج المقارن.

ثالثاً : خطوات المنهج المقارن.

رابعاً : استخدامات المنهج المقارن.

خامساً : مزايا وعيوب المنهج المقارن.

أولاً : الجذور الفكرية للمنهج المقارن.

نجد المنهج المقارن في القرن الثامن عشر عندما حاول علماء الاجتماع واللغة مقارنة لغات مختلفة للكشف عن أهم الخصائص العامة حتى يمكن تصنيفها لمجموعات لغوية، كما استخدم فى القرن التاسع عشر كطريقة لتحديد أوجه الشبه بين النظم الاجتماعية حتى يمكن تتبع أصولها العامة ومن الجدير بالذكر أن أرسطو كان أول من استخدم المنهج المقارن استخداماً منظماً فى دراسته للأنظمة السياسية كما استخدم فيما بعد كونت، وقد تجلى المنهج المقارن في دراسته، للمجتمعات خلال مراحل مختلفة من تطورها التاريخي التي انتهى منها إلى قوله بوجود قوانين التسابق في الوجود، وقوانين تتابع الظواهر الاجتماعية والعقلية وقد ارتبط المنهج المقارن فى القرن التاسع عشر وتحت تأثير كتابات داروين بالاتجاه التطورى.

واستخدم هذا المنهج في القرن التاسع عشر في كل من علم الاجتماع والأنثروبولوجيا بعد أن أظهر أهميته دارون، وبعض الباحثين في مجال تاريخ اللغات والحقيقة أن داروين كان مدركاً للصعوبة التي تواجه الباحث الذى يحاول الاستعانة بهذا المنهج، وفى الدراسة للبناءات التي تتطلب توافر البيانات تتعلق بحالتها الراهنة ومن هنا أدرك كونت هذه الصعوبة فيما يتعلق باستخدام المنهج المقارن، مع أن استخدام المنهج المقارن فى البحوث التى ظهرت كان قاصراً على مجرد وصف بعض الظواهر في مختلف المجتمعات[1].

ويعد المنهج المقارن واحد من أهم الإسهامات التي قدمها علماء الاجتماع الفرنسيين، وقد ظل هذا المنهج حتى عام ١٩١٨ هو المنهج الأساسي لعلم الاجتماع، ثم أخذ بعد هذا التاريخ يعاني من التدهور.

وكان تدهوره مرتبط، في حقيقة الأمر بإنهيار الفكرة الكلاسيكية التي أقيم عليها من الناحية نظرية وهي فكره التقدم، التي لم تعد تصلح بعد الحرب الكبرى لان تمثل قانوناً اجتماعياً بأية حال من الأحوال، وكانت فكرة التقدم هي محور التفكير الاجتماعي في القرن التاسع عشر عند رواد علم الاجتماع من أمثال كونت، سبنسر وماركس[٢].

وكان المنهج المقارن، حتى نهاية القرن التاسع عشر هو المنهج السائد في علم الاجتماع، وإن لم يكن هو المنهج الوحيد، فهو ينطوى على استخلاص أو تجريد نتائج من تحليل المجتمعات التاريخية المختلفة في محاولة لإيجاد قوانين التاريخ وكان المجتمع في القرن الثامن عشر تحول من المجتمع القروي إلى المجتمع الصناعى الحضرى وكان الناس يتوقون إلى فهم العالم الاجتماعي المتغير حولهم واعتقدوا أن هذا الفهم يمكن أن يتم من خلال التاريخ، فالمنهج المقارن لا يزال يدرس التاريخ ويمثل الدليل على فهم المشاكل المعاصرة وليس لأن – الناس يواجهون المشاكل المماثلة للمشاكل التي كانوا يواجهونها في الماضي وإنما لأن التاريخ هو المصدر الذى يمكن منه تطوير تنمية القوانين[٣].

خلاصة الأمر، اشتق المنهج المقارن مباشرة من كتابات مفكرى باريس، كانت حتى عام ١٩١٨ وهو المنهج السائد في علم الاجتماع بالرغم من أنه فى هذا التاريخ بدأ يعانى من تدهور سريع، كان تدهوره يرجع إلى تدهور أو انهيار فكرته الأساسية، أما التقدم الثانى لم تعد بعد الأحداث الدامية للحرب العظمى تبدو على أنها قانوناً اجتماعياً لا مفر منه، كانت الفكرة التي مؤداها إن مجتمع كان في حالة تقدم من عصور سابقة أكثر وحشية وبربرية[٤].

يستند المنهج المقارن إلى قيام الباحث بإجراءات متعددة منها مشاهدة أكثر من نسق اجتماعي أو القيام بمشاهدة للنسق نفسه في أزمنة مختلفة[٨].

فالمنهج المقارن لا يرتكز على دراسة ثقافة واحدة، أنما يستند إلى دراسة مختلف أوجه الشبه والاختلاف بين ثقافتين أو أكثر ولذلك ازدادت في ميدان الانثروبيولوجيا الثقافية[٩].

ويعرف المنهج المقارن في اللغة بأنه المقايسة بين ظاهرتين أو أكثر يتم ذلك من خلال معرفة أوجه التشابه والاختلاف أما تعريفه إصلاحاً: هو عملية عقلية تتم بتحديد أوجه التشابه والاختلاف بين حادثتين اجتماعيتين أو أكثر تستطيع من حصول على معارف أدق تميز بها موضوع الدراسة والحادثة في مجال مقارنة ويقول "درو كايم" هي (الأداة الاجتماعية) وهذه الحادثة محددة بزمنها ومكانها وتاريخها ويمكن أن تكون قابلة للتحليل وتكمن أهمتها في تميز موضوع البحث عن الموضوعات الأخرى.

ثالثاً: خطوات المنهج المقارن.

ظل المنهج المقارن من المناهج المسيطرة في علم الاجتماع حتى عام ١٩١٨، وقد شهد بعد ذلك تقهقراً سريعاً أمام غيره من المداخل وبخاصة المنهج التجريبي والمنهج النقدي. ولقد ارتبط تقهقر هذا المنهج بانهيار المبادئ الأساسية التي قام عليها كمبدأ التقدم الذي توارى قانونه بعد الحرب العالمية الأولى.

ولقد كان لاختلاط فكرتي التقدم التكنولوجي والتقدم الأخلاقي والخلط بينهما الخطأ الشائع في هذا العصر. وهو الخطأ الذي مازال قائماً حتى اليوم[١٠].

ومن ثم فإن سقوط أفكار سبنسر المتصلة بالمماثلة العضوية التطورية بين الكائن الحي والمجتمع وسقوط أفكار الداروني الاجتماعية في التطور وثبوت يوتوبيات " كوندرسية وسان سيمون وأوجيست كونت" قادت مجتمعه إلى تأكيد أن المقارنة التاريخية أو التصورات التي تسعى إلى استنباط قوانين التطور التاريخي فقدت مغزاها، وإن البيانات التي يجمعها الملاحظ عن صور وديناميات عملية التطور لا تسعف في بناء قوانين مستمدة من ظواهر تاريخية بعينها، خاصة إذا لم تكون هناك حالات يمكن مقارنتها بعضها ببعض. ومن ثم فقد طور ماكس فيبر فكرته عن "النموذج المثالي" الذي يتخذه محكاً للمقارنة، وهو كما يبدو نموذجاً مجرداً إلى أبعد الحدود أي هو يجرد وجود الظاهرة التاريخية وهو ما يتعذر وجوده بطبيعة الحال في أي موقف أمبريقي.

ورغم التحديات المنهجية التي قابلت هذا المدخل، وبخاصة تحدي عدم وجود حالات كافية يمكن أن يساعد على إنجاز المقارنات، فقد عرف طريقة إلى بعض الأعمال البارزة التي قدمها سوركن وأوجبرن وكاهن .Kahn عام ١٩٦٧، وميدوز Meadows عام ١٩٧٢.

ويستند المدخل المقارن إلى عدد من الخطوات الأساسية هي:

١. تعيين المشكلة المدروسة.
٢. تعيين المجتمع أو الواقع، ومستوى هذا الواقع أو مداه الذي نرصد داخله المشكلة.
٣. تعيين المتغيرات التي يهتم الباحث بتعينها.
٤. تعيين نمط المقارنة:
   - هل هي تطورية تاريخية.
   - هل هي مقارنة رأسية أم أفقية.
   - هل هي مقارنة داخلية بين أجزاء الوحدة المدروسة أم مقارنة خارجية أي بينها وبين غيرها.

٥. تعيين مجال المقارنة، أى المجال الزماني والمكاني لها.
٦. تعيين أساليب المقارنة أي هل المقارنة كيفية أم كمية أم كلاهما معاً.
٧. ضبط المتغيرات التي قد تتدخل في التأثير على معطيات المقارنة ومن ذلك تقييم مدى دقة وصدق المصادر وموضوعيتها التي ستوظفها الدراسة كمحكات لها.

يتضح معاً تقدم أن المنهج المقارن يعد أسلوب عام في البحث الاجتماعي، وهو يستند إلى قيام الباحث بإجراء مشاهدات متعددة لأكثر من نسق اجتماعي أو القيام بمشاهدات للنسق نفسه في أزمنة مختلفة. فإذا وجدنا أن التصنيع صاحبه في مجتمع ما ظهور صور جديدة من صور الانحراف أو السلوك الإجرامي أمكن ذلك الاكتشاف أن يكون بداية الطريق للبرهنة على أن لظاهرة التصنيع آثارها في خلق الصور الجديدة من صور الانحراف وإذا وجدنا أن هذه الصور الجديدة من الانحراف لا تظهر في المجتمعات التي لا توجد بها ظاهرة التصنيع (فرضاً) كان ذلك دلالة على العلاقة بين التصنيع وظهور صور جديدة من الجريمة. ومعنى ذلك أن المنهج المقارن لا يهتم برصد العلاقة العلمية بين ظاهرتين عن طريق عقد المقارنة بينهما في الوضع الذي توجد فيه هذه الظواهر وجوداً طبيعياً في المجتمع وهنا يبدو المنهج المقارن جلياً أو بمعنى أدق التجربة غير المباشرة على نحو ما ذهب " أميل دوركايم" حين رأى أن المنهج المقارن يقوم بنفس الدور الذي تقوم به التجربة في العلوم الطبيعية والبيولوجية.

رابعاً : استخدامات المنهج المقارن.

أول من استعمل هذا المنهج علماء اللغة في القرن الثامن عشر عندما قاموا بدراسة عدة لغات بغية المقارنة بينهما والتوصل إلى الصفات المشتركة التي تربطها والتي تشير إلى اشتقاقها من أصل

لغوي واحد، وأستعمل هذا الاصطلاح خلال القرن التاسع عشر لتوضيح الطريقة التى تستطيع أسخراج أوجه الشبه بين المؤسسات الاجتماعية لاقتفاء جذورها المشتركة بيد أن هذه الطريقة لا تتسم بالحداثة فقد استعملها "أرسطو" في دراسته للنظم السياسية.

وقد استخدم كل من "مونتسيكو" و"كونت" أسلوب المقارنة في دراسة المجتمعات، هذا الأسلوب الذي مكنهم من إيجاد المعلومات التي احتاجوها في تفسير أوجه الشبه والاختلاف بين هذه المجتمعات. فقد اقترح "كونت" المقارنة بين الصفات البشرية و الصفات غير البشرية في استخراج المزايا الجوهرية للإنسان ولمجتمعه، والمقارنة بين المجتمعات البشرية ذاتها خلال فترات زمنية لتوضيح قوانين التعايش وقوانين تتابع الظواهر الاجتماعية والعقلية(١١).

وقد ارتبطت المقارنة خلال القرن التاسع عشر بالمدخل التطوري خصوصاً بعد زيادة تأثير الحركة الدارونية. إذا لم يكتف العلماء بدراسة الجذور التاريخية المشتركة للظواهر الاجتماعية كدراسة تاريخ الدين أو العائلة أو الفكر، بل قاموا - كما فعل "كونت" - بدراسة المقارنة بينها جغرافيا أو تاريخياً. فقد ذكر كل من "كونت" و"تايلور" أن الهدف الأساسي من المقارنة هو إيجاد ما يسمى بالالتصاق الحضاري أو الارتباط الضروري بين ظاهرتين حضاريتين أو أكثر مثل الارتباط بين أحكام سلوك القرابة وأحكام المصطلحات الفنية لموضوع القرابة.

غير أن المثال الذي يوضح الاستعمالات غير المنظمة لمنهج المقارنة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين يتجلى في كتابات السير جيمس فريزر James Frazer الذي اعتمد على أمثلة كثيرة مشتقة من الأساطير والخرافات القديمة والإنجيل والأثنوغرافيا المعاصرة

لتدعيم نظرياته التي تفسر طبيعة العقل البشري وفرضياته حول جذور وتطور العادات والتقاليد والمعتقدات.

وساهم " جون ستيورات مل" فى توضيح استعمال هذا المنهج حين أشار له أنه مجرد تطبيق منطق العلم على دراسة حالات وظواهر معينة، وهي بهذا الخصوص تختلف عن المنهج التجريبي الذي تستعمل في فحص ودراسة الأشياء دراسة موضوعية حسية. وأضاف أن الطريقة العلمية الحقة هي الطريقة التي تقوم بمقارنة الأشياء من حيث دراسة صفات اختلافها وصفات شبهها لكي تتوصل إلى المزايا المشتركة الموجودة فيها.

وقد استخدمه أيضاً دوركايم وطبقه على دراسة الأنظمة الشرعية في العالم، حيث قارن بين عدد من الأنظمة الشرعية في مجتمعات مختلفة تتمتع بمستويات متباينة من التقدم الحضاري والمادي وقد اعتمد على القانون كمؤشر للصفات الأخلاقية في المجتمع بعد أن وضع فرضيته القائلة بأن زيادة تقسيم العمل دائماً ما تؤثر على طبيعة التكامل والتماسك الاجتماعي. وفي دراسته للانتحار قام بمقارنة معدلات الانتحار في مجتمعات مختلفة وفي جماعات مختلفة في مجتمع واحد وقرر أن هذه المعدلات تتناسب تناسباً عكسياً مع درجة التماسك الاجتماعي ودرجة استقرار المقاييس الاجتماعية. وللبرهنة على صحة التصور الذي توصل إليها، اضطر إلى مقارنة بعض المؤشرات التي اختارها أي بعض عوامل التماسك الاجتماعي مثل أنواع النظم الدينية، ونوع حياة المجتمع المحلي، وطبيعة الاقتصاد والسياسة وهكذا، ودرس صلتها بدوافع الانتحار التي يتعرض لها الأفراد. أخيراً توصل " دور كايم " إلى نتيجة تنص على أننا لو استعملنا منهج المقارنة استعمالاً دقيقاً ومضبوطاً فإننا سنتمكن من اعتبار هذه الطريقة شبه تجريبية.

وأستعمل العـالم الاجتمـاعى الالمـانى "مـاكس فيـبر" مـنهج المقارنة عنـدما أراد تحليـل الصـفات الأساسـية التـى تميـز المجتمعـات الإنسـانية، فقـد وضـح التشـابه الموجـود فـى الصـفات الأساسـية للبيروقراطية ووضح أوجـه الاخـتلاف بينهـا عنـدما درس مؤسسـات بيروقراطية مختلفة دراسة تاريخية واجتماعية.

وفي هذه الدراسـة استعمل فيـبر طريقـة الأنـواع المثاليـة في وصف المزايـا الكونيـة للمؤسسـة الاجتماعيـة أو النظـام العقائـدي بصفته النقية الخالية من عناصر التعقد التاريخي. أن دراسة فيبر للنظام البيروقراطي دراسة مقارنة ساعدته في وصف وتفسير اختلافات النوع المثالي للبيروقراطيـة الألمانيـة والبيروقراطيـة البريطانيـة وفي مقارنـة الأنواع المثاليـة للأديـان كمقارنـة المـذهب البروتسـتانتي مـع الـدين الهندوسي[١٢].

ويؤكد علماء الاجتماع أن طرق أساليب المقارنة المختلفـة قـد تستعمل لدراسة مشاكل مختلفة، فقد قام كل مـن "لبسـت وبنـدكس Lipset & Bendix "بمقارنـة معـدلات الحـراك الاجتمـاعي في عـدة مجتمعات صناعية وتوصـلاً إلى سـبب اخـتلاف هـذه المعـدلات حيـث اعتقد أن درجة التصنيع التي وصلت إليها المجتمعـات الصـناعية هـي التي أدت إلى اختلاف معدلات الحـراك الاجتمـاعي بـين أفرادهـا. وفي دراسة خاصة عن المجتمع الأمريكي قام "لبست" بمقارنة قيم وبنية هذا المجتمع مع قيم وبنية المجتمعات الأوروبية محاولة منه في توضيح إمكانية اعتبار القـيم كعامـل مسـتقل. ومثـل هـذه الدراسـة كانـت مشـابهة للدراسة التي أجرهـا تـوكيفلى Tocqueville في القـرن التاسـع عشـر عندما حاول توضـيح أهميـة الأدلـة والإثباتـات التاريخيـة في المقارنـة الحضارية والمادية بين المجتمعات ونصحهم على ضرورة فهم المـتغيرات قبل اختيارها واستخراج التعميمات حولها.

ويتضح لنا مما تقدم أن اختيار منهج البحث يعتمد على طبيعة المشكلة المطلوب دراستها، فمنهج المقارنة مثلاً لا يستطيع بناء أو تكوين نظرية أو فرضية لكنه يستطيع الإشارة إلى بعض الحقائق النظرية التي تساعد العالم في بناء النظرية أو فحص الفرضية للتأكد من صحتها إذن المقارنة كما قال العالم " دوركايم" هو من المناهج الهامة التي تساعد العالم الاجتماعي في الحصول على المعلومات والحقائق الموضوعية التي يمكن أن يعتمد عليها في تكوين الفرضيات والنظريات[١٣].

خامساً : مزايا وعيوب المنهج المقارن.

أ- مزايا المنهج المقارن:

لقد اكتسب المنهج المقارن تدعيماً قوياً بعد أن كتب Nadel بعض الدراسات الأنثروبيولوجية العامة، وذهب إلى أن هناك حاجة ماسة لدراسة الوقائع الاجتماعية في مواقف صناعية، تمكننا من المقارنة بينهما وهو يؤكد أن عالم الأنثربولوجيا الذي يتمسك به دائماً بالسياق الأشمل ولا ينفصل عنه، يتجاهل الوجود الفعلي لأدوات فكرية تمكننا من عزل العناصر عن سياقها[١٤].

كما يسمح بتحديد ومعرفة الإيجابيات، وسلبيات بين ظواهر وهو أيضاً الذي يمكننا من معرفة قواعد التطور في المجتمعات وانتقالها من مراحل بدائية إلى مراحل متقدمة وهو يحل محل التجربة في العلوم التجريبية[١٥].

والمنهج المقارن يستطيع الإشارة إلى بعض الحقائق النظرية التي تساعد العالم في بناء النظرية أو فحص الفرضية للتأكيد من صحتها إذن المقارنة، كما قال العالم دوركايم هو من المناهج العامة التي تساعد العالم الاجتماعي في الحصول على معلومات وحقائق الموضوعية التي يمكن أن يعتمد عليها في تكوين الفرضيات والنظريات[١٦].

وقد يطلق علماء الثقافة بصدد استخدامهم للمنهج المقارن وما يسمونه بأنماط الثقافة، بقصد تصنيف سائر أشكال أو صور الثقافات السائدة في المجتمع البشرى ولكن يبدو، أن تصنيف هذه الثقافات إلى أنماط لم يستند إلى الدراسة الموضوعية لمختلف السمات والعناصر الثقافية[١٧].

وعلى هذا الأساس، فإن المنهج المقارن في دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية إنما هو المنهج المستخدم عند علماء الأنثروبولوجيا النظرية، الذين يسخر منهم حيث أن الدراسة المقارنة، هي في جوهر أمرها دراسة نظرية خالصة، إذ يتمكن عالم الأنثربولوجيا النظرية، من استخدام منهج مقارن، وهو قابع في غرفة مكتبه إلى جانب نتائج الدراسات الحقلية، حيث يحاول علماء الاجتماع النظرية، في ضوء استخدام المنهج المقارن يطبع "المماثلات" التي تتطابق في سائر المجتمعات والثقافات، حيث تقع في نفس الملامح والظاهرات الاجتماعية وحيث تتشابه نفس الخصائص بين مختلف المجتمعات.

لقد استخدم " فريزر" المنهج المقارن فى جامعة كمبردج حيث انشغل فقط بمقارنة مختلف الظاهرات من مختلف المجتمعات والثقافات[١٨].

ويستخدم المنهج المقارن فى مماثلة بين الحالات المختلفة في المجتمع الإنساني تلك الحالات التي توجد في مختلف أجزاء، الكره الأرضية ومماثلة بين شعوب تنفصل بعضها عن بعض أي مقارنة بين مراحل التطور التي مر بها شعوب، وأيضاً مقارنة ما هو موجود بالفعل في نطاق المجتمع الواحد في الظروف الاجتماعية للطبقات المختلفة[١٩].

كما يستخدم المنهج المقارن حسب حاجته البحثية وحسب طبيعة دراسته ومجالها فالباحث لا يمكن أن يحدد طريقته في البحث دون الاعتماد على طريقه علمية ويستخدم أيضاً في تمكين الباحث من

دراسة وتحليل وفهم عملياتها المتعددة ووضع أسس ومعايير الكفايات المهنية والإشراف والتوجيه الفنى والتربوى وغيرها، ويستخدم المنهج المقارن أيضاً في كافة الدراسات والبحوث العلمية ونوظفها في مجال العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، ويستخدم في مجالات الوصف وتفسير وتحليل والتنبؤ لكن وفق حاجات الدراسة المقارنة كما أنه لا ينفصل عن مناهج البحث المعروفة المنهج الوصفي والمنهج التاريخي[٢٠].

ب- عيوب المنهج المقارن:

يذهب كونت إلى أن المنهج المقارن ذات قيمة فى علم الاجتماع من ناحية التطور وبالرغم من هذا فإن المنهج المقارن لا يخلو من مساوئ حيث أنه لا يراعى التعاقب الضروري للمراحل المختلفة في تطوره الاجتماعي فهو يحاول أذن دون ملاحظة تسلسل الأشكال الاجتماعية وقد يوشك أن يفسر تحليل الظواهر التي سبقت ملاحظتها وأن يدعونا إلى الخلط، بين مجرد العوامل الثانوية وبين الأسباب الرئيسية ويرى كونت أن المنهج المقارن في علم الاجتماع لا يمكن أن يكون أكثر من وسيلة مساعدة ويجب أن يخضع مثلاً لملاحظة فكرة عقلية عن تطور الإنسانية[٢١].

ومنهج المقارنة لن يستطيع أن يحقق تقدماً علمياً، هذا ما حدث بالفعل إذا يختلف هذا المنهج عن مناهج البحث الأخرى، لكنه مع ذلك لم يختفي تماماً فقد استعان به عدد من مفكرين من أمثال سوروكين وباريتو[٢٢].

وهناك الاستعمالات غير المنظمة للمنهج المقارن خلال القرنين التاسع عشر والعشرين يتجلى في كتابات السير جيمس فريزر James Frazer الذي اعتمد على أمثلة كثيرة مشتقة من الأساطير والخرافات، القديمة والإنجيل والأثنوغرافيا المعاصرة لتدعيم نظرياته التي تفسر

طبيعة العقل البشري وفرضياته حول جذور وتطور العادات والتقاليد ومعتقدات[٢٣].

ولم يطبق المنهج المقارن في الدراسات القديمة على نحو علمي منظم، إلا أن الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، تأخذ بمقارنة سمات وعناصر الثقافة العامة[٢٤].

المراجع المستخدمة

(١) محمد عاطف غيث، ، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩، ص ٦٨.

(٢) محمد علي محمد، البحث الاجتماعي: دراسة في طرائق البحث وأساليبه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٣، ص٦٨.

(٣) علي عبد الرازق جلبي، محمد أحمد بيومي، منهج البحث الاجتماعي: الإجراءات والتطبيقات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص١٦٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٥) رجاء محمود أبو علام، مناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ص٦٧.

(٦) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٧) عبد الجواد بكر، هدى حميده، مفاهيم البحث المقارن في التربية، طنطا، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ص ١٧.

(٨) أحمد النكلاوى، طرق البحث الاجتماعى، القاهرة، دار الثقافة العربية، ص ١٧١.

(٩) قباري محمد إسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص ٣٦٥.

(١٠) دينكن ميشيل، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨١، ص٥٠.

(١١) أحمد النكلاوي، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(١٢) المرجع السابق، ص ١٧٤.

(١٣) دينكن ميشيل، مرجع سابق، ص ٥٤.

(١٤) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٧٠.

(١٥) عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث العلمي في العلوم السياسية والاجتماعية،

(١٦) أحمد النكلاوي، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(١٧) قباري محمد إسماعيل، مناهج البحث الاجتماعي، الإسكندرية، منشأة المعارف، ص٦٧

(١٨) المرجع السابق، ص ٦٩.

(١٩) محمد أحمد بيومي، تاريخ التفكير الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٩، ص ١٨٥.

(٢٠) عبد الجواد بكر، هدى حميده، مرجع سابق، ص ٢٣.

(٢١) محمد أحمد بيومي، مرجع سابق، ص ١٨٦.

(٢٢) محمد علي محمد، ، مرجع سابق، ص ٦٩.

(٢٣) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢٤) قبارى محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص ٦٨.

الباب الثانى

طرق البحث الاجتماعى

الفصل الرابع : المســح الاجتماعــى.

الفصل الخامس : دراســة الحالــة.

الفصل السادس : تحــليل المضمــون.

الفصل السابع : الطــريقة الإسقاطية.

الفصل الثامن : الطــريقة السوسيومترية.

الفصل الرابع

المسح الاجتماعى

تمهيد.

أولاً : الجذور التاريخية للمسح الاجتماعى.

ثانياً : تعريف المسح الاجتماعى.

ثالثاً : أنواع المسوح.

رابعاً : الإجراءات المنهجية للمسح الاجتماعى.

خامساً : خطوات المسح الاجتماعى.

سادساً : مزايا وعيوب المسح الاجتماعى.

تمهيد.

يعتبر المسح الاجتماعي أسلوباً لجمع وتحليل البيانات الاجتماعية من خلال مقابلات مقننة أو غير ذلك من أدوات جمع البيانات التي تستخدم في المسح الاجتماعي وذلك بغرض الحصول على معلومات من أعداد كبيرة من المبحوثين يمثلون مجتمعاً معيناً، ويقوم أيضاً على كشف معدل توزيع بعض الخصائص الاجتماعية كالسن والنوع، والمهنة والحالة الزواجية حيث يقوم بوصف المجتمع الذي يدرسه المسح وصفاً دقيقاً لذا فقد تتضمن الدراسة مجموعة من الأسئلة تستفسر عن معلومات عن الخصائص التي يكتسبها الفرد من خلال عضويته في جماعة اجتماعية أو فئة اجتماعية لا يعتبر المسح حديث النشأة أو حديث الاستخدام وهذا ما سنوضحه فى الفصل التالى الخاص بالمسح حيث يتضمن الجذور التاريخية له وتعريفاته المختلفة وأنواعه وإجراءاته المنهجية وخطوات تصميمه وعيوبه ومميزاته.

أولاً: الجذور التاريخية للمسح الاجتماعى.

يمكن القول أن بداية استخدام المسح الاجتماعي كطريقة في البحث ترد إلى القرن الثامن عشر عندما قام الإنجليزي "جون هيوارد" بدراسة للسجون فقد قام بجمع بيانات عن السجون والمسجونين من حيث عدد نزلائها وتواريخ دخولهم السجون والأمراض المنتشرة بينهم وأنواعها وأسبابها وعدد العاملين بالسجن وانتهى إلى عدد من النتائج أسهمت فى إدخال بعض إجراءات الإصلاح.

ونجد الفرنسى " فريدريك لوبلاى" أجرى مسحاً للعمال الأوروبيين استغرق أكثر من عشرين عاماً اعتمد فيه على دراسة حالات

أسرهم وميزانيتها وانتهى منه إلى مجموعة من النتائج أمكن له وضع مجموعة من الاقتراحات لعلاج الأوضاع السيئة للعمال الفرنسيين[(١)].

والمسح الاجتماعي قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بنشأة البحث الاجتماعي كما أنه ارتبط أيضاً بحركة الإصلاح الاجتماعي حيث كان من الضروري التفكير في طريقة يمكن من خلالها التعرف على النتائج التي ترتبت على التصنيع والتفسير الاجتماعي الذي أحدثه. وتأثير ذلك في مختلف فئات المجتمع وطبقاته وبخاصة الطبقات العاملة والفقيرة، وما لبث أن استخدم المسح الاجتماعي كطريقة للبحث في مختلف المجالات التي تتطلب جمع بيانات ومعلومات كمية عن الاتجاهات والمواقف والرأي العام وبحوث التسويق والسكان والإسكان وغيرها من الظواهر التي يمكن وصفها كمياً ومعنى ذلك أن من أهم خصائص المسح الاجتماعي أنه طريقة للبحث الاجتماعي تستهدف أساساً وصف الظاهرة المدروسة وتصويرها كمياً ويعتقد بعض الباحثين أن الخلط الذي يشيع في الكتابات المنهجية حول المسح الاجتماعي يرجع إلى تنوع استخداماته كطريقة في البحث[(٢)].

ولم يكن المسح الاجتماعي Social Survey أسلوباً متحيزاً عن غيره من أساليب البحث ، ولكنه طريقة لتنظيم العمل الميدانى، ويعنى البحث المتعمق للظاهرة المتعددة لموقف اجتماعي معين وفقاً لما يوجد عليه في وقت معين وفي مجتمع محلي محدد ويصبح هدف المسح الاجتماعي تحقيقاً لمنفعة عملية وعلمية في نفس الوقت.

ويتميز المسح الاجتماعي بأنه أقدم الطرق استخداماً فلقد أجريت بمصر في عام ٣٠٥٠ قبل الميلاد مسوحاً للسكان والحالة الصحية أثناء الإعدادات لبناء الأهرامات إلا أن المسح الاجتماعي قد اتخذ صفة العلمية منذ دراسات لوبلاي في عام ١٨٥٥ وتشارلزبوث فيما بين عامي ١٨٩١-١٨٩٧[(٣)].

ثانياً: تعريف المسح الاجتماعى.

تعددت محاولات توضيح المقصود بالمسح الاجتماعي بين اعتقاد البعض بأن المسح الاجتماعى " عبارة عن دراسة الظروف الاجتماعية لمجتمع معين "قرية أو مدينة أو دولة" من خلال الحصول على بيانات ومعلومات كافية لوضع وتنفيذ برنامج لإصلاح هذه الظروف".

أما عن وجهة نظر البعض الآخر إلى المسح الاجتماعي على أنه محاولة منظمة لتقدير وتصوير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة أو مجتمع محلي في الوقت الحاضر بهدف التوصل إلى بيانات حديثة يمكن تفسيرها للاستفادة منها في المستقبل وخاصة في الأغراض العملية".

ويمكن تحديد المقصود بالمسح الاجتماعي على أنه عملية جمع للبيانات المنظمة من جمهور مجتمع معين أو عينة منه وذلك عن طريق استخدام أدوات المقابلة وغيرها"(٤).

والشئ الملاحظ على هذه المحاولات المتعددة لتوضيح المقصود بالمسح الاجتماعي أنها تكاد تتفق فيما بينها على أن المسح الاجتماعي عبارة عن عملية تصوير دقيقة ومنظمة للوضع الراهن لجمهور من الناس أو وحدة اجتماعية والاستفادة من هذا التصوير في وضع برامج لتنمية هذا الوضع أو تطويره فى المستقبل بحيث يفهم من هذا أن المسح الاجتماعى عملية جمع البيانات من مصادر مختلفة بأدوات متباينة لاختلاف أنواع هذه البيانات واتباع الدقة فى هذا الصدد ثم ترتيب وتنظيم هذه المعلومات المتعلقة بالوضع الراهن أو الوقت الحاضر الذى تكون عليه الظروف الاجتماعية لجمهور الناس أو عينة منهم أو الوحدة الاجتماعية.

وذلك كله يهدف إلى الاستفادة من هـذا التصـوير الـدقيق في ترشيد أسلوب للعمل واتخاذ القرارات التي تفيد في إصلاح وتنمية أو تطوير هذا الوضع الراهن.

ومن أقدم تعريفات المسح الاجتماعى ذلـك التعريـف الـذي وضعه ويلز "حين قال المسح هو دراسة تستهدف اكتشاف الحقائق التي تدخل أساساً بحالة الفقر التي تعيشها الطبقة العاملة وبطبيعة المجتمـع والمشكلات التي يعاني منها"[٥].

والمسـح الاجتمـاع أحـد المنـاهج الرئيسـية الـتي تسـتخدم في البحوث الوصفية ويعـرف بأنـه الدراسـة العلميـة لظـروف المجتمـع وحاجاته بقصد تقديم برنامج استثنائي للإصلاح الاجتماعي".

وأيضاً يعرف "بأنه دراسة للظروف الاجتماعية الـتي تـؤثر في مجتمع معين سواء أكان مجتمع الجيران أو القرية أو المقاطعة أو الدولـة أو الأمة بقصد الحصول على بيانات ومعلومات كافية يمكن الاسـتفادة بها في وضع وتنفيذ مشروعات إنشائية للإصلاح الاجتماعي".

وقـد استعرضـت " بـولين يـونج " فـى كتابهـا " المسـوح والبحوث الاجتماعية العلميـة " عـدداً كـبيراً مـن تعريفـات المسـح الاجتماعي ثم حاولت أن تصل إلى تعريف جامع للمسح الاجتمـاعي يحدد ماهيته وأهدافه وقد جاء في هذا التعريـف أن المسـح عبـارة عـن "دراسة للجوانب المرضية للأوضـاع الاجتماعيـة القائمـة في منطقـة جغرافية محـددة وهـذه الأوضـاع لهـا دلالـة اجتماعيـة ويمكـن قياسـها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنمـوذج وذلـك بقصـد تقـديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي"[٦].

ويعـرف "هـونيني" المسـح الاجتمـاعي بأنـه محاولـة منظمـة لتحليل وتأويل وتسجيل الوضع الراهن لنظام اجتمـاعي أو لجماعـة أو لمنظمة، ويركز المسح على قطـاع عرضـي مـن الحاضـر ولفـترة مـن

الزمن كافية للدراسة والهدف منه الحصول على مجموعات من البيانات الوصفية وتأويلها والتعميم منها كما يهدف إلى ترشيد التطبيق العملي في المستقبل القريب.

ويعرف "مورس" المسح بأنه منهج لتحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة اجتماعية أو جمهور ما وذلك باتباع طريقة منظمة لتحقيق أغراض معينة.

أما "كامبل وكانونا" فيعرفا المسح بأنه جمع البيانات بطريقة منظمة سواء من جمهور معين أو عينة منه وذلك عن طريق استخدام المقابلات أو أي أداة أخرى من أدوات البحث.

ويعرف المسح الاجتماعي على أنه "الدراسة العلمية للظواهر الموجودة في جماعة معينة وفي مكان معين وأنه ينصب على الوقت الحاضر حيث أنه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء المسح وليست ماضية. وأنه يتعلق بالجانب العملي إذ يحاول الكشف عن الأوضاع القائمة لمحاولة النهوض بها ووضع خطة أو برنامج للإصلاح الاجتماعى"[٧].

والمسح الاجتماعى عبارة عن طريقة أو أسلوب بقصد تصوير مشكلة معينة أو موقفاً معين وذلك لكشف أبعاد هذه المشكلة عن طريق جمع البيانات بأدوات منظمة مقننة سواء من جمهور أو عينة.

المسح الاجتماعى إذن أسلوب جمع المعلومات عن جماعة معينة في بيئة معينة من حيث ظروفهم المعيشية ومناشطهم وتكوينهم الاجتماعي وبذلك يتناول المسح الاجتماعي مثلاً الجانب الصحي أو الزراعي أو الدراسي والحياة الريفية في منطقة معينة. كما يستخدم هذا الأسلوب في ميادين متنوعة معتمداً على الاتصال المباشر بين المجتمعات والأفراد.

ولقد استخدم مصطلح المسح الاجتماعي للتعبير عن البحث الاجتماعي الشامل من جهة للدلالة على أحد المناهج النوعية المستخدمة في البحث الاجتماعي من جهة أخرى.

وهناك اعتقاد شائع يربط المسح الاجتماعي بمعنى الحصر ويتصور أصحاب هذا الرأي أن الدراسة المسحية معناها الوقوف على كافة الجزئيات في موضوع معين أو في منطقة معينة. ومع ذلك فإن أسلوب الحصر الشامل ليس من مستلزمات المسح الاجتماعي ولكنه يهتم بتوضيح الطبيعة الحقيقية للظاهرة عن طريق تحليلها والوقوف على الظاهرة المحيطة بها أو الأسباب التي تدفع إلى ظهورها.

فالمسح الاجتماعي كما يصفه " كارادوح جوينى" هو تعريف وقياس وهو تعريف بمجتمع معين كما أنه قياس لمستوى هذا المجتمع. وعلى هذا الهدف يذهب المسح الاجتماعي إلى وصف الظروف والعلاقات والسلوك الاجتماعي كما يهدف أيضاً إلى تفسيرها[٨].

ثالثاً: أنواع المسوح.

هناك تصنيفات متعددة توضح أنواع المسوح الاجتماعية فقد يذهب البعض إلى تقسيم المسوح على أساس مجالها ويذهب البعض الآخر إلى تقسيمها حسب مدى التعمق في دراسة الظاهرة أو حسب حجم جمهور البحث الذى تجرى عليه الدراسة، وأخيراً فحسب الفترة الزمنية التى يجرى فيه المسح.

أ- تصنيف المسوح حسب مجالها.

يوضح هذا التصنيف نوعين من المسوح العامة والمسوح المتخصصة وذلك وفقاً لمجال الدراسة فهناك مسوح تذهب في اتجاه أفقي إذ تجري على مجتمعات بأكملها وهناك مسوح تذهب فى اتجاه رأسى تعمقى إذ تجرى على قطاع معين من قطاعات المجتمع مثل الإسكان أو التعليم أو الصحة أو الإجرام.

وفي هذا يرى " هاريسون" أن لكل نوع من هذين النوعين مزاياه إذ لا تقتصر المسوح العامة على التدابير والسياسة العملية التى تتحدد للإصلاح الاجتماعي على ضوء البيانات التي تجمعها بل إن لها قيمة عظيمة عندما تسعى إلى إيقاظ الشعور بالمسئولية لدى أفراد المجتمع تجاه المسائل التي تشملها هذه المسوح.

كما يرى " هاريسون " أيضاً أن هناك اتجاه يركز على المسوح المتخصصة أكثر من الاهتمام بالمسوح ذات الطبيعة العامة الأفقية.

ب- تصنيف المسوح وفقاً لمدى التعمق في الدراسة:

تصنف المسوح أحياناً على أساس مدى التعمق في تفسير وعرض بياناتها إذ أن هناك مسوح تعتمد على الوصف فقط تقابلها مسوح أخرى تهتم بالتفسير ويرى هيهان أن المسوح الوصفية يركز هدفها على القياس الدقيق لمتغير تابع أو أكثر في جمهور معين أو في عينة منه.

ولكن هناك مسوحاً لا تحصر أهدافها فى مجرد الوصف بل تذهب إلى أبعد من ذلك فتحاول الوصول إلى تفسير السلوك الذي تدرسه وقد تتخذ هذه المسوح شكل اختيار فرض محدد نابع من نظرية تحدد أسباب حدوث ظاهرة معينة. بمعنى الكشف عن طبيعة العلاقة بين ظاهرة أو أكثر وبين سبب أو أكثر ويرى بعض الباحثين أن هذا النوع من المسوح يختلط بالدراسات التجريبية من حيث أن هذه الدراسات تحاول أن تختبر الفروض المسببة لإحداث ظاهرة معينة[٩].

ج- تصنيف المسوح وفقاً لحجم جمهور البحث:

المسوح الشاملة: وهي التي تدرس جميع أفراد المجتمع أو تشمل جميع مفردات المجتمع موضوع المسح وذلك عن طريق الحصر الشامل الذي لا يترك مفردة منه دون أن يأخذها في اعتباره والواقع أنه إذا كانت الخبرة بالبحث الاجتماعي تؤكد لنا أنه نادراً ما يجري الباحثون

هذا النوع من البحوث نظراً لما يتطلبه هذا النوع من المسوح إلى وقت طويل وإمكانيات وتكاليف باهظة وباحثون كثيرون بيدي أن تتوفر كلها بسهولة إلا أنه لا يمكن الاستغناء عن هذا النوع من المسوح خاصة وإذا كنا بصدد تصوير الوضع القائم لمجتمع صغير نسبياً مثل مجتمع القرية.

المسوح بالعينة: وهي تلك المسوح التي تهتم بدراسة جزء من أفراد المجتمع أو تنصب على عدد محدد من الحالات أو المفردات وذلك في حدود الوقت والإمكانيات المتوفرة لدى من يقوم على أمر مثل هذا النوع من المسوح وتؤكد الشواهد التي ينطوي عليها تراث البحوث الاجتماعية أن هذا النوع من المسوح هو أكثر الأنواع استخدماً وشيوعاً في البحث الاجتماعي لما له من مزايا متعددة. يشير بعضها إلى دقة البيانات وصدق تمثيلها للمجتمع الأصلي الذي اختيرت منه عينة البحث وثبات تلك البيانات التي يوفرها جمهور المسح أو الظواهر والموضوعات التي يهتم بدراستها خاصة إذا كان اختيار العينة قد تم على أسس سليمة وتشير بعض هذه المزايا إلى أهمية هذا النوع من المسوح فى توفير الجهود والإمكانيات والوقت طالما كانت نتائجه تماثل إلى حد كبير نتائج المسوح الشاملة التى تجرى على جميع أفراد المجتمع موضوع المسح[١٠].

د- تصنيف المسوح وفقاً للفترة الزمنية التي يجري فيها:

المسوح الدورية: وهي تلك المسوح التي تجري على فترات زمنية محددة ومتباينة حيث يستفاد منها في وضع الخطط الاجتماعية القومية على مدى هذه الفترات الزمنية المحددة ولتكن خمس أو عشرة سنوات وهكذا.

المسوح القبلية: وهي تلك المسوح التي تجري على المجتمع قبل إدخال برامج ومشروعات التنمية الاجتماعية حتى يمكن وضع هذه البرامج والمشروعات بما يتفق مع ظروف هذه المجتمعات.

المسوح البعدية: وهي تلك المسوح التي تجري على المجتمع بعد الانتهاء من إدخال برامج ومشروعات التنمية الاجتماعية وتنفيذها ومرور فترة لمعرفة أثرها وفى الإفادة من هذه المسوح ونتائجها في تقويم مدى نجاح أو فشل هذه البرامج.

هـ- تصنيف أنواع المسوح وفقاً للهدف من إجرائها:

المسوح الوضعية: تتمثل في تلك المسوح التي تهتم فقط بعملية وصف الوضع الراهن أو تصويره لوحدة اجتماعية محددة في الظروف الحالية من خلال جمع البيانات وترتيبها وتنسيقها وتنظيمها بما يفيد في أهداف الوصف التى تقوم عليه عملية المسح.

المسوح التفسيرية: وتتمثل في أنواع المسوح التي تتجاوز عملية الوصف إلى التفسير ولا تكتفي بمجرد تقدير الوضع الراهن وإنما تحاول أن تبحث عن تفسيره أو الكشف عن طبيعة العلاقة بين جوانب الوحدة الاجتماعية التي تهتم بمسحها أو من ظواهرها بما يساعد في إلقاء الضوء على بعض القضايا الافتراضية التي تتناول العلاقة بين المتغيرات كما تنطوي عليها بعض النظريات المرتبطة بالموضوعات التي يجري عليها هذا النوع من المسوح[١١].

رابعاً: الإجراءات المنهجية للمسح الاجتماعى.

مهما كان نوع المسح الذي يستعين به الباحث كطريقة لإجراء بحثه فإنه مطالب في كل الأحوال بأن يسير في عدد من الخطوات المنهجية تعينه على تحقيق أهدافه من الاعتماد على المسح الاجتماعي.

التخطيط للمسح:

تبدو أهمية عملية التخطيط للمسح وقبل الشروع في تنفيذه إذا علمنا أن جانباً كبيراً من البحث قد يتوقف على التخطيط وإن تنفيذه على الوجه المناسب قد يتعثر بدون هذا التخطيط حيث أن التخطيط للمسح يقتضى من الباحث تحديد الغرض من المسح أو أهدافه المتباينة العام منها والخاص أو الرئيسي والثانوي والتعريف بالعناصر المختلفة لهذه الأهداف.

كما يتطلب منه تحديد المفاهيم المستخدمة والأدوات اللازمة لجمع البيانات والمجالات البشرية والمجتمع كله والمكان وتحديد طريقة تناول البيانات من حيث تعريفها واستخلاص النتائج منها.

تنفيذ المسح:

القيام بالعمل الميداني للمسح من حيث اختيار الباحثين وتدريبهم على أدوات المسح بعد تصميمها واستيعاب تعليماتها وإعداد المجتمع للمسح وإنهاء الاتصالات بهم وتوزيع اختصاصات العمل الميداني من حيث الإشراف وجمع البيانات ومراجعتها والتغلب على الصعوبات وتفريغ البيانات التي تم جمعها بعد التأكد من سلامتها وتوفيرها تمهيداً لتطبيقها وتصنيفها أو تقسيمها وجدولتها لاستخلاص النتائج.

إخراج المسح:

وضع كل العمليات التخطيطية والتنفيذية للمسح فى صورة تقرير يجمع شتات البيانات والنتائج ويلقي الضوء على أهداف المسح ويقوم هذا التقرير بمساعدة الآخرين من أجل التعرف على الجهود المبذولة في هذا المسح وعلى المعاني الحقيقية للنتائج والحقائق التي تم التوصل إليها في المسح أو بعبارة أدق وضع المسح في صورة تقرير مكتوب يخرج ما انطوى عليه العمل في البحث[١٢].

خامساً: خطوات المسح الاجتماعي.

يعد المسح الاجتماعي في عدة مراحل وهي:

١- **تصميم الخطة: تتضمن هذه الخطوة ما يلي:**

أ- تحديد الغرض من المسح وتحديد النقاط الرئيسية والفرعية التي يشتمل عليها.

ب- تحديد المفاهيم المستخدمة في المسح.

ج- تحديد الأدوات اللازمة لجمع البيانات.

د- تحديد مجالات البحث الثلاثة: البشري والمكاني والزماني.

هـ- تقدير الميزانية وتحديد البرنامج الزمني للمسح وكذلك إعداد دليل للعمل الميداني[١٣].

٢- **جمع البيانات من الميدان: وتتضمن هذه الخطوة ما يلي:**

أ- إعداد التعليمات للباحثين الميدانيين.

ب- تدريب باحثي الميدان.

ج- عمل الاتصالات اللازمة بالمبحوثين وإعداد المجتمع لعملية المسح.

د- الإشراف على أعمال الباحثين الميدانيين إما عن طريق الباحث نفسه أو تعيين مشرف لكل منطقة يعقد اجتماعات يومية مع الباحثين ليناقش معهم الصعوبات التي تقابلهم في الميدان وكيفية التغلب عليها.

هـ- مراجعة البيانات التي تجمع يوماً بعد يوم حتى يمكن تلافي الأخطاء الميدانية[١٤].

٣- **تحليل البيانات:**

أ- مراجعة البيانات التي جمعت للتأكد من أنها صحيحة وكاملة ومسجلة بطريقة منظمة تساعد على سهولة تبويبها.

ب- تصنيف البيانات وتقسيمها إلى مجموعات متجانسة خاصة في الأسئلة ذات النهايات المفتوحة حتى يمكن جدولتها.

ج- ترميز البيانات في كل صحيفة أي تحويل البيانات الوصفية إلى بيانات رقمية واختيار الرموز عندها يأخذ في اعتباره ما إذا كانت الجدولة ستتم باليد أو بواسطة الآلات الإحصائية.

د- مراجعة الترميز.

هـ- الإشراف على عملية التصنيف الآلي.

و- جدولة البيانات الكمية وحساب النسب المئوية.

ز- التحليل الإحصائي للجدوال.

٤- عرض النتائج وكتابة التقارير:

بعد أن تنتهي عملية التحليل الإحصائي فإن من الضروري أن يسجل الباحث النتائج بصرف النظر عما إذا كانت تحقق الأهداف التي حددها من البداية أم لا ومن واجبه أيضاً أن يقرر ما إذا كانت الفروق التي حصل عليها بين معاملات الارتباط أو المتوسطات الحسابية أو النسب المئوية ذات دلالة إحصائية أم لا وعلى الباحث أن يوضح المدى الذي يمكن الذهاب إليه في التعميم من النتائج إلى مواقف أخرى مشابهة لموقف البحث[١٥].

سادساً: مزايا وعيوب المسح الاجتماعى.

(١) مزايا المسح الاجتماعى:

أ- يعتبر أحد الطرق التى يفضل استخدامها في البحوث الوصفية تلك التي تهدف إلى تقديم صورة كلية عن الموقف الاجتماعي أو الوحدة الاجتماعية موضوع الوصف بهدف إلقاء الضوء على العناصر المتباينة التي تكون هذه الصورة وما ترتب على ذلك من بيان طبيعة العلاقة بين هذه العناصر وبالتالي تحديد أي العناصر ترتبط ببعضها أكثر من غيرها أو ما يهم بدوره في تمهيد الطريق نحو بلورة الفروض العلمية التي تقوم على العلاقة بين المعتقدات[١٦]، ولا يمكن لنا أن ننكر قيمة المسح في توفير

البيانات الدقيقة والمنطقية التي تساعد على تصوير الوضع الراهن للوحدة الاجتماعية موضوع الوصف.

ب- المسح الاجتماعي وسيلة هامة في التعرف على الخبرات القائمة وجمع الاستشارات اللازمة منهم بطريقة منظمة. وأيضاً المسح الاجتماعي يعتبر وسيلة مناسبة في التعرف على الإمكانيات القائمة في المجتمع موضوع المسح والموارد المتاحة وفي نفس الوقت كوسيلة مفضلة الوقوف على المشكلات المختلفة التي تؤثر في هذا المجتمع وتحديد فئات الأفراد الذين يستطيعون الإسهام في حلها وذلك كله من أجل اقتراح الحلول الموضوعية والملائمة لعلاج هذه المشكلات[١٧].

ج- وأيضاً يسهم المسح الاجتماعي في نطاق عمليات التخطيط الاجتماعي التي تستهدف تنمية الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرفاهية الاجتماعية لفئات المجتمع في فترة زمنية محددة.

د- يسهم المسح الاجتماعي من خلال استخدامه كوسيلة للتنبؤ في مجالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وذلك لأنه يمكن الاعتماد عليه بالعينة مثلاً لقياس اتجاهات الرأي العام نحو موضوع مثل تنظيم الأسرة، وفي المجال الاجتماعي من خلال البيانات المنظمة والدقيقة التي يصل إليها يمكن التنبؤ بمدى إقبال أو إحجام الناس في المستقبل على مثل هذه البرامج.

(٢) عيوب المسح الاجتماعي:

على الرغم من أهمية وتميز وتعدد استخدامات المسح الاجتماعي كطريقة في البحث إلا أن هناك عدد من الأخطاء والعيوب التي لوحظت على المسح من خلال الاستعانة به في البحث الاجتماعي يلزم تنبيه الأذهان إليها حتى يمكن تفاديها أو أخذها في الاعتبار.

١- أن المسح الاجتماعي قد يقع في الخطأ عن تصوير الوضع الراهن أو حتى عند تفسيره خاصة وإذا كان المسح يجري بالعينة وذلك لأن اختيار عينة البحث قد لا يتم على أساس سطحي سليم أو يقوم على أساس خاطئ بحيث قد تكون العينة المختارة من الصغر أو الكبر لا تتفق مع تمثيل الجمهور تمثيلاً صادقاً مما قد يترتب عليه بعد ذلك خطأ في البيانات وبالتالي خطأ في التصوير والوصف وخطأ في التفسير.

٢- أن المسح الاجتماع قد يقع في خطأ التحيز سواء أكان هذا التحيز من جانب الباحث الذي يجري المسح أو من جانب المبحوث الذي يجرى عليه المسح وبقدر دقة الباحث وموضوعيته في جمع البيانات يقدر عدم تحيزه وبقدر تعاون المبحوثين وصدقهم في الإدلاء بالبيانات وعدم مللهم بقدر بعدهم عن التحيز.

٣- أن المسح الاجتماعي وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن ويركز على الحاضر لا يصلح في دراسة الماضي وتتبع التطور التاريخي لمجتمع من المجتمعات أو لجماعة من الجماعات أو حتى لنظام اجتماعي أو ظاهرة.

٤- أن المسح الاجتماعي وهو يهتم بتصوير الوضع الراهن يحتاج من الجهد والوقت والنفقات ما يعجز الأفراد الغير مجتمعين عن القيام به ويقف أمر الاستفادة منه في البحث على قيام هيئات ومنظمات ومراكز البحث بتوفير ما يحتاج إليه المسح من إمكانيات مادية وبشرية ويخصص الميزانيات الزمنية التي يسخرها أجزائه(١٨).

المراجع المستخدمة

(١) علي عبد الرازق حلبى، محاضرات في مناهج البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص٢٢٦.

(٢) محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، ط١، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠، ص ٦٢٩.

(٣) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتداعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ٢٠٧.

(٤) محمد الجوهري، عبد الله الخريجي، طرق البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ١٥٧.

(٥) محمد سعيد فرح، لماذا؟ وكيف؟ تكتب بحثاً اجتماعياً، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ، ص ٣٠٣.

(٦) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٥، ص٢٢١.

(٧) المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٨) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٩) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

(١٠) أحمد النكلاوي، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٣، ص٢١٥.

(١١) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(١٢) علي جلبى، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(١٣) محمد الجوهرى، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(١٤) أحمد النكلاوى، مرجع سابق، ص ٢١٨.

(١٥) علي جلبى، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(١٦) محمد الجوهرى، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(١٧) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(١٨) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٢٣٨

الفصل الخامس

دراسة الحالة

تمهيد.

أولاً : تعـــريف دراســــة الحالة.

ثانياً : وسائل تطبيق دراسة الحالة.

ثالثاً : المصادر والوسائل التى تستخدم فى دراسة الحالة.

رابعاً : خطوات طريقة دراسة الحالة.

خامساً : مزايا وعيوب دراسة الحالة.

تمهيد.

تعد طريقة دراسة الحالة طريقة أساسية وهامة من طرق البحث الاجتماعي، قد استخدمت في الماضي ولازالت تستخدم إلى وقتنا هـذا لما لها من أهمية كبيرة في علم الاجتماع بصفة عامة والبحث الاجتماعي بصفة خاصة.

لذا قد يلجأ الباحثون إلى هذه الطريقة على اعتبار أنها الطريقة الشائعة والأكثر استخداماً، وقد تمكن هذه الطريقة الباحثين من الحصول على صورة كلية عن المشكلة التى يقوم الباحث بدراستها، ووضع الفروض المناسبة التى تحدد المشكلة وصياغتها.

أولاً: تعريف دراسة الحالة.

تقوم طريقة دراسة الحالة على فكرة التفريد والاتصال المباشر بالحالة موضوع البحث، فالحالة فى البحوث الاجتماعية قد تعني فرداً بالذات بالرغم من أن هذا التفريد لا يمارس بمعزل عن جماعته الأولية وهي الأسرة. ومن هنا فإن مفهوم الحالة في البحوث الاجتماعية يقابل في الحقيقة مفهوم الوحدة unit في كل فئة من فئات التشكيل الإنساني أو الاقتصادي أو العمرى أو الصحى أو الإدارى أو الاجتماعى وغير ذلك من التشكيلات. ولهذا يمكن أن تكون الحالة موضوع البحث فرداً أو أسرة أو جماعة أو مشروعاً اقتصادياً أو مؤسسة تمثل وحدة مالية معينة[1].

وتعددت التعريفات الخاصة بدراسة الحالة نظراً لتعدد آراء الباحثين والعلماء فتعرف على أنها طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية من خلال التحليل المتعمق لحالة فردية قد يكون شخصاً أو جماعة، أو حقبة تاريخية، أو ظاهرة اجتماعية، أو مجتمعاً محلياً، أو مجتمعاً كبيراً أو أي وحدة أخرى في الحياة الاجتماعية.

وتقوم هذه الطريقة على افتراض أن الحالة المدروسة يمكن أن تصلح نموذجاً لحالات أخرى مشابهة. ولذلك فمن الممكن عن طريق التحليل المتعمق أن تتوصل إلى تعميمات قابلة للتطبيق على حالات أخرى تندرج تحت نفس النموذج.

وقد ذهب "أودم Odum" و" جوشر K. Jocker" إلى أن أول من طبق دراسة الحالة هم علماء التاريخ حينما اهتموا بتقديم دراسات وصفية عن الشعوب والأمم، تبعتها بحوث تفصيلية عن جماعات أصغر وقبائل وحالات فردية.

أما أول استخدام منظم لدراسات الحالة في البحوث الاجتماعية فهو الذي نجده عند "لوبلاي Le Play" حينما ربطها بالتحليلات الإحصائية والتصنيفية. ولكن هذه الطريقة لم يكتب لها الذيوع والانتشار كاتجاه مستقل، متميز في دراسة الظواهر الاجتماعية، إلا بعد أن نشر "هيلي" دراسته عن الانحراف وكذلك بعد أن ظهرت دراسات "توماس وزنانيكي" عن الفلاح البولندي[٢].

وتعرف بأنها الحالة التي يدرسها الباحث وقد تكون شخصاً، أو جماعة من الأشخاص، مثل الأسرة، أو النظام الاجتماعي أو المجتمع المحلي، والهدف من دراسة الحالة هو البحث التفصيلي لكافة جوانبها. ومن ثم يحاول الباحث أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن هذه الحالة، وبخاصة تلك المعلومات التي تتصل بتاريخ حياة الحالة وتطورها[٣].

كما يقصد بالحالة التي تخضع للدراسة فرد واحداً أوموقفاً اجتماعياً أو جماعة اجتماعية أو أسرة أو مجتمعاً محلياً، يكون المقصود بدراسة الحالة ذلك الأسلوب في تنظيم الحقائق والمعلومات التي يمكن الاستفادة منها في رسم صورة كلية لواحد من هذه الوحدات الممثلة

لأنواع الحالات وذلك في علاقاتها وأجزائها بعضها بالبعض الآخر وفي وضعها في المحيط الاجتماعي والثقافي الذي توجد فيه.

وتحدد دراسة الحالة في قول آخر بأنها تركز على الموقف الكلى أو مجموع العوامل التي تساعد على وجود موقف معين تعيشه هذه الوحدة أو السلوك الذى اعتادته داخل هذا الموقف[٤].

ويختلف علماء المناهج في تحديد دراسة الحالة، هل هي منهج ضمن مناهج البحث أم أنها إحدى الطرق التي عن طريقها يتم إجراء بحث معين، أو يمكن اعتبارها إحدى أدوات جمع البيانات.

ويذهب قاموس علم الاجتماع الذي وضعه (فيرتشايلد) إلى أن دراسة الحالة منهج في البحث الاجتماعي عن طريقه يمكن جمع البيانات ودراستها، بحيث يمكن رسم صورة كلية لوحدة معينة في علاقاتها المتنوعة وأوضاعها الثقافية. ويمكن أن تكون الوحدة موضوع الدراسة شخصاً معيناً أو أسرة أو جماعة اجتماعية أو نظام اجتماعي أو مجتمع محلي أو وطن معين.

ويذهب "كليفوردشو" إلى أن دراسة الحالة طريقة تركز على الموقف الكلي أو مجموع العوامل التي تساعد في وجود موقف معين. وكذلك على وصف العملية التي من خلالها يتم إحداث سلوك معين، بالإضافة إلى دراسة السلوك الفردي داخل الموقف الذي يقع فيه وتحليل الحالات ومقارنتها مما يؤدي إلى تكوين الفروض[٥].

وتبنى طريقة دراسة الحالة على بحث موضوع مفرد أو وحدة معينة أو عدد قليل من الوحدات أو المفردات والمتغيرات التي تتواجد في مجتمع البحث بهدف التعرف على جوانبها وخصائصها وأبعادها المتعددة، واكتشاف العوامل المشتركة بينها وتتسم بها الوحدة أو المفرد المعين المستخلص من المجتمع الكبير للبحث. ويساعد ذلك في الوصول لمجموعة من التعميمات أو المبادئ العامة التي يمكن أن تنطبق

على غيرها من الوحدات المتشابهة سواء في مجمع البحث نفسه أو في مجتمعات البحوث المماثلة[٦].

وأنها طريقة تهتم بتجميع الجوانب المتعلقة بشئ أو موقف واحد على أن يعتبر الفرد، أو المؤسسة، أو المجتمع أو أي جماعة، كوحلة للدراسة وتقوم طريقة دراسة الحالة على التعمق فى دراسة المعلومات بمرحلة معينة من تاريخ حياة هذه الوحدة، أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها.

ومعنى ذلك أن الوحدة التي يقوم الباحث بدراستها في طريقة دراسة الحالة يمكن أن تكون فرداً أو أسرة أو جماعة أو مجتمعاً كاملاً، حيث يقوم الباحث بالتحليل العميق للتفاعل الذي يحدث بين العوامل التى تؤدى إلى التعبير والنمو والتطور على مدى فترة معينة من الزمن.

كما يرجع شيوع استخدام أسلوب دراسة الحالة خلال نصف القرن الماضي إلى ظهور نظرية (الجشطلت Gestalt) التى لفتت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بالموقف الكلي الذي يتفاعل فيه الكائن الحي واعتبار هذا الكائن الحي جزءاً من الموقف لا ينفصل عنه إلا بقصد التحليل فقط[٧].

وأنها تصميم بحثي يتخذ لموضوع له حالة واحدة، أو عدد من الأمثلة المختارة من وحدة اجتماعية معينة – كالمجتمعات المحلية، أو الجماعات المحلية، أو أصحاب العمل، أو الوقائع، أو تواريخ الحياة، أو الأسرة، أو فرق العمل، أو الأدوار، أو العلاقات.

ويستخدم مناهج متعددة لدراستها. وتشتمل دراسات الحالة على تقارير وصفية حول أمثلة نمطية أو إرشادية، أو شاذة، ووصف للممارسات الجيدة في البحوث التطبيقية، وتقويم السياسات بعد تنفيذها في مؤسسة ما[٨].

وتتحدد الأدوات المنهجية المستخدمة في جمع المعلومات جزئياً بقدر اليسر الذي تتيحه الأداة، ومدى تقبل موضوع الدراسة من قبل المبحوثين. وقد استخدمت الملاحظة المشاركة وغير المشاركة، والمقابلات غير المقننة مع إخباريين أساسيين، وتحليل الأدلة الوثائقية، والمعلومات من السجلات الإدارية، وتحليل مضمون الوثائق الهامة الصادرة عن المبحوثين وتحليل الوقائع العامة التي حدثت خلال الفترة موضع البحث، ومسوح العينة استخدمت جميعها بدرجات متفاوتة في بحوث دراسات الحالة[٩].

هذا وقد يظل مفهوم دراسة الحالة موضع الجدل، وتعبير الدراسة غامضاً أيضاً فدراسة الحالة كما يقول "Kemmis" كطريقة تستخدم في كل من عمليتي التعلم من الحالة أي للأغراض التعليمية وإنتاج المعرفة A case study is both the process of learning about the case and product of our learning ومع أنه قد يتبادر للذهن أن الحالة هي فرد من الأفراد بسبب المعنى الحرفي للمصطلح إلا أن الحالة قد تكون بسيطة أو مركبة فقد تكون طفلاً أو قد تكون التعبئة المهنية لدراسة ظروف الطفولة أو في دراسة الحالة ينصب التركيز على الحالة بمفردها والتعمق في أبعادها وفقاً لطريقتها في الدراسة[١٠]. إذن طريقة دراسة الحالة شكلاً من أشكال التحليل الكيفي وتوصف بأنها طريقة أكثر كفاءة للحصول على بيانات أكثرة وفرة وأكثر غزارة.

وتعرف طريقة دراسة الحالة بأنها طريقة لجمع بيانات اجتماعية منظمة تتعلق بمجموعة منتقاة من الوحدات الاجتماعية، ويستخدم الباحث في جمع هذه البيانات أدوات كثيرة تتقصى تاريخ حياة الشخص أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها ويرتبط بها، كما يتقصى الباحث عمليات اجتماعية معينة من أجل الحصول على بيانات شاملة تؤكد أن الموضوع محل الدراسة وحدة متكاملة متطورة[١١].

وهناك تعريف ثان لطريقة دراسة الحالة بوصفها طريقة لدراسة الظواهر الاجتماعية بانتقاء حالة فردية أو مجموعة حالات وتحليلها تحليلاً كلياً شاملاً باعتبارها وحدة كلية شمولية. وقد تكون الحالة شخصاً أو جماعة اجتماعية أو أسرة أو مجموعة أسر أو حدثاً أو عملية اجتماعية أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً كبيراً أو وحدة اجتماعية. وقد تعتمد طريقة دراسة الحالة على افتراض مؤداه أن الحالة تدرس بوصفها حالة نمطية، ويمكننا التحليل المتعمق للحالة وذلك لتعميم النتائج[١٢].

ثانياً: وسائل تطبيق دراسة الحالة.

يمكن تطبيق دراسة الحالة بوسيلتين هما: تاريخ الحالة، والتاريخ الشخصي للحياة.

تاريخ الحالة "The case history".

هو دراسة متعمقة لحياة فرد معين منذ طفولته المبكرة حتى الوقت الراهن، وقد يستخدم هذا المصطلح ليشير إلى سجل الخبرة الفردية، أو المرض، أو التعليم أو العلاج.

ويمكن أن تجمع تواريخ الحالة بطرق عديدة، منها استخدام قصص الحياة التي كتبها الأفراد لأنفسهم، والخطابات، والوثائق القانونية، أو المقابلات التي أجراها الفرد مع غيره ممن يعرفهم والسير الذاتية.

كما يمكن استخدام تواريخ الحياة لفهم سلوك شخص معين، أو إلقاء الضوء على طابع أدوار وإمكانات اجتماعية معينة، أو طابع نماذج خط مهني معين وتاريخ الحالة مصطلح محدود أكثر من مصطلح دراسة الحالة، لأنه عندما يستخدم كأسلوب للدراسة، فإنه يمثل نموذجاً واحداً دراسة الحالة[١٣].

وهي المراحل التطورية التي مرت بها والتي تتضمن مراحل النمو والتطور الجسمية الذهنية والانفعالية والسلوكية. ولذلك يقال أن تاريخ الحالة يقصد به قصة حياة الحالة أو صورة حياة الحالة في مجموعها أو في كل فتراتها.

ولما كانت هذه المراحل من التعدد والاختلاف كان من الصعب العثور على الباحث الذي يجري دراسة حالة من خلال هذا الأسلوب. ويقدم بعض المهتمين بدراسة الحالة إطاراً يمكن على ضوئه تنظيم المعلومات التي جمعت عن الحالة - خاصة إذا كانت الحالة فرداً ينطوي على الجوانب الهامة التالية:

النمو الفيزيقى:

بجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير إلى تطور المشي والكلام واللعب وغيرها من مظاهر النمو البدني في مرحلة الطفولة.

النمو السلوكى:

ويجمع كل المعلومات المتوفرة عن الحالة وتشير إلى عادات النوم والأكل، وتكوين الأصدقاء والقدرة على التعامل مع الآخرين كبار وصغار والتغلب على الصعوبات.

النمو الدراسى:

ويقدم كل البيانات المتوفرة عن الحالة وتتعلق بتكيفه مع الظروف الدراسية منذ اللحظة الأولى، وتقبل سلطة مدرسية، والنظام المدرسي وتفوقه أو تخلفه.

النمو الانفعالى والشخصى:

ويشتمل على كل البيانات التي توفرت عن الحالة ولها صلة باستجاباته الانفعالية ونمو الشخصية من حيث اتجاهها نحو التسلط أو التبعية أو غيرها[١٤].

ويرى "مانديل شرمان" أن تاريخ الحالة يشمل بالضرورة قصة الحياة التطورية لفرد من الأفراد، وتتضمن هذه القصة نموه الجسمي والذهنى وكذلك نمو اتجاهاته الانفعالية والسلوكية.

وتذهب "بولين يونج" إلى أن تاريخ الحالة يهدف إلى دراسة دورة الحياة في مجموعها، أو دراسة عملية محددة من هذه الدورة أو فترة من فتراتها، لوحدة مفردة، سواء كانت هذه الوحدة فرداً أو أسرة أو نظاماً أو جماعة أو مجتمعاً محلياً.

ويتضمن تاريخ الحالة نوعين من البيانات: بيانات محددة نوعية، وبيانات عامة. وتدور البيانات المحددة حول النمو الطبيعي للفرد والطرق التي انهجها الأبوين في تدريبه وتنشئته الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية المبكرة والعادات الشخصية والاجتماعية.

أما البيانات العامة فتدور حول أي انحراف في الشخصية أو في السلوك، ومن الضروري أيضاً الحصول على تاريخ مفصل للأسرة[١٥].

تاريخ الحياة "Life History":

أنها أداة فحص (بحث) تستخدم عندما يريد شخص إعطاء صورة كاملة ومفصلة عن خبراته في الحياة، تنطوي على أحاسيسه، ومشاعره و عواطفه، وملاحظاته الهامة، وتمكنه في نفس الوقت من إجراء تحليل عام لذاته. ويمكن أن يدون الشخص ملاحظاته بنفسه، أو يقوم بها الباحث، أو يشترك الاثنان معاً في تدوينها.

يقصد به تصور المراحل التطورية الثقافية التي مر بها الشخص والتي تنطوي على عمليات نموه الجسمي والذهني والانفعالي والسلوكي وتقديره للاهتمامات والخبرات وتفسيره لهذا النمو والاهتمامات يقدمها الشخص نفسه ويراه مناسباً للمراحل الثقافية لنموه الانفعالي والسلوكي.

أو هو بعبارة أخرى دراسة حالة يجريها الشخص لنفسه وهنا يكون المصدر الأساسي للبيانات منصباً على الفرد نفسه موضوع الدراسة ويحدد بالتالي الأدوات المناسبة للحصول على البيانات التي تفيد في هذا الغرض.

ولم يغفل المهتمين بدراسة الحالة الإشارة إلى الإطار الذي يمكن على ضوئه تنظيم المعلومات من أجل الوصول إلى الصورة الكلية للحالة التي يحاول تتبع تاريخها الشخصي. وهو إطار يضم مجموعة من المعايير التي تولي اهتماماً بالغاً بسلسلة الخبرات المترابطة والمتناسقة والمستمرة والتي ترسخت عند الحالة في سياق حياتها الاجتماعية والثقافية والتي تحرك وتدفع السلوك الشخصي والاجتماعي[١٦].

لذا يهتم تاريخ الحياة بوجهة النظر الشخصية إلى الحوادث التـي تجـرى للشخص خلال مواقف معينة. وإذا كانت الحقائق الموضوعية يمكن الحصول عليها عن طريق المناهج التاريخية، فإن تاريخ الحياة لا يهتم بهذه الحقائق، وإنما يركز على ما وراء هذه الحقائق من معان. حيث يشرح الشخص المعاني ذات الأهمية في سلوكه.

ويعرف "شرمان" التاريخ الشخصي للحياة بأنه صورة من صور تاريخ الحالة يعرض فيها الفرد المبحوث الحوادث التي مرت به واهتماماته واتجاهاته والخبرات التي اكتسبها، وذلك من وجهة النظر الخاصة به، فكأن الفرق بين تاريخ الحالة والتاريخ الشخصي للحياة يتلخص في: إن تاريخ الحالة يهتم بالتثبت من مدى صدق البيانات التي يدلى بها الفرد أو التي يمكن جمعها عنه. أما التاريخ الشخصي للحياة فيهتم بغرض حياة الفرد من وجهة نظره الخاصة بما يتضمنه ذلك من التفسيرات التي يراها للمراحل المتعاقبة لنموه الانفعالي والسلوكي بمعنى أن الأول يهتم بالفرد في حين أن الثاني يهتم بالشخص[١٧].

ثالثاً: المصادر والوسائل التى تستخدم فى دراسة الحالة.

تختلف الأدوات المستخدمة في دراسة الحالة اختلافاً بيناً في مختلف الميادين. فقد تستخدم في دراسة الحالة "الملاحظة" عن طريق المشاركة أو الملاحظة المنتظمة أو المقابلة الشخصية.

وقد يستخدم في دراسة الحالة "الاستبيان" عن طريق المقابلة الشخصية، كما قد تستخدم "الوثائق" لتعمق حالة معينة. إذ قد تجري دراسة حالة شخصية معينة من خلال مؤلفاتها.

من الضروري أن تكون دراسة الحالة على درجة ملائمة من الدقة والشمول، حتى نتمكن من الإفادة من نتائجها. وتتلخص أهم إجراءاتها فيما يلي:

١- المقابلة الشخصية:

ويقصد بذلك الحصول على معلومات مباشرة من الحالات المدروسة، وتختلف الظروف التي تستخدم فيها المقابلة الشخصية باختلاف الموضوع والحالات المدروسة ولكن كقاعدة، وتتميز المقابلة في دراسة الحالة بأنها أقل رسمية، بحيث يسمح للمبحوث أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته وآرائه بحرية كاملة، ومن ثم فإن المقابلة تستغرق وقتاً أطول، ربما يحتاج الباحث إلى إجراء عدد معين من المقابلات مع نفس الحالة للحصول على كافة المعلومات التي يحتاجها.

٢- الملاحظة المتعمقة:

كثيراً ما يلجأ الباحث إلى الإقامة مع الجماعات التي يقوم بدراستها، وبخاصة في حالة دراسة المجتمعات المحلية، ويتمكن الباحث في هذه الحالة من التعمق في إدراك الظواهر والنظم والعلاقات المدروسة، من خلال دوره كملاحظ مشارك في الحياة الاجتماعية لهذه المجتمعات.

٣- دراسة الوثائق والسجلات المكتوبة :

يعتمد الباحث على السجلات الرسمية والشخصية في الحصول على معلومات تفيد في إلقاء الضوء على الحالة المدروسة وتفيد أيضاً في التحقق من صحة المعلومات التي تحصل عليها عن طريق المقابلة الشخصية.

٤- معايير تاريخ الحياة:

يستخدم تاريخ الحياة بالنسبة للحالات المدروسة بوصفه مصدراً أساسياً للمعلومات وقد وضع "جود دولارد" معايير يجب الالتزام بها عند استخدام تاريخ الحياة، فيجب النظر أولاً إلى الموضوع على أنه عنصر في إطار ثقافي أوسع، ويجب أن تكون عناصر السلوك المدروسة تاريخياً ذات دلالة اجتماعية[١٨].

٥- تسجيل معلومات دراسة الحالة :

التسجيل الدقيق للمعلومات يمثل جزءاً أساسياً في طريقة دراسة الحالة، ويجب على الباحث أن يسجل أولاً بأول المعلومات التي يحصل عليها وأن يدونها مباشرة.

٦- الوقت الذى تستغرقه دراسة الحالة :

تستغرق دراسة الحالة الشاملة وقتا أطول من أي دراسة أخرى، ويرجع ذلك إلى مستوى التعمق الذي يتحقق في دراسة الحالة، فحين تستخدم المقابلة قد لا نكتفي بمقابلة واحدة، وإنما نجري عدداً من المقابلات.

خلاصة الأمر

يمكن أن ننتهى أخيراً إلى أن المقابلة الشخصية Personal Interview هى أكثر الأساليب الشائعة المستخدمة في دراسة الحالة وهذا يعني الوصول إلى المعلومات بطريقة مباشرة من الشخص موضع

الدراسة. والمقابلة الشخصية في دراسة الحالة تكون أقرب إلى الحالة الطبيعية للشخص وعدم التقييد بالرسميات.

كذلك "الاستبيان" إلا أن استخدامه أو التخطيط المعد مسبقاً في دراسة الحالة لا يؤدي دائماً إلى أفضل النتائج. ذلك لأن هذا الإعداد المسبق يحول بين المتحدثين وحرية الحديث، بل قد يشجع على المراوغة والكذب[١٩].

رابعاً: خطوات طريقة دراسة الحالة.

١- تحديد الحالة أو المشكلة المراد دراستها.
٢- جمع البيانات الأولية الضرورية لفهم الحالة أو المشكلة وتكوين فكرة واضحة عنها.
٣- صياغة الفرضيات التي تعطي التفسيرات المنطقية والمحتملة لمشكلة البحث.
٤- جمع المعلومات وتحليلها وتفسيرها والوصول إلى نتائج[٢٠].

كما يمكن تحديد مراحل وخطوات طريقة دراسة الحالة فيما يلي:

١- تحديد الحالة أو الظاهرة أو الخاصية المطلوب دراستها.
٢- تقرير نقاط وجوانب الحالة وعندما يكون موضوع الحالة جديداً يجب أن يسبق دراسة الحالة بدراسة تشخيصية للتعرف على الظاهرة المدروسة.
٣- التعرف على المفاهيم والفروض العلمية الواجب أن تتضمن في إطار الحالة.
٤- اختيار العينة المصاحبة للحالة وفقاً لأساليب علمية محددة.
٥- تحديد وتطوير وسائل جمع البيانات من الملاحظة والمقابلة وتحليل الوثائق.
٦- جمع البيانات وتسجيلها.
٧- تحليل البيانات.
٨- الوصول للنتائج وعرضها.

وتعتمد كل هذه المراحل والخطوات على ضرورة التأكد من أن الحالة تتسم بالمعايير التالية:

- كفاية البيانات المجمعة وتعمقها من مختلف النواحي.
- صدق البيانات ورجوعها إلى المصادر الأصيلة الموثوق من صحتها.
- ضمان سرية تسجيل البيانات وعدم تسربها.
- ضمان صحة البيانات وارتباط التعميمات المستخلصة مع النتائج المتوصلة إليها[٢١].

كذلك فهناك خطوات أخرى لإجراء دراسة الحالة وهي:

أ- التسجيل:

وهو عملية يقصد بها تدوين المعلومات وإثبات البيانات بطريقة دقيقة منظمة تساعد الباحث على استخلاص الحقائق المتعلقة بالحالة وينبغي أن يتضمن السجل الدقيق ما يأتي:

- صفحة الوجه: وهي الصفحة الأولى في السجل وتسجل عليها البيانات الآتية:
  - إشارة إلى الوثيقة المتضمنة ومدى أهميتها لمراحل الدراسة المختلفة.
  - رقم الوثيقة.
  - اسم الباحث.
  - اسم الشخص الذي يدلي بالبيانات ونوع صلته بالموقف المبحوث.
  - تاريخ المقابلة.
  - الظروف التي أجريت فيها المقابلة.
  - إشارة إلى سرية البيانات المتضمنة.

- تحديد موضوع الدراسة والهدف من البحث.
- إشارة إلى الأدوات التي استخدمها الباحث في جمع البيانات كالمقابلة والملاحظة الشخصية والاستبيان والوثائق.
- الاحتفاظ بالوثائق الهامة التي تصف مواقف اجتماعية محددة، أو تصف شخصية الفرد أو الحوادث الهامة في حياته.
- إشارة إلى بعض ملاحظات الباحث المبدئية عن الوثائق، ونواحي الضعف فيها[٢٢].

ب- التصنيف والتحليل والتعميم:

لما كان البحث يتضمن عمليات ثلاثة هي جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها ثم تفسيرها لاستخلاص النتائج وتعميمها، فإنه من الضروري أن يوجه الباحث عنايته إلى جميع الخطوات بنفس الدقة. وينبغي على الباحث بعد تسجيله للبيانات أن يعمد إلى تصنيفها في مجموعات على أساس أوجه الشبه البارزة بينها. ويمكن تصنيف بيانات الحالات المدروسة وفقاً للخطوات التالية:

١- ينبغي النظر إلى الحقائق الجزئية المرفقة المدونة بالسجلات، ثم ضمها في مجموعات متشابهة، ويطلق على هذه المجموعة اسم "الحقائق الاجتماعية".

٢- ينبغي النظر إلى ما بين الحقائق الاجتماعية من تشابه، وما تتضمنه من انتظام وتتابع، وذلك لضم هذه الحقائق في مجموعات أكبر تعرف باسم "مجموعات الحقائق الجزئية".

٣- يستطيع الباحث أن ينظر إلى مجموعات الحقائق الاجتماعية نظرة مدققة ليتكشف العلاقات القائمة بين مجموعات الحقائق، وليتحدد نموذج الحالة ومدى اتفاقه مع غيره من النماذج وينبغي

أن تكون التعميمات متمشية مع النتائج وفي حدود الحالات التي دخلت في نطاق البحث وكذلك الحالات المشابهة لها[٢٣].

خامساً: مزايا وعيوب دراسة الحالة.

(١) مزايا دراسة الحالة.

لدراسة الحالة مميزات عديدة أهمها:

- إن طريقة دراسة الحالة أصبحت وسيلة فعالة فى البحوث العلمية بوجه عام. فحل المشكلات التي تعترض العلوم الفيزيائية والبيولوجية والتي تعترض العلوم السياسية أو فن العمارة وغيرها تعتمد أساساً على دراسة الحالة.

- أن أهميتها في البحوث الاجتماعية قد تزايدت في الوقت الحاضر بوجه خاص عندما ساعدت هذه الطريقة في التعمق وراء المشكلات القائمة، وعدم الاكتفاء بالمظهر الخارجى، ولهذا أمكن رسم السياسة التخطيطية للمشروعات الإنشائية على أساس الجوهر نفسه وليس مجرد التصورات الشكلية الخارجيه فقط.

- أن الخاصية الأساسية فى هذه الطريقة هى وحدة المحتوى الذى يعالجه البحث، سواء كانت الوحدة المبحوثة فرداً أو جماعة أو مجتمعاً، تستلزم عدم تعدد الباحثين الذين يقومون على ملء كشوف كلما كان ذلك ممكنا[٢٤].

- نجد أن قيمة هذه الطريقة في البحث تكمن في أنها تحاول أن تستكشف كافة المتغيرات، والمظاهر الداخلية والخارجية للحالة موضع الدراسة. كما أنها تسعى إلى الفهم المتعمق من خلال التحليل والوصف الدقيق الذي تعتمد عليه.

- أثبتت هذه الطريقة فائدتها في استطلاع قيم الأفراد، واتجاهاتهم، وتعريفاتهم للمواقف المحيطة بهم، وتعكس طبيعة البيانات

والإجراءات المستخدمة في هذه الطريقة هذا الاهتمام بالسلوك الفردي والإطار الاجتماعي الأوسع.

- إن دراسة الحالة تزودنا باستبصارات يصعب أن تتحقق عن طريق الاعتماد على الأسلوب الإحصائي وحده[٢٥].
- إنها طريقة للتحليل الكيفي للظواهر والحالات.
- إنها طريقة للحصول على معلومات شاملة عن الحالات المدروسة.
- إنها طريقة تهتم بالموقف الكلي وبمختلف العوامل المؤثرة فيه والعمليات التي يشهدها.
- أنها طريقة تتبعية أي أنها تعتمد اعتماداً كبيراً على عنصر الزمن، ومن ثم فهي تهتم بالدراسة التاريخية.
- أنها طريقة ديناميكية لا تقتصر على بحث الحالة الراهنة.
- أنها طريقة تسعى إلى تكامل المعرفة لأنها تعتمد على أكثر من أداة للحصول على المعلومات[٢٦].
- إن دراسة الحالة تتصف بالتعمق، لأن هذه الدراسة تنصب معظمها حول حالة واحدة، وتناول الحالة من جميع جوانبها وتتعمق فهم الخصائص والسمات المميزة لكل جانب من هذه الجوانب.
- إن دراسة الحالة تتصف بالمرونة أكثر مما تتسم بالجمود، لأن هذه الطريقة تمسح للباحث بأن يطور ويعدل خطة بحثه وحتى فروضه وتصوراته نتيجة لما يتوفر من زيادة التبصر والتعمق لموضوع البحث.
- إن دراسة الحالة قد تتصف بالقدرة على الوصول إلى تعميمات طالما كانت الحالة المقيدة حول موضوع التحليل قد تحصل من

السمات ما يجعلها ممثلة لعدد كبير من الحالات أو قد تفيد بالتنبؤ في نطاق الحالات المتماثلة[٢٧].

- تهدف دراسة الحالة إلى إلقاء الضوء على العمليات والعوامل التي تقوم عليها نماذج اجتماعية معينة، وذلك لتحديد خصائص موقف اجتماعي معين أو وحدة اجتماعية أو تنظيمية محددة.

- تستعمل طريقة دراسة الحالة للتعرف على أبعاد مشكلة معينة لحالة فردية وعلى ذلك فلا يجوز التعميم عن طريقها إلا أنها تهيئ الظروف لإجراء بحث أكثر شمولاً[٢٨].

- كذلك تكمن أهمية طريقة دراسة الحالة فى أنها تعتبر وسيلة هامة للوصول إلى فهم خاص لوحدة أو حالة مفردة مما يتيح التقبل الواعي لدراسة المجتمع الذي تتضمنه الحالة على نطاق واسع في المستقبل[٢٩].

- تمكن الباحثين من أن يكونوا ملتصقين وقريبين من الموضوعات التي يدرسونها فالمقابلة والملاحظة المباشرة يمكن أن تمدنا بمادة غنية لا يمكن الحصول عليها من الجداول الإحصائية على سبيل المثال أو من أي مصادر أخرى.

- تقدم مجموعة وفيرة من المعلومات المفيدة والأساسية للذي يخططون لإجراء بحث كبير على المستوى القومى[٣٠].

- يستطيع الباحث عندما يقوم بإجراء دراسة الحالة دراسة متعمقة مركزة الحصول على بيانات ومعلومات أكثر وفرة وأكثر عمقاً مما لو استخدم طرق وأدوات أخرى لجمع البيانات. كذلك فإن التعمق في دراسة حالة واحدة يسمح للباحث بمعرفة جوانب عديدة لموضوع البحث قد لا يلاحظها عندما يدرس السلوك الظاهر.

- أنها تساعد الباحث على اكتشاف معنى وقيمة المعلومات التي يحصل عليها من خلال سرد تاريخ حياة الحالة.

- تؤكد هذه الطريقة أن مجموعة أدوات البحث المستخدمة في جمع البيانات والمعلومات يكمل بعضها بعض في فك الشفرات والثغرات وتساعد على التعمق والتبصر في حياة صاحب الحالة.

- تمهد دراسة الحالة لإجراء أبحاث جديدة، ويرى بعض الدارسين أن هذه الطريقة تعد ضرورية قبل البدء في دراسة المجتمع، وإعداد استمارة الاستبيان في صورتها النهائية.

- الباحث أثناء دراسته يؤكد على عامل التغير خلال الزمان وعلى العمليات التي تؤدي إلى التغير.

- بالإضافة إلى ذلك قدرة الباحث على إدراك واقع الحياة من خلال الحالات التي يدرسها(٣١).

- أنها تكشف عن كيفية تطور أساليب السلوك والاتجاهات عبر فترة معينة من الزمن. معنى من الزمن. معنى هذا أن طريقة تاريخ الحالة تساعدنا في المحافظة على تكامل الوحدة التي ندرسها.

- كما أنها تتيح للباحث فرصة جمع بيانات مفصلة عن حالات قليلة، حيث أنها لا تركز على دراسة مجموعات أو عينات كبيرة العدد، ويفيد ذلك أعظم الفائدةعندما يكون الباحث بصدد دراسة موضوع أو ظاهرة لا يعرف عنها الشئ الكثير(٣٢).

(٢) عيوب دراسة الحالة :

إن النقد الذي يوجه إلى دراسة الحالة غالباً ما يوجه إليها من أصحاب الاتجاه الإحصائي، فتجد أن "ريدبين" يهاجم الاعتماد على هذه الطريقة فهو يذهب إلى أن هناك عدداً من العوامل تقلل من الأهمية العلمية لهذه الطريقة وتشمل هذه العوامل:

- التحيز الشخصي سواء من جانب المبحوثين أو الباحثين على السواء. فمن الواضح أن التحيز الشخصي يمثل خطراً شديداً على طريقة دراسة الحالة، وعلى الأخص إذا كان الأمر يستلزم مقابلات متكررة.

- من جهة أخرى، من أهم الصعوبات التي تواجه طريقة دراسة الحالة، تعذر استخدامها مع الجماعات المتخلفة ثقافياً، إذ أن النتائج التي يصل إليها الباحث لا تمثل فى الغالب السلوك الشخصي وإنما اتجاهات جماعية، كما أنها تمثل إجابات يسودها الشك وتنطوي على معلومات تطمسها التقاليد العنيفة[٣٣].

- ومن الملاحظ أن معظم البحوث التي وصفت بأنها دراسات حالة كانت تتجه نحو التركيز على السلوك الفردي في السياق الاجتماعي الشامل الذي يظهر فيه ومع أن هناك انتقاد عاماً يوجه إليها مؤداه: أنها غير علمية، طالما أنها لا تخلص إلى قضايا عامة. ومع ذلك فهناك اتفاق عام على أن كلاً من دراسة الحالة، والأسلوب الإحصائي يشغلان مكاناً متميزاً في بحوث العلوم الاجتماعية، بحيث يكمل كل منهما الآخر فالفحوص الشاملة التي تستخدم فيها دراسة الحالة، يمكن أن تقدم فروضاً وفئات تخضع للاختبار عن طريق الأساليب الإحصائية[٣٤].

- أن المبحوث يميل إلى ذكر ما يرغب فيه الباحث لا ما يستشعره بالفعل أو يمارسه عملياً.

- غالباً ما يتجه المبحوث إلى النزعة التبريرية أكثر ما يكون واقعياً.

- يميل الباحث إلى رؤية ما يرغب في رؤيته أو يبحث عنه.

- الباحث غالباً ما يريد معاونة المبحوث.

- نادراً ما يمكن مقارنة مواقف الحالات.

- على الباحث أن يستخلص بنفسه من لغة المبحوث المفاهيم والتصنيفات العلمية(٣٥).

- لا تعتبر هذه الطريقة علمية بصفة كلية، لأن عنصر الذاتية والحكم الشخصي موجود في اختيار الحالات وفي تجميع البيانات.

- عدم صحة البيانات المجمعة، فقد يعمد الشخص المبحوث إلى إرضاء الباحث بأن يقول له ما يعتقد أنه يرضيه.. فضلاً عن أن المبحوث قد يذكر الحقائق، لا كما حدثت بل من وجهة نظره، لتبرير نظرته أو سلوكه.

- صعوبة تعميم النتائج.. وذلك لاختلاف الحالة المفحوصة عادة عن غيرها من الحالات.

- ينفق الباحث في دراسة الحالة كثيراً من الوقت والجهد والمال وقد لا يبرر النتائج التي يصل إليها(٣٦).

- إن دراسة الحالة تعاني من بعض القصور خاصة إذا كانت عينة الحالات التي نحاول دراستها ليست ممثلة تمثيلاً جيداً للمجتمع الذى نريد دراسته.

- انتقدت هذه الطريقة لعجزها عن تقديم نتائج واضحة منظمة ذات طابع عام. وعادة يقل اللجوء إلى هذه الطريقة في أبحاث ودراسات علم الاجتماع لما يلي:

١- التمييز الزائف بين الدراسات الإحصائية والدراسات غير الإحصائية والنظر إلى دراسة الحالة بوصفها طريقة تستخدم أدوات عديدة لجمع البيانات لا يعتمد عليها اعتماداً كبيراً في الحصول على بيانات موثوق فيها.

٢- الاعتقاد بأن طريقة دراسة الحالة تعتمد على الحدس الذي ينبثق من الملاحظة بالمشاركة ومعايشة الوثائق.

٣- الإخفاق في التفرقة بين طريقة دراسة الحالة كطريقة لرؤية الحقيقة الاجتماعية وأدوات البحث الخاصة التي تستعين بها طريقة دراسة الحالة لجمع المعلومات.

٤- عدم إتباع الأساليب الخاصة لتصميم العينة عند اختيار الحالات التي يدرسها الباحث.

٥- يتعاطف الباحث بعد طول معاشرته للحالة التي يدرسها، ويكوّن معها رابطة وجدانية مما يكوّن عند الباحث شعوراً زائفاً بأن نتائجه صادقة[٣٧].

المراجع المستخدمة

(١) محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧١، ص ٢٨٠.

(٢) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩، ص ٤٦.

(٣) محمد علي محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢، ص ٣٩٢.

(٤) علي عبد الرازق جلبى وآخرون، مناهج البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٢، ص ١٥٦.

(٥) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص ١٧٧.

(٦) محمد محمد الهادي، أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥، ص ١١٨.

(٧) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥، ص٣٠٥.

(٨) عبد الهادي الجوهري، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٨، ص ٩٦.

(٩) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري، المجلد الثاني، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٧١٩.

(١٠) محمد ياسر الخواجة، البحث الاجتماعي: أسس منهجية وتطبيقات علمية، طنطا، دار المصطفى للطباعة، ٢٠٠١، ص ١٩٧.

(١١) أحمد النكلاوي، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢، ص٢٢٥.

(١٢) محمد سعيد فرح، لماذا؟ وكيف؟ تكتب بحثاً اجتماعياً، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٢، ص ٢٧٣.

(١٣) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٥٠.

(١٤) على جلبى، آخرون، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(١٥) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٧٩.

(١٦) على جلبى، آخرون، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(١٧) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٢٧٥.

(١٨) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٣٩٤.

(١٩) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

(20) http://www.kantkat JI.com/Files/Research/985.doc

(٢١) محمد محمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص ص ١١٩، ١٢٠.

(٢٢) نهلة إبراهيم، طرق وأدوات البحث الاجتماعي، الإسكندرية، مطبقة البحيرة، ٢٠٠٧، ص ٥١.

(٢٣) المرجع السابق، ص ٥٢.

(٢٤) محمد طلعت عيسى، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٢٥) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢٦) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

(٢٧) على جلبى، مرجع سابق، ص ١٦١.

(٢٨) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٢٩) محمد محمد عبد الهادي، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٣٠) أحمد النكلاوي، ، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(٣١) محمد سعيد فرح، ، مرجع سابق، ص ٢٨٨.

(٣٢) محمد الجوهري، ، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٣٣) محمد طلعت عيسى، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٣٤) محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٣٥) محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

(٣٦) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٣١٥.

(٣٧) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

الفصل السادس

تحليل المضمون

تمهيد.

أولاً : الجذور التاريخية لتحليل المضمون.

ثانياً : تعـــريف تحليل المضمـــون.

ثالثاً : استخـــدامات تحليـــل المضمون.

رابعاً : خطـــوات تحليـــل المضمون.

خامساً : وحـــدات تحليـــل المضمون.

سادساً : فئـــات تحليـــل المضمون.

سابعاً : مزايـــا وعيوب تحليل المضمون.

تمهيد.

يحتل تحليل المضمون مكانة مهمة بين طرق وأدوات ووسائل جمع البيانات الأخرى، حيث يرتبط بطرق ووسائل الاتصال المختلفة التي يتم من خلالها انتقال الأفكار، والمعاني والقيم من وإلى الأفراد والجماعات والمجتمعات، وبخاصة ما يتعلق منها بالكلمة، الصورة أو كليهما سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مشاهدة.

حيث أن اللغة هي وعاء الفكر باتجاهاته وانعكاساته المختلفة، ودليل يكشف حياة الإنسان الداخلية، ومن ثم فإن الرؤية السليمة لطريقة تحليل المضمون تشير إلى أنها مشكلة مركزية في دراسة الإنسان، والعمل على حل هذه المشكلة يمكن أن يغير مناهج البحث في العلوم السلوكية والاجتماعية بطريقة جذرية لما له من قدرة على تحليل سلوكيات الفرد دون التدخل فيه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مما لا يؤثر كثيراً في نتائج البحث.

أولاً : الجذور التاريخية لتحليل المضمون.

يعتبر الباحثين الأمريكيين أول من استخدموا طريقة تحليل المضمون، ويعتبر " تشارلز ميلز Tcharles Mells " و" لترليمان Walterman ١٩٢٠" من أوائل الباحثين في مجال تحليل المضمون "Content analysis". حيث قاموا بعمل تقييم لصحيفة نيويورك تايمز عن طريق مقارنة الكتابات بالحقائق الموضوعية، ثم تركزت دراسات تحليل المضمون بعد ذلك في دراسات جامعة كلومبيا، خاصة في دراسة مالكوم ويلي: "Maelom" بعنوان صحافة البلد التي ظهرت في عام ١٩٢٦ مستخدمة في ذلك فئات مباشرة للتحليل (الشئون المدنية، السياسة، العمل، الجريمة، الطلاق، والرياضة... إلخ)[1].

وفي عام ١٩٢٧ قام "هارولد لازويل Harold Lazwel" بإجراء دراسة عن الدعاية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) أبرز من خلالها نغمة التمجيد التي قامت بها الدعاية الإنجليزية لمبادئ ويلسون، كما قام لازويل بإجراء دراسة لشعارات أول مايو في الاتحاد السوفيتي ما بين عامي ١٩١٨، ١٩٤٣، وأوضح كيفية تطور هذه الشعارات أثناء حكم ستالين، ومواكبتها مع الشعارات ومسار الشيوعية الدولية(٢).

وفي عام ١٩٣٠ نشرت دراسة لتحليل مضمون الصحف الأمريكية حول الأنباء الخارجية، ثم زاد الاهتمام بتحليل المضمون بصورة كبيرة أثناء اندلاع الحرب العالمية الثانية، وازدياد الاهتمام بعملية الدعاية والإعلان وانتشار الراديو(٣).

حيث تعتبر الحرب العالمية الثانية البداية الحقيقية لتحليل المضمون، تم ذلك نتيجة لزيادة الاهتمام باستخدامها، حيث حاولت وحدات مخابرات الحلفاء التعرف على عدد وأشكال الأغاني الشعبية المذاعة في المحطات الأوروبية، ومقارنة الموسيقى المذاعة في المحطات الألمانية بتلك المذاعة في دول أوروبا المختلفة، واستطاعوا قياس التغيرات في درجة تركيز القوات في أوروبا، كما استخدم نفس الأسلوب في المسرح الباسفيكى لدراسة درجة زيادة حجم الاتصال والرسائل، والذي يعني عادة أن هناك بعض العمليات العسكرية المخطط لها بالنسبة لهذه القواعد(٤).

وفي عام ١٩٤٩ أصدر "هار ولد لاسويل" مؤلفه لغة السياسة Political language، حيث تناول الطرق الكمية في تحليل الضمون دون أن يغفل الطرق الكيفية، كما قام برلسون ١٩٥٢ "Berlson" بوضع مؤلفه "تحليل المضمون في أبحاث الاتصال Content analysis in communication حيث جمع الطرق الكمية في تحليل المضمون، وركز على قضية الصدق والثبات في تحليل مضمون، والذي يعتبر من أهم المؤلفات التي تعبر عن استخدام تحليل الممضون في المدرسة الأمريكية(٥).

ثانياً: تعريف تحليل المضمون.

اقترن تطبيق تحليل المضمون "content analysis" التجزئ أو التقسيم للرموز اللفظية لمحتوى الاتصال، وعدد هذه الأجزاء أو الأقسام، وتوضيح المساحات التي يحتلها الموضوع وموقعه. وهذه الخطوات أعطت الصفة الكمية quantitative في مراجعة التحليل الكيفي qualitative الذي يقوم على تسجيل وقراءة الانطباعات الذاتية عن المحتوى المنشور(٦).

ومن خلال ذلك ظهرت التعريفات التي تناولت مفهوم تحليل المضمون وتنوعت، فاتفقت في أشياء واختلفت في أخرى، كما أن التعريفات التي تعرضت لتحليل المضمون توضح التطورات التي طرأت على تحليل المضمون واستخداماته وأهميته.

ويمكن أن نميز بين اتجاهين رئيسيين لتعريف تحليل المضمون:

أ- اتجاه وصفي.

ب- اتجاه استدلالي.

أ- **الاتجاه الوصفي** Description attitude.

يهتم هذا الاتجاه بوصف المحتوى فقط دون تجاوز ذلك المعنى الظاهر إلى المقاصد الكامنة للكاتب أو مؤلف المحتوى. ومن أهم التعريفات في هذا الاتجاه:

- وضع برلسون "Berleson" تعريفاً لتحليل المضمون وأوضح أنه "أسلوب البحث الذي يهدف إلى الوصف الموضوعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال(٧). ويعد هذا التعريف من أوائل التعريفات التي وضعت لتحليل المضمون.
- وهناك تعريف آخر لتحليل المضمون يرى أن " تحليل المضمون ما هو إلا تحليلاً كمياً، والتحليل الكمى للمحتوى قيمة عامة تشترك

فيها كل الدراسات التي تستخدم أسلوب تحليل المضمون، حيث يُسر هذا الأسلوب: الملاحظة الموضوعية الدقيقة والتى يمكن الوثوق لدى تكرار صفات معينة للمحتوى، سواء كانت فردية مستقلة بذاتها أم جماعية مشتركة مع غيرها، إذ يوفر لنا في الدراسات العلمية البديل للانطباعات الذاتية، والحساب غير الدقيق لمدى تكرار الظواهر[٨].

- كما يضع كلاً من "ناتاليا بريموفا وتوفيق سلوم" تعريف لتحليل المضمون فيعرفانه بأنه "طريقة في الدراسة الكمية لمحتوى مواد الاتصال الجماهيرى "صحف" مجلات، أفلام، كتب، راديو، تليفزيون، نشرات إخبارية واستمارات مقابلة، وتهتم بالكشف عن الخصائص المميزة للنص، عبر الوصف الكمي لوحدات معينة من المضمون، عددها وترددها في مختلف أجزاء محتوى الاتصال[٩].
- وتعرف فى معجم علم الاجتماع المعاصر، بأنها: "طريقة للتحليل وتوضيح مضمون الاتصال بين الأفراد، ويتضمن تصنيف المحتوى بطريقة معينة من أجل استخراج البنية الأساسية للاتصال، وتستخدم لتحليل الوثائق والمواد المرئية أكثر من المعلومات التي تم جمعها من قبل المقابلة، كذلك يمكن استخدامه لتحليل البحوث المسحية، ويقوم هذا التحليل على تحديد دقيق للفقرات، من أجل تقليل حالات التمييز الناشئة عن اختلاف الباحثين، ويمكن استخدام الحاسب الآلي في إيجاد النتائج[١٠].
- ويعرفها "إيدجار بورجاد Edar F. Borgatee" بأنها: مجموعة من الإجراءات المنهجية لعمل استنتاجات صحيحة، وموثوق فيها من خلال تحليل صور، خطابات، نصوص... إلخ[١١].

ومن خلال استعراضنا لبعض تعريفات تحليل المضمون ذات الاتجاه الوصفي يمكن أن نستخلص المعالم المميزة للاتجاه الوصفي:

١- التركيز على الأهداف الوصفية فقط، ماذا قيل. كيف قيل؟
٢- يرتبط الوصف بالمحتوى الظاهر فقط Manifest وليس ما يقال بين السطور أو المعاني الكامنة في هذا المحتوى.
٣- يتحفظ على استخدام نتائج التحليل في تفسير المعاني الكامنة(١٢).

ب- الاتجاه الاستدلالي.

وينتقل هذا الاتجاه بتحليل المضمون من الاهتمام بالظاهر ومن المحتوى، إلى الكشف عن خبايا أو المعاني الكامنة، وقراءة ما بين السطور، ومعرفة دوافع الكاتب في عملية الاتصال. ومن أهم التعريفات التي تندرج تحت هذا الاتجاه، ما يلي:

فيعرف على أنه طريقة بحث تهدف إلى تحليل المحتوى الذي من خلاله توضح الدوافع والأهداف التي يرمي إليها الكاتب أو المتحدث، من محتويات كتاباته أو أحاديثه، ومعرفة مدى تأثير محتوى مادة الاتصال على أفكار الناس واتجاهاتهم(١٣).

وهناك تعريف آخر لتحليل المضمون يتلخص فى أنه شكل خاص ومبسط لعلم دلالات الألفاظ الكمي، والنتائج التي تتوصل إليها هذه الطريقة تتميز بأنها أكثر سطحية، إلا أنها تعتبر أكثر سرعة وسهولة في الاستخدام، كما أنها تتناول الأفكار المتضمنة في النص أكثر من تناولها لأسلوب هذا النص(١٤).

أما "ديفيد أشميز David N Achmais" فيعرف تحليل المضمون بأنه: طريقة بحث تساعد على عمل استنتاجات واستدلالات منطقية، وموضوعية، عن طريق تحديد مميزات وخصائص الرسالة(١٥).

ويعرف فى موسوعة علم الاجتماع بأنه طريقة منهجية تختزل النص إلى ملخص صغير، عن طريق عدّ الكلمات وإزالة غموض المعنى، والتمييز بين المعاني المختلفة للكلمة، كما يسعى تحليل

المضمون إلى تحديد مفاهيم الدلالة العامة: مثل "الإنجاز، الدين، وتحديد الموضوعات الأساسية "مثل الدين كقوة محافظة"، وتستخدم لذلك أنظمة تنميط محددة مثل "دليل هارفارد البحثي العام" كما يمكن استخدام الحاسب الآلي في استخراج النتائج(١٦).

ومن أهم التعريفات التي تبنت الاتجاه الاستدلالي في تعريف تحليل المضمون، كالتالى مجموعة من الخطوات المنهجية التي تسعى إلى اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني من خلال البحث الموضوعي، والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى(١٧).

ويعرف تحليل المضمون على أنه الأسلوب الذي يهدف إلى الوصف الموضعي المنظم الكمي للمحتوى الظاهر للاتصال، ويهدف تحليل المضمون إلى بيان الدوافع والأهداف التي يرمي إليها الكاتب أو المتحدث عن محتويات كتاباته أو أحاديثه، ومعرفة مدى تأثير محتوى مادة الاتصال بأفكار الناس، والتأثير في اتجاهاتهم وميولهم نحو الأحداث(١٨).

ويعرف تحليل المضمون فى الموسوعة الإعلامية على أنه: وسيلة بحث يستخدمها الباحث لوصف المحتوى الظاهر للرسالة الإعلامية، وصفاً كمياً، موضوعياً ومنهجياً، وتشمل كل المعاني التي تنتقل عبر الرموز (لفظية، مصورة، حركية ... إلخ) التي تكون مادة الاتصال نفسها، وهو أداة لوصف المحتوى الظاهر للرسالة وصفاً موضوعياً ومنظماً وكمياً. وتعتبر الصفة الكمية ضرورة للباحث في تحليل المضمون وتعريفه بتطبيقاته المعاصرة. كما يعتبر تحليل المضمون ضرورة الباحث للتعرف على اتجاهات البحث، معرفة أطر التحليل والاستدلال التي يتم صياغتها من خلال الرموز اللفظية في محتوى مضمون الاتصال(١٩).

ومن خلال استعراضنا لأهم التعريفات التي تناولت مفهوم تحليل المضمون من الناحية الاستدلالية، يمكن أن نعرض لأهم مميزات هذا الاتجاه، ونوضحها فيما يلي:

١- أنه لا يكتفي بمجرد الوصف الظاهري لمحتوى الاتصال لكنه يسعى إلى معرفة مقاصد مؤلفة أو صاحب الرسالة والدوافع الكامنة له.

٢- يعتمد على الطريقة الكمية لمعرفة هذه الاتجاهات والدوافع.

٣- اعتماد تحليل المضمون على التنظيم.

ثالثا: استخدامات تحليل المضمون.

تعتبر طريقة تحليل المضمون من أهم الطرق التي تساعد الباحث على إكمال بياناته، كما تساعده أيضاً على تحليل المواد البحثية التي تقع بين يديه، سواء كانت صحف، مجلات، راديو وتلفزيون، ومن ثم فإن لتحليل المضمون استخدامات عديدة يمكن حصرها في مستويين:

أ- وصف المحتوى الظاهر.

ب- استدلال المعاني، الكلمات والعلاقات.

أ- التحليل الوصفي للمحتوى.

يستخدم تحليل المضمون في هذا الإطار لوصف محتوى عملية الاتصال، دون تجاوز ذلك إلى متغيرات أخرى خارج حدوده. ومن أهم النقاط التي تأتي في هذا الاتجاه[٢٠]:

١- الكشف عن مراكز الاهتمام في المحتوى، سواء من ناحية الموضوعات، المصادر، الشخصيات، الأقاليم... إلخ، من خلال التحليل والمقارنة والتسجيل لمدى تكرار ألفاظ محددة في المحتوى.

٢- الكشف عن مصادر المعلومات وتدفقها.

٣- دراسة فنون الإقناع في المحتوى، وتحديد اتجاهات الأفراد، وتأكيد المعاني والقيم المختلفة.

٤- الدراسات اللغوية المختلفة التي تعتبر الصحف الوثائق الأولية بالنسبة لها، مثل دراسة الأسلوب ودلالة المعاني.

٥- يمكن أن تشكل قاعدة معرفية للاستدلال، مثل التعرف على السياسات التحريرية للصحف والقائمين عليها أو اتجاهاتهم وتقويم الأداء.

ب- التحليل الاستدلالى.

يتجاوز هذا الاستخدام حدود الوصف إلى الاستدلال الأخرى، ذات العلاقة بانتقاء المحتوى وبنائه باعتبارها ذات تأثير في اختيار الرموز والمعاني لتحقيق أهداف معينة، وهذا يفرض على الباحث الاعتماد على التسجيل الناقد، والملاحظة الواعية، وعدم الاعتماد فقط على الرصد والملاحظة المجردة. وفي هذا الإطار يمكن رصد العديد من الاستخدامات فى[٢١]:

١- علاقة الظاهرة بالمجتمع، والظواهر الاجتماعية الأخرى، مثل الكشف عن السياسات والأهداف العامة المستترة، ودراسة محتوى الإعلام باعتباره أحد مداخل تحليل النظم سواء كانت سياسية، اقتصادية واجتماعية، والتي يعكس المحتوى الإعلامي معالمها، وتحليل الأدوار التي تقوم بها القوى السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية في حركة الظواهر الاجتماعية، وتحليل الأدوار التاريخية للمجتمعات، والنظم أو القوى من خلال الأقوال، والأحداث التي تناولتها الصحف، والوثائق في حالة غياب المصادر التاريخية الأولية.

٢- الكشف عن خصائص القائم بالاتصال باعتبار أن المحتوى يعكس اتجاهات، أفكار معتقدات ومهارات الكاتب والمصادر التي يعتمد عليها القائم بالاتصال في الاستشهاد بها.

٣- يمكن الاعتماد على المحتوى الموجه في عملية الاتصال في معرفة خصائص المتلقين، خصائص المجتمع والأنماط الثقافية السائدة في المجتمع ككل أو بين فئات جمهور المتلقين.

٤- توضيح مدى قوة وسائل الإعلام وتأثيرها على المجتمع، ومعرفة مدى النفوذ الذي تمارسه القوى السياسية والاجتماعية لتوجيه محتوى الاتصال لتحقيق مصالحها.

رابعاً : خطوات تحليل المضمون.

تتضمن طريقة تحليل المضمون مجموعة من الخطوات المنهجية. نشير إليها في النقاط الآتية:

١- تحديد المشكلة :

ويتم ذلك من خلال تسليط الضوء على المشكلة ودرجة إحساس الباحث بها، وطرح سؤال مركزي تدور حوله المشكلة، وهذا السؤال يمكن الباحث من تحديد وحدات التحليل (فرد، جماعة، مؤسسة، دولة، طبقة، نموذج .... إلخ)[٢٢].

كما يمكن أن يطرح الباحث سؤال بحثه اعتماداً على نظرية موجودة أو مشكلة "اجتماعية، سياسية واقتصادية كما أن الدقة في تحديد السؤال تؤدي إلى دقة في تحديد الفئات، ومن ثم تؤدي إلى بيانات ذات دقة وقيمة أكبر[٢٣].

٢- الإطلاع على الدراسات السابقة فى مجال الظاهرة المبحوثة :

إن الإطلاع على الدراسات السابقة تمكن الباحث من الاستعانة بالخبرات السابقة، وتكون لديه ثقافة تراكمية، وخبرة

موسوعية تمكنه من الإحاطة بكل ما تم بحثه في مجال التخصص والتخصصات المتصلة، ومعرفة الطرق والأساليب التي اعتمد عليها الباحثون السابقون في معالجة المشكلات. كما أنها تساعده على الحدس والتخمين، والتحليل والاستنتاج، وتمكن الباحث من ابتكار وسائل جديدة لمعالجة المشكلة، كما أن تنوع الخبرات يساعد الباحث على تنوع المعلومات وتزيد من قدرته على وضع فروض أكثر واقعية ومصداقية.

٣- تحديد مجتمع البحث:

إن أهم ما يميز تحليل المضمون، أن مجتمع البحث يكون فيه مضامين مقروءة أو مسموعة أو مرئية، من صحف، مجلات، كتب ووثائق وأيضاً خطب وبرامج إذاعية وهذا يتطلب من الباحث وضع تعريف إجرائي مناسب يتلائم مع مجتمع البحث لكي يتسم البحث بالدقة والشمول.

٤- تحديد نظام العينات:

إن طرق اختيار عينة البحث في تحليل المضمون لا تختلف عن الطرق المستخدمة في المناهج الأخرى، حيث استعار الباحثون المستخدمون لهذه الطريقة، الطرق والأساليب المستخدمة في المنهج الوصفي. مثل العينة العشوائية والعينة العشوائية المنتظمة والعينة العشوائية العنقودية[٢٤].

وتبدأ المرحلة الأولى عادة بأخذ عينة لمصادر المحتوى المتعلق بالقضية محل البحث، وتأخذ هذه العينة حسب الطريقة التي يراها الباحث مناسبة، إما بالمصادر العشوائية أو أسلوب المعاينة الطبقية. أما المرحلة الثانية تبدأ باختيار الفترة الزمنية التي سوف تختار فيها القضايا، وتحدد حسب الهدف من المشروع البحثي، ويراعى في تحديد الفترة الزمنية

أن تكون هذه الفترة الزمنية ملائمة، ومناسبة لإجراء البحث، وأن تكون وافية تمكن الباحث من الإلمام بالمواد التي يريد بحثها[٢٥].

٥- اختيار وتحديد وحدات التحليل:

يوجب تحليل المضمون على الباحث أن يقسم المادة المدروسة إلى عناصر، تختلف طبقاً لنوع المادة وأهداف الدراسة، هذه العناصر تتحول إلى وحدات تحليل يمكن أن تكون جملاً، فقرات أو فصول، كما يمكن إجراء تحليلات مختلفة لنفس المادة باستخدام وحدات تحليل مختلفة[٢٦].

ووحدات التحليل هي الشيئ الذي يتم عده فعلاً، وهي أصغر عناصر تحليل المضمون، لكنها تعد من أهم هذه العناصر. ووحدة التحليل هذه قد تكون: كلمة، رمز، اتجاه عام، مقالة أو قصة كاملة وقد تكون برنامج إذاعي أو فيلم سنمائي. كما أن التعاريف الإجرائية لوحدات التحليل لابد أن تكون واضحة ودقيقة، ولا يتم وضع معاييرها إلا بعد محاولة تجنب الوقوع فى الخطأ[٢٧].

ويمكن تحديد وحدات التحليل المستخدمة فيما يلى[٢٨]:

- وحدة اللغة: كملة، جملة، فقرة
- وحدة الفكرة
- وحدة مفردات النشر الإذاعية
- وحدة الشخصية
- وحدة التسجيل
- وحدة السياق

٦- تحديد الفئات المناسبة:

ويعتبر نظام الفئات هو النظام المستخدم لتصنيف المواد الدراسية، ويتم ذلك من خلال تحديد فئات الاتصال ومحتواه ومعاييره والقيم المتضمنة فيه وكيفية تحقيقه لأهدافه، كما يجب أن تحدد مختلف

سمات الأفراد، الجماعات، والمجتمعات الداخلة فيه، علاوة على تحديد سمات الشخصيات الفاعلة في محتوى الاتصال، مع توضيح المصدر الذي تنتمى إليه مادة الاتصال، والمكان الذي تصدر منه والهدف الذي تسعى إليه مواد الاتصال(٢٩).

٧- تصميم استمارة التفريغ والتحليل:

يتم استخدام استمارة التحليل خلال عملية الملاحظة ورصد البيانات التي يتم عليها العد والقياس(٣٠).

وتصمم الاستمارة وفقاً لمتطلبات البحث الذي يقوم به، والهدف منه هو تحويل التكرارات في المحتوى المبحوث إلى مدلولات رقمية يمكن قياسها وحسابها من خلال عملية التكميم(٣١).

٨- تحديد أسلوب العد والقياس:

يعتمد تحديد أسلوب العد والقياس بشكل كبير على التصنيف الذي يضعه الباحث لكل فئات التحليل ووحدات التحليل، حيث أن التعامل مع الوحدات الكبرى مثل "الموضوع"، يختلف عن التعامل مع الوحدات الصغرى "الجمل، الكلمات"، وقد لا يعبر تكرار الكلمات أو الجمل عن القيمة. "مثال ذلك" لا يمكن أن نقارن الموضوعات الفئوية على أساس تكرار النشر دون أن نضع في الاعتبار مساحة وموقع النشر، وهي تعكس القيمة للموضوع، وهذه المرحلة تثير عند الباحث محاولة اكتشاف العلاقة بين المتغيرات الخارجية المصاحبة للموضوع عند النشر مثل "المساحة، الموقع من الصفحة ومساحة العنوان(٣٢).

٩- جمع البيانات الكمية:

وتتم هذه الخطوة على مرحلتين:

الأولى: تستخدم فيها استمارة جمع البيانات الخاصة بكل وثيقة.

الثانيـة: وضـع وتصـنيف الاسـتمارات إلى مجموعـات طبقـاً لمعيـار التصنيف الذي يراه الباحث، ثـم تفـرغ هـذه المجموعـات في الجداول التفريغية الخاصة بكل تصنيف علـى حـدة، لتسـاعد وتسهل عملية استخراج البيانات وعرض النتائج[٣٣].

١٠- استخراج النتائج ومعالجتها إحصائياً:

بعد أن تظهر النتائج النهائية بشكل مؤشـرات رقميـة تتسـم بالدقة العلمية، يقوم الباحث بعرضها حسب المحاور الجدولية، ومن ثم يتناولها بالتفسير، التحليل والمقارنة والتعليق، بما يجيب عـن تسـاؤلاته أو بما يفيد بصحة افتراضاته أو عدم صحتها بصورة كلية أو جزئية[٣٤].

١١- إجراءات الثبات والصدق:

تعتبر إجراءات واختبـارات الثبـات والصـدق – في التحليـل الاستدلالي – من الخطـوات الأساسـية في عمليـة التحليـل، كمـا أن الإجراءات الكمية لا تتضـمن درجـة الموضـوعية المطلوبـة في عمليـة تحليـل المضـمون، لأن أيـة أداة بحثيـة لا تحمـل في حـد ذاتهـا الصـدق والثبات.

ومـن أجـل تحقيـق عنصـري الصـدق والثبـات، وضـع مركـز الدراسات الاجتماعية بجامعة متشجان نظام للترميـز يضـمن اسـتبعاد الذاتية ويسمى بـ "Robin"، ويقوم هذا النظام على أسـاس تكليـف فريق من المرمزين بإعادة دراسة نتائج تحليل المضـمون علـى أن يكـون كلاً على حدة، كمـا يراعـي في اختيـار العينـات – الـتي تسـتخدم في مراقبة المرمزين – الاختيار العشوائي حتى يتم استبعاد عنصر الذاتية، وبذلك يمكن قياس عنصري الصدق والثبات في تحليل المضمون[٣٥].

١٢- عرض النتائج وتحليلها:

بعد أن تظهر النتائج النهائية بشكل مؤشـرات رقميـة تتسـم بالدقة العلمية، يقوم الباحث بعرضها حسب المحاور الجدولية، ومن ثم

يتناولها بالتفسير والتحليل والمقارنة والتعليق بما يجيب عن تساؤلاته أو بما يفيد بصحة افتراضاته أو عدم صحتها بصورة كلية أو جزئية. وتعد هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة التي يجيب فيها الباحث على كل تساؤلات الدراسة التي دار حولها البحث(٣٦).

خامساً: وحدات تحليل المضمون.

تختلف مادة التحليل المراد تحليلها حسب نوع المشكلة المراد دراستها، فقد يختار الباحث مجموعة من الصحف، كتب، خطابات... إلخ، من مواد يمكن تحليلها، ويتم هذا التحليل وفق خطة مرسومة لا تختلف كثيراً عن البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والمحتوى في إطار عملية التحليل هو عبارة عن :مجموعة من الألفاظ اللغوية والتي يختارها المرسل بعناية بالغة للتعبير عن الأفكار والمعاني التي يهدف توصيلها إلى الجمهور لتحقيق أهداف معينة، كما أن وحدات التحليل يمكن تعريفها بأنها وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها، غيابها، وتكرارها أو إبرازها، دلالات تفيد الباحث في تفسير النتائج الكمية(٣٧).

وبداية يجب التفرقة في تحديد وحدات التحليل بين مستويين من هذه الوحدات..

*** وحدة التسجيل:**

وهي أصغر وحدة في المحتوى يختارها الباحث لأغراض التحليل، ويخضعها للعد والقياس، ويعبر ظهورها أو غيابها عن دلالة معينة في رسم نتائج التحليل، مثل الكلمة، المفردة والجملة والفقرة.

كما تصبح هذه الوحدات مؤشرات أو وحدات مميزة للوحدة الأكبر في تحليل لاحق، للتعبير عن الاتجاهات مثلاً أو تصنيف الجانب الذي تأخذه الرسالة من بعض القضايا(٣٨).

*** وحدات السياق:**

وهي وحدات لغوية داخل المحتوى، تفيد وحدات السياق في تحديد معاني وحدات التسجيل التي يتم عدها أو قياسها بدقة، كما تعد الوحدات الكبرى التي يتكون بناؤها من وحدات التسجيل، وتعتبر الجملة في وحدة السياق التي يجب قراءتها بعناية لتحديد مدلول الكلمة فى بناؤها الصحيح، كما تعتبر الفقرة هي وحدة السياق للجملة، وكذلك الموضوع بالنسبة للفقرة(٣٩).

ومن ثم تهدف وحدة السياق إلى وضع الكلمة أو الجملة في مكانها الصحيح حتى يتثنى للباحث إدراك المعنى الذي يهدف المرسل إلى إصاله لجمهور المتلقين، وهذا الفهم الصحيح يؤدي إلى دقة في النتائج التي يتوصل إليها الباحث، ولا تخرجه من مضمون الرسالة.

وهناك خمسة وحدات أساسية للتحليل:

- وحدة الكلمة
- وحدة الموضوع
- وحدة الشخصية
- وحدة المفردة
- وحدة مقاييس الزمن والمساحة

أ- وحدة الكلمة Word:

وهي أصغر الوحدات التحليلية المستخدمة في تحليل المضمون، وتستخدم الكلمة – كوحدة التحليل – للكشف عن بعض المفهومات الراسخة خاصة في السياسة والأبديولوجيا، أو في الدراسات الأدبية – لتحديد الألفاظ والكلمات الرئيسية المستخدمة من قبل طائفة من الأدباء والشعراء أو الكتاب، كما تستخدم – الكلمة – كوحدة للتحليل للتعرف على مدى الصعوبة أو اليسر المتضمنة في مواد الاتصال، ومدى قابليتها للفهم والقراءة.

وقد تم اعتماد الكلمة معياراً للتحليل في تحليل المضمون، باعتبار أن الكلمة تمثل رمزاً دلالياً يدخل في المنظومة اللغوية لتأدية العديد من الوظائف لإفادة المعنى في العديد من الشئون الحياتية.

ب- الموضوع Theme:

يعتبر الموضوع أهم وحدات التحليل في تحليل المضمون عند دراسة الآثار الناجمة عن الاتصال وتكوين الاتجاهات[٤٠]. فقد يكون الموضوع جملة بسيطة أو فكرة تدور حول قضية محددة، سياسية كانت أو اجتماعية أو غيرها، أو كانت من موضوعات الاتصال الفردي أو الجمعي.

ويكشف الموضوع عن الآراء والاتجاهات الرئيسية في مادة الاتصال، وتختلف طبيعة الموضوع حسب نوع المادة من ناحية ويعتبر من أصعب وحدات التحليل من ناحية أخرى خاصة إذا نظرنا لمسألة الثبات، وكذلك المجهود الذي يقوم به الباحث لقراءة كافة المقالات، صحف، مجلات أو وثائق... إلخ، لمعرفة الأفكار الرئيسية التي تدور حولها كل مقالة أوموضوع[٤١].

ج- وحدة الشخصية Character:

يقصد بها تحديد نوعية وسمات الشخصية الرئيسية التي ترد في العمل الأدبي بصفة خاصة. وتستخدم الشخصية في تحليل القصص والدراما والأفلام، الكتابات التاريخية التي تناولت بعض الشخصيات أو الأفراد أو الحركات والأحزاب والمناطق أو الدول[٤٢].

وقد تكون الشخصية خيالية أو تاريخية، كما أن الشخصية تقابل نفس الصعوبة التي يواجهها الموضوع كوحدة للتحليل، وهي أنه لابد من قراءة المادة الأدبية كاملة قبل إبداء الرأي فيها أو اتخاذ أي قرار يتعلق بالتحليل. ويرى البعض أن هناك تشابه بين وحدة الكلمة، ووحدة الشخصية، إلا أن هناك فارق كبير بينهما حيث أن الكلمة تهتم بالأفكار

التي يعبر عنها شخص معين، أما الشخصية فإنها تهتم بدراسة وتحليل الشخصية وتطورها في عمل أدبي أو تراجم أو سير(٤٣).

د- وحدة المفردة Item:

ويقصد بوحدة المفردة الوحدة التي يستخدمها المصدر أو المرسل في نقل الأفكار أو المعاني والمعلومات أو ما يريد نقله إلى الجمهور المستقبل، ويطلق عليها البعض أحياناً الوحدة الطبيعية، وهي تختلف بإختلاف الدراسة الخاضعة للتحليل، فقد تكون مجلة، كتاب، مقالة، قصة ... إلخ من الوحدات التي يمكن إخضاعها للتحليل.

ويمكن للباحث أن يقوم بتصنيف داخلي لكل وحدة من هذه الوحدات طبقاً لأغراض التحليل، بحيث يمكن تقسيم الكتب مثلاً إلى: كتب سياسية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية، تربوية... إلخ(٤٤).

هـ- وحدة مقاييس الزمن والمساحة:

هي أداة للحصر الكمي للمادة المبحوثة، حيث يستخدمها الباحث لقياس وحصر الفترات الزمنية أو الحصر الكمي لطول مقال أو عدد الصفحات في كتاب معين، أو عدد المقاطع في مقال افتتاحي، أو المدة الزمنية التي يستغرقها نقاشا موضوع معين في وسائل الإعلام ويشيع استخدام وحدة المساحة والزمن في الدراسات السياسية والاقتصادية على وجه الخصوص.

ومن الجدير بالذكر أن وحدات التحليل سالفة الذكر غير منفصلة عن بعضها البعض بالضرورة، وأن هناك ضرورة منهجية تستوجب ضرورة التعامل مع أي منها في غيبة الآخرين، كما أنه يمكن استخدام أكثر من وحدة للتحليل، إذ يتوقف ذلك على طبيعة الوحدة أو المشكلة محل البحث، وعلى طبيعة محتوى الاتصال من جهة أخرى، وقد تستخدم أكثر من وحدة للتحليل في نفس الوقت أو منفردة عن بعضها البعض على حسب ما يتطلبه البحث(٤٥).

سادساً: فئات تحليل المضمون.

يعتمد تحليل المضمون في دقته إلى حد بعيد على فئات التحليل Categories of analysis أو ما يمكن أن نطلق عليه تصنيف المادة حسب مضمونها، وترجع أهمية هذا الجزء إلى أن التصنيف نصف الطريق إلى الحقيقة.

وترتبط عملية التصنيف وتحديد الفئات بمفهوم التجزئة: وتعني تحويل الكل إلى أجزاء ذات خصائص أو مواصفات مشتركة، وفق محددات يتم الاتفاق عليها مسبقاً، ويتم اختيار معايير التصنيف بناءا على ارتباطها بالبحث وأهدافه ومناهجه، حيث لا توجد فئات ثابتة ومحددة تصلح لكل البحوث، كما يجب على الباحث أن يعرض الفئات التي استنتجها – وقرر الاعتماد عليها – على مجموعة من الخبراء والمحكمين ضماناً لتحقيق الدقة ولوصول إلى اتفاق تقريبي حولها[٤٦].

يجب أن تكون الفئات جميعها لها ثلاث صفات ضرورية متوفرة فيها وهي: التخصص، الشمول والثقة، وأن تفي هذه الفئات باحتياجات الدراسة وأهدافها.

١- **التخصص** Exclusive:

وتعني أنه لابد من وضع تعريف دقيق للفئة حتى توضع وحدة التحليل تحت واحدة فقط من الفئات بمعنى أنه لابد أن تكون لكل فئة وحداتها الخاصة بها.

حيث من السهل التمييز بين فئتي سياسي، اقتصادي أو داخلي وخارجي على سبيل المثال. أما السياسة فهناك سياسة داخلية، وسياسة خارجية، ومن ثم لابد من وضع تعريف دقيق وشامل وكامل حتى تسمح بإستيعاب مفهوم واحد منها تبعاً لأهداف البحث[٤٧].

٢- **الشمول** Exhaustively:

يطلق على نظام الفئات صفة الشمول إذا تمكن الباحث من وضع كل وحدة من وحدات التحليل في قسم موجود فعلاً.

وقد يشكل هذا الشرط صعوبة لدى الباحث، حيث لا تفي الفئات المحددة بهذا الشرط، أو تؤدي سعة الفئات وتقسيمها إلى صعوبة استخلاص النتائج وتفسيرها.

٣- **الثقة** Reliable:

وتعنى أن القائمين على عملية التكويد، لابد أن يكونوا متفقين حول الفئة الصحيحة لكل وحدة من وحدات التحليل، ويمكن أن يتم التأكد من ذلك عن طريق الاختبارات القبلية Pretest، كما أن عدد الفئات يتحدد طبقاً للموضوع.

٤- أن تفي باحتياجات الدراسة وأهدافها:

حيث أن طرح التساؤلات والفروض يفيد الباحث في تحديد الفئات الملائمة لاختيار هذه الفروض والإجابة على التساؤلات، حيث أن هذا يساعد الباحث في تحديد هدفه، وعدم تحديد فئات تزيد عن احتياجات الدراسة، وتزيد من الوقت والجهد المبذول[٤٨].

وغالباً ما يتم تقسيم الفئات إلى قسمين رئيسيين:

أ- فئات "ماذا قيل": وهذه الفئات تصف المعاني والأفكار التي تظهر في المحتوى.

ب- فئات "كيف قيل": وتهتم بالأسلوب والكيفية التي يتم تقديم المحتوى بها.

(أ) **فئة ماذا قيل؟.**

ويندرج تحت سؤال ماذا قيل في مادة الاتصال؟ عدة فئات، وتهتم هذه الفئات بمادة الاتصال، وليس بشكل الاتصال، وتنقسم إلى:

١- **فئة موضوع الاتصال** Subject Matter:

تحاول هذه الفئة الإجابة على سؤال: علام تدور مادة الاتصال؟، وهذا السؤال أول ما يثر الباحث في عملية التحليل، وتعد هذه الفئة من أكثرة الفئات عمومية فى عملية التحليل[٤٩].

وتفيد هذه الفئة في الكشف عن مراكز الاهتمام في المحتوى، حيث يتم تقدير درجة الأهمية والتركيز النسبي الذي يوليها المحتوى للنقاط المختلفة في المضمون[٥٠].

وتهدف هذه الفئة إلى تقسيم الموضوع الرئيسي إلى موضوعات فرعية تدور حولها، مواد الاتصال، وتحديد فئات الموضوع يختلف من بحث إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى، مثال ذلك إذا كنا نتناول موضوع تحديد أو تنظيم النسل في الصحف فإننا طبقاً لفئة موضوع الاتصال نقوم بتقسيم المقالات إلى "مؤيد، معارض" فالنسبة للمقالات المؤيدة سوف تتحدث عن " البطالة، زيادة السكان ونقص الدخل القومى"... إلخ. أما المقالات المعارضة فتتحدث عن "استغلال الموارد الطبيعية، استصلاح الأراضى"... إلخ.

وحتى هذه الحالة تعتبر الفئات نفسها وحدات التي يتم عليها العد والقياس من خلال تكرار تقدير القيم والفقرات والجمل، وذلك لتقرير فئة الموضوع بدقة، خاصة في الموضوعات التي تتناول أكثر من فكرة واحدة داخل المضمون.

٢- **فئة اتجاه مضمون الاتصال** Direction:

وتعتبر فئة الاتجاه من أكثر الفئات شيوعاً، حيث يتم رصد المحتويات بناء على المشيرات أو المحددات المختلفة "مؤيد، معارض"، "إيجابى، سلبى"، وتعكس صفة الاتجاه قدر التركيز على الجوانب الإيجابية أو السلبية الكاملة وبنسب متوازنة، وهناك ما يعرف بالاتجاه

الصفرى "Zero attitude" وهذا الاتجاه ليس فيه أي من الجوانب السلبية أو الإيجابية المعلنة، ويمنع عن إنجاز رأي أو قرار تجاه الموضوع(٥١).

ولابد من وضع تعريف واضح لكل مفهوم من مفاهيم الاتجاهات حتى لا يحدث اختلاط لدى الباحث، أو أن يكون لديه اتجاه مسبق، كما أنه قد يجد الباحث صعوبة في الفصل بدقة بين الجوانب الإيجابية والسلبية، وهذا يرجع إلى تأثر الباحث بعدة عوامل منها: "الموضوع، طريقة المعالجة، أسلوب التحرير والعرض، الكلمات والعبارات المستخدمة".

٣- **فئة المعايير والمستويات** Standards:

ونقصد بها مجموعة من المستويات والمعايير التي وضعت ليتمكن الباحث من الحكم على الآخرين في ضوئها، وتكون هذه المعايير أو المستويات ثابتة - إلى حد ما - ويرجع إليها عند تصنيف اتجاه محتوى الاتصال(٥٢).

ومن أهم الفئات الشائع استخدامها فئة القيم value السائدة لدى المجتمعات أو الأفراد، وكذلك فئة الأهداف Goals التي تسعى المجتمعات أو الأفراد إلى تحقيقها، أضف إلى ذلك فئة وسائل وطرق تحقيق الأهداف والغايات.

٤- **فئة القيم** Values:

ويقصد بها رصد وتحليل نوع القيم التي يتضمنها المحتوى، ويطلب عليها أحياناً فئة الأهداف أو الحاجات wants وغالباً ما تستخدم هذه الفئات في تحليل المواد الروائية لتحديد أنواع القيم التي يعتنقونها أو الأهداف التي يسعى إليها.

كما يطلق عليها الحكم الذي يصدره الإنسان على شيء ما، مهتدياً بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش

فيه، والذي يحدد المرغوب فيه وغير المرغوب فيه من السلوك، ومن ثم، فعلى الباحث الذي يقوم بتحليل مواد الاتصال أن يضع فئات لتحليل القيم سواء قيم الأفراد أو الجماعات، حيث أن القيم شئ مهم وضروري في جميع المجتمعات، سواء كانت متقدمة أو متأخرة، حيث أن القيم ضرورة اجتماعية لا غنى عنها حيث تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع، ومن هنا نستطيع القول بأن هذه القيم تظهر في معظم أشكال الإنتاج الأدبي والدراسات الاجتماعية والتربوية، ومن ثم لابد أن يقوم الباحث بمعرفة نوع القيم التي يشمل عليها مضمون المحتوى[٥٣].

٥- **فئة السمات** Traits:

وتهدف هذه الفئة إلى التعرف على السمات الشخصية للأفراد، كالسن، الجنس، المهنة، وبعض الخصائص السيكولوجية، وهذه الفئة - بالإضافة إلى تطبيقها على الأفراد - يمكن تطبيقها على النظم والسياسات[٥٤].

حيث أن ما يطبق على الأفراد يطبق على المجتمعات، فكل مجتمع له سماته ونظمه التي تمكنه من تحديد شخصيته مثل نظم الزواج، والعلاقات الأسرية والاجتماعية، كما يمكن استخدام هذه الفئة في النظم والعلاقات والسياسات الدولية طبقاً للسياسات الخاصة بكل دولة.

٦- **فئة الأساليب المتبعة:**

تساعد هذه الفئة الباحث في التعرف على الطرق المختلفة التي يصطنعها الأفراد للوصول إلى أهدافهم[٥٥].

حيث يندرج تحت هذه الفئة كافة الأساليب والطرق التي أتبعت لمعرفة الفكرة وشرحها، وهل هذه أساليب تحليل أم طرح

لأفكار، أم فرض هذه الأفكار والآراء والاتجاهات الخاصة بمرسل أو صاحب المضمون أو الرسالة.

وقد استخدمت هذه الفئة بالذات لتحليل المواد السياسية للكشف عن الطرق المختلفة التي تتبع لتحقيق الغايات، مثل العنف والمفاوضة في الحرب الباردة(٥٦).

٧- فئة الفاعل "فئة من هو Who **"** Actor:

وتهدف هذه الفئة إلى تحديد الأشخاص الذين يلعبون دوراً أساسي وبارز في مضمون الاتصال.

ويمكن استخدام هذه الفئة في الكشف عن المراكز القيادية أو الصفوة أو القائمين في توجيه السياسات وصانعي القرار أو العناصر المؤثرة في اتخاذه.

٨- فئة المصدر Source:

وتعرف أيضاً بفئة المرجع Authority، وتهدف هذه الفئة إلى تحديد الأشخاص أو الجماعات التي تساق التغيرات على لسانها، بمعنى أنها تصبح مرجع للأفراد أو مصدراً لهم، وتفيد هذه الفئة من فئات تحليل المضمون في تحليل الموضوعات الخلافية التي يثور بشأنها الجدل ويتعصب كل فريق لرأيه أو يدافع عن أيديولوجيته، أي أن كل فريق من الفريقين يرى أنه على صواب، ومن ثم يحاول كل فريق من الفريقين أن يثبت صحة قوله بالرجوع إلى مراجع تثبت صحة قوله، وغالباً ما تكون المراجع ذات نمط أو لون معين، ومن ثم فإن تطبيق هذاه الفئة يساعد الباحث في الكشف عن مدى الموضوعية في مادة الاتصال وكذلك طبيعة المراجع التي يرجع إليها.

٩- **فئة منشأة الحدث أو المعلومة** Origin:

وتشير هذه الفئة إلى المكان الأصلي الذي صدرت فيه مادة الاتصال، حيث أن تحديد المكان يساعد - كثيراً - في تحديد المكان يساعد في تحديد اتجاهات مادة الاتصال، وما يتوقع أن يسود فيها من آراء، ومواقف وقيم مرتبطة بالبيئة ذاتها.

كما أنها ترتبط ارتباط وثيق بفئة المصدر، حيث تسعى للإجابة على سؤال "أين صدرت مادة الاتصال، وتجيب هذه الفئة عن تساؤلات بشأن اتجاه المعلومة، ومدى صدقها، وإمكانية تجميعها، كما تمكننا من معرفة الاتجاهات الإعلامية التي توجد أو تصدر عن أقاليم معينة، ومدى اهتمام هذا الإقليم بالأحداث التي توجد في أقاليم أو مناطق معينة[٧٠].

١٠- **فئة المخاطبين أو الجمهور المستهدف** Target:

وتستخدم هذه الفئة في تحديد الجماعات التي توجه إليها مادة الاتصال، أي الجماعات التي يتم التركيز على مخاطبتها.

وتمكننا هذه الفئة من الإجابة على بعض التساؤلات منها - هل المادة موجهة إلى جمهور عام أم خاص، وإذا كان الجمهور خاص فما ملامحه؟ وما المؤشرات التي يرمي إليها المحتوى ويهدف إلى توصيلها إلى الجمهور الذي يوجه إليه مادة الاتصال.

(ب) فئة كيف قيل؟:

وتركز البحوث في هذا الصدد على شكل أو أسلوب الاتصال، وطريقة عرض المادة أي توضيح طرق بناء الرسائل. ويندرج تحت هذه الفئة عدة فئات نذكر منها ما يلي:

١- **فئة شكل أو نمط الاتصال:**

تقوم هذه الفئة على أوجه التفرقة المعتادة بين الأشكال المختلفة، مثال ذلك تحليل مضمون الكتب الروائية وغير الروائية، كما في الإذاعات بين الأخبار، الفنون، الأحاديث العامة، وقد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الفئة كبيرة جداً، إلا أنها تصلح كإطار لعدد من التقسيمات الفرعية الداخلية[٥٨].

ومن الدراسات العربية التي استخدمت فئة شكل أو نمط الاتصال دراسة محمد محمود عرفه، وقام الباحث بتحليل مضمون صحف الأهرام، الأخبار، الجمهورية في فترة ١٩٦١، ١٩٦٧ لمعرفة دور الصحافة فى بناء التنظيم السياسى.

٢- **شكل التعبير** Form of Statement:

وهذه الفئة تعمل على كشف الشكل الذي تتخذه عبارات المحتوى، أي تهدف إلى الاهتمام بالقواعد والصيغ النحوية من حيث تعبيرها عن الماضي، الحاضر أو المستقبل، أو يعبر عن حقائق أو أماني أو عبارات تتناول التصريف أو التفضيل.

٣- **فئة شدة الاتجاه أو التعبير** Intensity:

وتسمى أيضاً الانفعالية Emotionalism الإحساسية Sentimenlization وتشير هذه الفئة إلى درجة الإثارة التي توحي بها مادة الاتصال.

بمعنى أنها تهتم بتوضيح مدى الانفعال الذي ظهر في مضمون الاتصال، حيث أن الانفعالية التي تسود المضمون غالباً ما يكون لها تأثير على جماهير الاتصال أو المتلقون وحتى الآن لم توضع مقاييس ثابتة تحدد شدة التعبير.

إلا أن الباحث يستطيع أن يحدد من خلال البحث وأهدافه، المثيرات الشكلية الدالة على هذه الفئات، ويكون استخدام هذه المثيرات الشكلية من خلال: أفعال التفضيل أو معاني التوكيد، وارتباط المعاني بالضرورات الإنسانية والاجتماعية.

٤- فئة وسيلة الإقناع:

يقصد بهذه الفئة الوسيلة التي يتبعها المضمون أو الباحث – مثل التعميم أو الاستشهاد بمختلف المصادر – بهدف إقناع المشاهد أو القارئ أو السامع بمدى ثراء المضمون أو التسجيل الخاطئ للمرجع، أو ترديد أقوال أو عبارات على ألسنة أشخاص معروفين.

٥- فئة اللغة المستخدمة Language:

وتعد من أهم الفئات المستخدمة في تحليل المضمون حيث يترتب عليها توضيح مدى فهم الجمهور المتلقي واستيعابه للمحتوى، ويمكن تقديم المحتوى بثلاث أشكال أو مستويات: فصحى، فصحى مبسطة، عامية.

كما يعرف استخدام هذه الفئة إلى تحديد نوعية الجمهور المستهدف من خلال مادة الاتصال، كذلك استخدام التراكيب ومصطلحات محددة في المضمون توضح نفس الهدف وهو الجمهور المستهدف[٥٩].

٦- فئة الزمن أو المساحة والترتيب والمعالجة الفنية:

هي مجموعة من الفئات الخاصة بالشكل الذي يقدم به المضمون، وتعتبر هذه الفئة على جانب كبير من الأهمية، ومن الفئات الفرعية التي تندرج تحت هذه الفئة نجد:

- **فئة المساحة المخصصة أو الزمن:** وهي تقيس الحجم المخصص للموضوع في وسائل الإعلام مقروءة، مسموعة، مرئية.

- **فئة موقع المادة:** وهى تهتم بتوضيح مدى الاهتمام بعرض الموضوع، مثلاً بالنسبة للصحف، أهمية الموضوع تأتي بالنسبة للصفحة الأولى ثم الأخيرة والثالثة، أما بالنسبة للإذاعات والتلفزيون تحدد عن طريق توضيح عرض الموضوع خلال فترة ساعات الذروة في الاستماع أو المشاهدة.

- **فئة ترتيب المضمون:** وهى تهتم بتوضيح الأهمية التى تولى للمضمون في الترتيب في النشر أو العرض أو الإذاعة.

- **فئة تكرار المضمون:** تهتم بقياس أهمية المضمون على أساس مدى تكراره في النشر أو العرض أو الإذاعة.

وبالنسبة لوضع وتحديد هذه الفئات السابقة، هل يصوغها الباحث بشكل مسبق، أم يصوغها بعد تصفحه للمحتوى والتعرف على مكوناته ؟؟؟!!!

فسواء حدد الباحث فئات التحليل أم لم يحددها فلكل منها سلبياته، وإيجابياته، حيث أن الباحث الذي يصيغ الفئات بشكل مسبق، يعني أن الباحث لديه تصور مسبق، ورؤية واضحة للمشكلة التي يدرسها ولديه وعى بمحتوى المادة التي سوف يحللها، إلا أن الباحث الذى يقوم بذلك يتعرض للنقد، لأنه ينطلق من تصور مسبق لفئات معينة في المحتوى، وقد يحرم القارئ من القدرة على المقارنة إذا فرضت عليه فئات محددة. أما التصور الثاني و الذي يطالب صياغة الفئات بعد الاتصال المباشر بالمحتوى المراد تحليله ويميز هذا الاتجاه أن الفئات تكون ألصق بالمضمون من التصور الأول، إلا أنه تعرض للنقد نتيجة فقده للموضوعية بسبب: أن الباحث لا يستطيع أن يتجرد من خبراته، وتصوراته الخاصة بالقضية محل البحث، ومن ثم فإن الموضوعية أمر نسبي[٦٠].

سابعاً: مزايا وعيوب تحليل المضمون.

يتفوق تحليل المضمون على الأساليب البحثية الأخرى مثل الملاحظة، المقابلة، إذ أنه يقوم بوظائفها ويتجاوزها إلى التحليل، فهو ليس أداة لجمع البيانات فحسب بل يستخدم كأسلوب للتوصيف والتحليل. ومن ثم فإن أهم ما يميز تحليل المضمون ما يأتي:

١- أن الباحث يستطيع أن يبحث في الوثائق والسجلات الماضية من أجل معرفة الحياة الاجتماعية في فترة زمنية محددة كما أنه يستطيع أن يدرس الأحداث الحاضرة دون التقيد بالزمان والمكان.

٢- البيانات التي يحصل عليها الباحث تتم من خلال وسائل الاتصال المختلفة (أفلام، كتب، برامج ... إلخ)، وهذا يمكن الباحث من القدرة على معاودة الاتصال بمصادر بحثه وقتما شاء دون قيود، كما أن هذه الميزة تمكن الباحث من استعادة مواد الدراسة مرة أخرى، لأن معظم هذه المواد محفوظة في الأرشيف أو على أرفف الكتب أو البرامج الإذاعية....إلخ.

٣- تمكن الباحث من الحصول على معلومات لا يمكن له الحصول عليها عن طريق الملاحظة المباشرة أو المقابلة، حيث أن الباحث يستطيع الحصول عليها عن طريق المادة الاتصالية دون أن يعي منتج المادة أنها تخضع للدراسة، بالإضافة إلى إمكانية إعادة دراسة المضمون من قبل باحثين آخرين، نظراً لوجود هذه المواد متاحة بصورة دائمة للباحث[٦١].

وبالرغم من هذه المميزات السابقة إلا أنه كأي طريق بحث – لم يسلم من النقد نتيجة لوجود بعض القصور فيه منها:

١- مشكلة الثبات والموضوعية، والتي تعني إمكانية الحصول على نفس نتائج التحليل، من خلال محللين مختلفين عن طريق تطبيق نفس النتائج باستخدام نفس الفئات في فترات زمنية متباعدة،

وهذا لا يمكن حدوثه لأنه يفترض وجود توجهات ثابتة لدى المحللين المختلفين.

٢- تدرس هذه الطريقة الوثائق التي وصلت إلينا فقط وهذا يعني احتمال وجود وثائق لم تصل إلينا وأن هناك أشياء لم يتم تسجيلها مما يمثل قصور على نوعية، وكم النتائج التي نحصل عليها، لما أن ما تحمله مادة الاتصال من آراء واتجاهات شخصية ربما لا تكون صحيحة أو موضوعية، ومن ثم فإن إبرازها لا يعد فقط إبراز لفكرة خاصة، ولكن أيضاً يكون إجحاداً لقيم وآراء واتجاهات أخرى كثيرة[٦٢].

٣- البيانات المستخلصة من تحليل المضمون تلقي الضوء على أساليب الظواهر الاجتماعية، دون أن تعكس الظواهر نفسها.

٤- كما أن أصعب ما في تحليل المضمون هو: صوغ الفئات، نجد أنها قد تتأثر – كثيراً – بتوجهات الباحث المسبقة، مما يؤثر على كونها صياغة دقيقة[٦٣].

المراجع المستخدمة

(١) عواطف عبد الرحمن، آخرون، تحليل المضمون في الدراسات الإعلامية، القاهرة، دار العربي للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٥.

(٣) أحمد بدر، مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والإعلام الدولي، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٩.

(٤) عواطف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ١٠.

(٥) المرجع السابق، ص ٩.

(٦) محمد عبد الحميد، البحث العلمي في الدراسات الإعلامية، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢١٥.

(٧) جمال زكي، السيد يس، أسس البحث الاجتماعي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٢، ص ٣٧١.

(٨) رشدي أحمد طعيمة، تحليل المحتوى في الدراسات الإنسانية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧، ص ٢٢.

(٩) ناتاليا بريمونا، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة: توفيق سلوم، القاهرة، دار التقدم، ١٩٩٠، ص ٢٤٧.

(١٠) معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، لبنان، دار الشروق للنشر، ط١، ١٩٩٩، ص ١٧٠.

(11) Edgar F. Borgatte. Marieal. Borgatte, Encyclopedia of sociology, Mac Millan, P. B. New York, 1999, P. 290.

(١٢) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(١٣) أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الإسكندرية، مكتبة لبنان، ١٩٧٧، ص ٨٣٠.

(١٤) سامية محمد جابر، منهجية البحث في العلوم الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص ٢٧٠.

(15) David. N. Achmais, Research methods in social science, Martins, Press, New York, 1990, P. 324.

(١٦) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري، آخرون، المجلس الأعلى للثقافة والترجمة، المجلد، ط١، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٣٧٨.
(١٧) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٢٠.
(١٨) محمد جمال الفار، المعجم الإعلامي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦، ص٦٤.
(١٩) محمد منير حجاب، الموسوعة الإعلامية، القاهرة، الفجر للنشر والتوزيع، المجلد الثاني، ٢٠٠٨، ص٥٨٤.
(٢٠) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور وهبة، البحث الإعلامي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٩، ص ٢٠٣.
(٢١) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٢٦.
(٢٢) مصطفى حميد الطائي، خير ميلاد أبو بكر، مناهج البحث العلمي وتطبيقاتها، ط١، الإسكندرية، دار الوفاء للنشر، ٢٠٠٧، ص ١٣٢.
(٢٣) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٣٩.
(٢٤) مصطفى حميد الطائي، مرجع سابق، ص ٣٤ ١.
(٢٥) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٤٠.
(٢٦) عواطف عبد الرحمن، نادية سالم، مرجع سابق، ص ٩١.
(٢٧) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٤٢.
(٢٨) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣٣.
(٢٩) صلاح مصطفى الفوال، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٢.
(٣٠) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور وهبة، مرجع سابق، ص ٣٢١.
(٣١) مصطفى خميس الطائي، مرجع سابق، ص ١٣٩.
(٣٢) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور وهبة، مرجع سابق، ص ٣٢٢.
(٣٣) المرجع السابق، ص ٣٢٣.
(٣٤) مصطفى حميد الطائي، مرجع سابق، ص ١٤٠.
(٣٥) عواطف عبد الرحمن، آخرون، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٣٦) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور وهبة، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٣٧) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ط٤، ١٩٧٧، ص ٤٠٥.

(٣٨) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور وهبة، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

(٣٩) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣٤.

(٤٠) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤، ص ١٥١.

(٤١) رشدي أحمد طعيمة، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٤٢) إسماعيل عبد الفتاح، محمود منصور، مرجع سابق، ص ٢٤٧.

(٤٣) عواطف عبد الرحمن، آخرون، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٤٤) مصطفى حميد الطائي، خير ميلاد أبو بكر، مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٤٥) صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٤٦) عبد الباسط عبد المعطى، مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٤٧) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٤٨) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٢٩.

(٤٩) جمال زكي، السيد يس، مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(٥٠) إسماعيل عبد الفتاح، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

(٥١) محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٥٢) رشدي طعيمة، مرجع سابق، ص ٦٨

(٥٣) المرجع السابق، ص ٦٨ : ٦٩.

(٥٤) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٥٥) شريف درويش اللبان، هشام عطية عبد المقصود، مقدمة في مناهج البحث الإعلامي، ط١، القاهرة، الدار العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ١٥٥.

(٥٦) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٥٧) إسماعيل عبد الفتاح، محمود وهبة، مرجع سابق، ص ٢٣٥.

(٥٨) عواطف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٥٩) إسماعيل عبد الفتاح، محمود وهبة، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

(٦٠) رشدي طعيمة، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٦١) محمد الجوهري، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨، ص ٢٣١.

(٦٢) صلاح الفوال، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٦٣) محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

الفصل السابع
الطريقة الإسقاطية

تمهيد.

أولاً : الجذور التاريخية للطريقة الإسقاطية.

ثانياً : أنواع الأساليب الإسقاطية.

ثالثاً : الأسس التى تستند إليها الأساليب الإسقاطية.

رابعاً : خصائص الاختبارات الإسقاطية.

خامساً : مزايا وعيوب الأساليب الإسقاطية.

تمهيد.

شاع في الآونة الأخيرة استخدام الوسائل الإسقاطية في بحوث علم النفس الاجتماعي لما تتمتع به من خصائص ومقدرة تصلح من خلالها في التوصل لعوامل السلوك الاجتماعي والنواحي الكامنة وراءه. وكذلك الموقف الذي تعجز عنه أو عنده الوسائل الأخرى في الكشف عنها إلى جانب أن هذه الاختبارات تصلح للاستخدام والتطبيق في كافة الثقافات دون إدخال تغيير بها وذلك لأنها لا تتأثر كثيراً بالثقافة أى أنها نقية ثقافياً.

كما أن هذه الطريقة تحاول أن تحقق الموضوعية بمعناها السكيولوجي بدعوة الشخص تحت الملاحظة لأن يكون ذاتياً بقدر الإمكان.

فلا يلاحظ المختبر السلوك الواضح للمفحوص كما يحدث في مواقف الحياة، أن الطرق الإسقاطية ليست ذاتية بصفة قاطعة بالمعنى الذي تحمله الطرق الذاتية.

كما أنها تطبق عادة بأسلوب يقلل إلى أبعد حد ممكن انشغال المفحوص بنفسه وتدعو بدلاً من ذلك إلى التحرر المطلق من أي نوع من نقد الذات.

وتقود هذه الطريقة الفرد إلى تشخيص نفسه دون إحداث أي حرج له ويقوم إعداد هذه الوسائل على ميكانزم الإسقاط أي أن الفرد يقسط في انفعالاته ومشاعره على مواد الاختبار وصوره.

أولاً: الجذور التاريخية للطريقة الإسقاطية.

ظهر لفظ إسقاط لأول مرة في علم النفس عند فرويد وذلك في مقال له عن عصاب القلق عام ١٨٩٤. وقد أوضح فرويد في هذا المقال أن عصاب القلق يظهر لدى الفرد حين يشعر بعجزه عن

السيطرة على المثيرات، وفي هذه الحالة تسلك النفس كما لو كانت تسقط هذه المثيرات على العالم الخارجي. فالإسقاط عند فرويد عملية دفاعية تسير وفق مبدأ اللذة، وبمقتضاها تغزو الأنا الرغبات والأفكار اللاشعورية إلى العامل الخارجي. تلك الرغبات والأفكار التي إن سمح لها بالدخول إلى مسرح الشعور لأحدثت الألم للذات. وإذا كانت فكرة الإسقاط قد بدأت عند فرويد مرتبطة بالمرض النفسي والعقلي، فإنه قد توسع استخدامها بعد ذلك، في تفسير ألوان أخرى من السلوك حيث تعتبر عملية دفاعية تدخل حتى في تكوين المعتقدات الدينية. ولكن حتى داخل هذا الإطار الثقافي كان فرويد ينظر إلى الإسقاط كعملية دفاعية ضد القلق.

ومع أن كتب التحليل النفسى تحدثت عن الإسقاط باعتباره عملية دفاعية إلا أن نصيبه من الدراسة كان ضئيلاً بالنسبة إلى غيره من العمليات. مما دعا البعض إلى القول بأن من المحتمل أن يكون لفظ الإسقاط أقل هذه العمليات تحديداً في نظرية التحليل النفسي. ويمكن أن نلخص الأسس التي تقوم عليها هذه الفكرة عند فرويد في النقاط التالية:

١- الإسقاط عملية لا شعورية.
٢- إنه يستخدم كعملية دفاعية ضد القلق والدوافع اللاشعورية.
٣- يحدث الإسقاط نتيجة عزو هذه الدوافع والرغبات والأفكار التي تسبب الألم للذات إلى الآخرين وإلى العالم الخارجي.
٤- يترتب عليه خفض حدة التوتر لدى الفرد[١].

وفي عام ١٩٣٩ ظهر استعمال جديد للفظ إسقاط عند فرانك L. K. Frank عندما وصف بعض الوسائل غير المباشرة في دراسة الشخصية التي تهدف إلى الوصول بالفرد إلى أن يقدم تقيماً لصفاته دون أن ينتبه إلى أنه يقوم بذلك[٢].

فالفرد حين تعرض عليه مثيرات غير متشكلة ومبهمة إلى حد ما ويطلب إليه أن يستجيب لها، يسقط على هذه المثيرات المبهمة حاجاته ونزعاته وتبدو هذه الحاجات والنزعات في صورة استجابات لهذه المثيرات. فحاجاتنا وإدراكاتنا السابقة تؤثر في ارداكاتنا الراهنة. والسؤال الذي يواجهنا الآن مؤداه: إلى أي حد ينطبق معنى الإسقاط عند فرويد على معناه المستخدم في الاختبارات الإسقاطية كما وصفه فرانك؟

الواقع أنه ليس من السهل الإجابة على هذا السؤال إلا من قبيل الافتراض بأن الصفات التي يعزوها الفرد إلى المثير، إنما تصدر عن حاجاته ودوافعه ونزعاته ورغباته وميوله، أكثر مما تصدر على المثير الموضوعي ذاته.

وهذا معناه أن المثير الغامض والمبهم يسمح للعوامل الذاتية في عملية الإدراك بالقيام بدور واضح. ومن هنا يعتقد كثير من علماء النفس الإكلينكى والإسقاطى أن التفسيرات التي يقدمها المفحوص بالنسبة للمثير الغامض أو المبهم يمكن أن توقفنا على كثير من جوانب شخصيته وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد معنى الإسقاط على نحو ما هو مستخدم في الاختبارات الإسقاطية بأنه "العملية التي بواسطتها يمكن الكشف عن دوافع الفرد ورغباته ونزعاته وحاجاته باستخدام مثير غامض إلى حد ما، يقوم الفرد بتفسيره وتأويله".

ثانياً: أنواع الأساليب الإسقاطية.

تعددت وتنوعت الأساليب الإسقاطية فقد صنفها العلماء على صنفين:

التصنيف الأول:

١- **أساليب التداعى والترابط:** وفيها يستجيب المفحوص للمثير بإعطاء أول كلمة أو صورة أو مدرك يخطر له ومن أمثلتها اختبار تداعي الكلمات - الروشاخ[٣].

٢- **الأساليب والإجراءات البنائية أو التكوينية :** وتتطلب من المفحوص خلق أو بناء نتاج معين مثل قصة ومن أمثلتها اختبارات تفهم الموضوع. كما يتطلب الاستجابة لهذا الاختبار من جانب المفحوص نشاطات ذهنية أكثر ضبطاً أو اشد تعقيداً.

٣- **أساليب وأعمال التكميل :** ومنها تكملة الجمل أو القصص واختبار الإحباط المصور الذي يجمع بين المنبهات اللفظية والمصورة ويتطلب تكملة حوار ويمكن تطبيقها على الأفراد أو الجماعات وتعتمد في تفسيرها على نوعين من التحليل التحليل الكلي وتحليل المضمون.

٤- **أساليب الاختبارات أو الترتيب :** وتتطلب إعادة ترتيب الصور أو تسجيل التفصيلات ومنها اختبار لروندي وهي تقدم غالباً منبهات أكثر تحديداً في بنياتها ومن ثم يمكنها أن تستخدم في تصحيحها الأساليب الكمية[٤].

٥- **الأساليب أو الطرق التعبيرية :** ومن أمثلتها الرسم وأساليب اللعب والسيكو دراما وتختلف هذه الأساليب عن الأساليب البنائية من حيث أن أسلوب المفحوص يقيم كما يقيم إنتاجه النهائي ويمكن أن تستخدم هذه الأساليب لأغراض علاجية بالإضافة إلى استخدامها في التشخيص – فالمفحوص لا يكشف فقط عن متابعة ولكن يتخفف منها عن طريق التنفيس.

التصنيف الثاني :

١- **الطرق التكوينية :** وتعتمد على أن الشخص الذي نفحصه نطلب منه أن يكون موضوعاً معيناً دون أن نحدد له عناصر سابقة. كأن يرسم أي شئ مثلاً أو يكتب أى شئ فهي تعتمد على الخلق الفني الحر.

٢- **المناهج أو الطرق البنائية :** وبمقتضاها تعطي للشخص عناصر محددة من قبل ويطلب منه أن يؤلف فيما بينها كل جديد (لعب الأطفال مثلاً).

٣- **الطرق التفسيرية :** وهي تفسير الأشياء التي يراها ويحتمل تأويلها تأويلات مختلفة. فهي عملية تفسير تلقائي للأشكال غير المحددة المضمون مثل اختبار رورشاخ واختبار تفهم الموضوع.

٤- **المناهج أو الطرق التطهيرية أو التنفسية :** والمقصود بها: الانفعالات التي تحدث عن طريق المشاركة الوجدانية. وتستخدم هذه الطرق في العلاج النفسي. ومعناها التنفيس عن العمليات اللاشعورية.

٥- **الطرق الانكسارية :** وتعتمد على التشويهات التي تقع عند استخدام الكتابة وتكون راجعة إلى خصائص ذاتية شخصية.

والمناهج الإسقاطية غير مباشرة بالنسبة للشخص المفحوص والفاحص. الأول لأنه يتكلم عن موضوع خارجي وليس عن نفسه، والثانى لأنه يؤول المضمون الظاهري ويرى الأفكار الكامنة وراءها(٥).

ثالثاً : الأسس التى تستند إليها الأساليب الإسقاطية.

- افتراض أن طريقة إدراك الفرد وتفسيره لمادة الاختبار تعكس جوانب أساسية من وظائف شخصيته، أي أن الفرد يسقط على مادة الاختبار أفكاره واتجاهاته ومخاوفه وأنواع الصراع التي يعاني منها.

- يهتم الأكلينيكى فى تفسيره للاستجابات بالجوانب اللاشعورية الكامنة في شخصيته في تفاعلها الدينامي وهذه الجوانب يصعب على المفحوص الكشف عنها لفظياً.

- يتطلب الاختبار لهذا الغرض علماً بدرجات تتفاوت من الاختبار لآخر فيسمح بعدد لأنها في متنوع من الاستجابات.

- تستخدم غالباً تعليمات مختصرة وعامة تشجع على إطلاق المفحوص العنان لخياله الحر ولا يمكن الحكم على استجاباته بأنها صحيحة أو خاطئة.

- يغلب عليها ألا يعى المفحوص حقيقة الغرض من الاختبار والطريقة التي تفسر بها استجاباته له ومن ثم يقل احتمال تحريف الاستجابة للأساليب الإسقاطية، حتى إذا كان المفحوص يعي شيئاً عن طبيعة الاختبار فإنه من الصعب عليه أن يتنبأ عن الطرق العديدة التي سوف تفسر بها استجاباته.

- يغلب أن تهدف هذه الأساليب إلى الحصول على صورة كلية عن الشخصية أكثر مما تتجه إلى قياس سمات منفصلة فلا يقتصر استخدامها على الكشف عن الخصائص الانفعالية والاجتماعية والميول والاتجاهات والدوافع ومؤشرات التوافق اللاسوي بل يتعداها في تقدير مستوى الكفاءة العقلية أيضاً.

- تعكس الأساليب الإسقاطية تأثير كل من مفاهيم التحليل النفسي وبخاصة مفهوم الدوافع اللاشعورية والإسقاط ومدرسة الجشطالت.

أن ذلك لا يعنى بالضرورة أن استخدام أو تفسير هذه الأساليب يتحتم أن يقتصر على هاتين المدرستين فقد بذلت محاولات لاستخدامها في إطار من مفاهيم التعليم مثلاً[٦].

رابعاً: خصائص الاختبارات الإسقاطية.

١- عدم إدراك المفحوص للغرض من الاختبار.

٢- ثراء الاستجابات التي تصدر عن المفحوص.

٣- حساسية الكشف عن بعض الجانب اللاشعورية الكامنة في الشخصية.

٤- الكشف عن بعض الجوانب الشخصية المرتبطة بالاتجاهات النفسية.

٥- تعطي درجة عالية من الصدق عن الأساليب المباشرة تحت طرق معينة[٧].

خامساً: مزايا وعيوب الأساليب الإسقاطية.

(١) مزايا الأساليب الإسقاطية.

- تفيد في دراسة بعض جوانب الشخصية التي يصعب إدراكها حسياً والتعبير عنها لفظياً التي تعجز الأساليب الأخرى كالمقابلة والاستبيان في الكشف عنها.
- تمتاز بمرونتها وإمكانية استخدامها في مواقف متعددة فالباحث يستطيع أن يستخدم أي مثير من الصور والكلمات ويستطيع أن يجمع المعلومات عن الطلبة أو المدرسين أو المزارعين أو غيرهم.
- تفيد في الدراسات المقارنة حيث يستطيع الباحث إجراء نفس الاختبارات على أفراد من مجتمعات مختلفة ومقارنة النتائج واستخلاص الدلالات منها.
- تخلو من الصعوبات اللغوية التي تواجه الباحث في صياغة الأسئلة وتحديد المصطلحات عند إعداد الاستبيانات أو إجراء المقابلات.

(٢) عيوب الأساليب الإسقاطية.

- صعوبة تفسير البيانات واحتمال التحيز في استخلاص الدلالات من استجابات الأفراد.
- صعوبة تقنين البيانات وتصنيفها وتحليلها والسبب في ذلك هو أنه لا توجد قيود لتحديد استجابة الفرد وبالتالي فقد تكون استجابة بضعة أفراد لنفس المثير مختلفة تماماً من حيث المحتوى والشكل، مما يجعل عملية تصنيفها وتحليلها غاية في الصعوبة.

- الصعوبات العملية التي يواجهها الباحث في التطبيق ومنها في صعوبة وجود أفراد متعاونيين يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم بصدق وأمان والأهم من ذلك هو صعوبة وجود أخصائيين مدربين يستطيعون إجراء الاختبارات المختلفة وملاحظة انفعالات الأفراد وتسجيل استجاباتهم بشكل دقيق وكذلك تحليلها واستخلاص الدلالات الصحيحة منها[٨].

المراجع المستخدمة

(١) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ١٣٧.

(2) L. K. Frank, Projective Methods, Springfield Illinois, charles C. Thomas, 1948.

(٣) أحمد محمد عبد الله، علم النفس التجريبي بين النظرية والتطبيق، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٨، ص ١٠٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٥) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ١٣٩.

(٦) محمد السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥، ص ٢٠٣.

(٧) أحمد محمد عبد الله، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(8) www.CV4arab.com

الفصل الثامن
الطريقة السوسيومترية

أولاً : الجـــــذور التاريخية للطريقة السوسيومترية .

ثانياً : معـــــنى مصطـــــلح السوسيـــومترى .

ثالثاً : مجـــالات استخدام الطـريقة السوسيومترية .

رابعاً : خطـــــوات إعداد الاختبار السوسيومترى .

خامساً : الشبكة الاجتماعية والعلاقات السوسيومترية .

سادساً : مـــزايا وعيـــوب الطريقة السوسيومترية .

أولاً: الجذور التاريخية للطريقة السوسيومترية.

تعتبر القياسات الاجتماعية من أساليب البحث المتميزة لدراسة وجمع معلومات دقيقة عن مواقف وآراء الأفراد والجماعات، وهو يساعد على الوقوف على شبكة وأنواع العلاقات الاجتماعية وما تتميز به من جذب أو تنافر، ومن تعاون أو تناحر، كما يساعد على الكشف عن طبيعة القيم التي توجه الأفعال والسلوكيات الفردية والجماعية، وأصناف الاتجاهات.

وقد ظهرت المحاولات الأولى لاستخدام الاختبار السوسيومتري سنة ١٩١٦ حيث كان يطلب من كل ممثل أن يختار زميله الذي يشترك معه في الحوار الثنائي وتطور هذا الاختبار سنة ١٩٢٣ إلى سؤال الأطفال أن يختاروا أباء غير آبائهم.

لكن النشأة الحديثة للقياس الاجتماعي أو السوسيومتري فيعود الفضل إلى "جاكوب مورينو Jacob Moreno" (١٨٩٢-١٩٧٦) وشريكته "هيلين جينجز H. Jennings" في ابتكار القياس الاجتماعي عندما قام بدراسة العلاقات الشخصية بين أفراد الجماعات الصغيرة، في عام ١٩٣٤ في كتابه "لمن البقاء؟".

ويجب التأكيد بأن أسلوب القياس يختلف عن أساليب دراسة وجمع البيانات الأخرى في كون الأسئلة التي يطرحها بمثابة أدوات لقياس جملة المواقف والآراء، فكل سؤال يضعه يتضمن "مقياساً ما لا يرمي في حد ذاته إلى مجرد الوصول إلى معلومات معينة كما هو الحال في الاستفتاء أو المقابلة، لأنه يؤخذ في إطار المجموع الكلي لأسئلة المقياس ليوضح تقييماً متكاملاً للظاهرة موضع القياس[(١)]".

يعد القياس الاجتماعي Sociemoetrie من التقنيات الهامة التي تستعمل الاختبارات في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويرجع الفضل إلى جاكوب مورينو عالم النفس الروماني المهاجر إلى

أمريكا في تطبيق الاختبارات السوسيومترية لدراسة وقياس العلاقات بين الأشخاص التي تقوم داخل المجموعات الصغيرة رياضياً.

ويعتمد المقياس على توجيه مجموعة من الأسئلة إلى أفراد لمجموعة قيد الدراسة، والطلب من كل فرد تحديد أعضاء الجماعة التي يرغب في أن يشاركوه نشاط ما (سلم الجذب)، ثم يحدد الذين لا يرغب في مشاركتهم (سلم النفور). وعند جمع وتفسر الأجوبة يصبح بالإمكان معرفة، وبشكل مباشر، طبيعة العلاقات الموجودة داخل الجماعة والطريقة التي من خلالها تتشكل أى تُبنى الجماعة.

وبشكل عام، فإن النتائج المتحصل عليها يتم عرضها من خلال المخطط الاجتماعى (السوسيوغرام Sociogramme) والذي يكشف لنا عن العلاقات المستخلصة وبشكل بيانى.

وأعطى الباحث رمزاً هندسياً لكل عضو من أعضاء الجماعة (دائرة أو مثلث..) أما العلاقات الموجودة بينهم فتعرض بواسطة خطوط توحد بينهم.

وعليه، فالاختبار السوسيومترى أو القياس الاجتماعى يشكل أداة هامة للبحث. وكثيراً ما يشار إلى دراسة جنكتر Jenkins عند الحديث عن هذه التقنية الذي درس سربين من الطائرات خلال حرب الباسفيك، حيث كان السرب الأول (أ) يتوفر على معنوياته عالية في حين أن السرب الثاني (ب) كانت معنوياته منخفضة.

وقد كشفت هذه التقنية التي استعملها الباحث أن قائد السرب الأول اختار ٨ من رجال سربه والضابط الثاني اختير من طرف ٦ رجال. في حين أن السرب (ب) لم يتم اختيار أو رفض القائد، أما نائبه فقد رفض من طرف ٩ رجال.

وقد كشف القياس الاجتماعي أيضاً عن وجود جماعتين فرعيتين مغلقتين في السرب الثاني، كما أن الخيارات تقع خارج

السرب وليس داخله. ومن هنا نستنتج أن القياس الاجتماعي يهدف إلى دراسة شبكة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وعوامل الجذب والنفور بين أعضاء الجماعة الواحدة، مما يساعد على الوقوف على البناء الداخلي للجماعات(٢).

ثانياً: معنى مصطلح السوسيومتري.

يعني السوسيومتري Sociometry القياس الاجتماعي والمصطلح بهذه الصورة تعريب للمصطلح الإنجليزي الذي يعني مقطعه الأول Socio اجتماعي ويعني مقطعه الثاني Metry القياس وبذلك تصبح الترجمة العربية لهذا المصطلح هي "القياس الاجتماعي". وتعتمد تلك الطريقة على طلب الباحث من كل فرد من أفراد الجماعة الصغيرة أن يختار فرداً آخر بالنسبة لصفة ما.

ثم يترجم الباحث نتائج هذا الاختيار إلى شبكة للعلاقات الاجتماعية يرمز فيها كل فرد بدائرة ولاتجاه الاختيار بسهم يتجه من الفرد الذي يختار إلى من يختاره.

وتهدف هذه الطريقة إلى قياس مظاهر الألفة والنفور التي تنشط وتسفر عن نفسها في اجتماع الناس بعضهم مع البعض الآخر. ويكاد يقتصر ميدانها على دراسة الجماعات الصغيرة التي يعرف كل فرد من أفرادها بقية أعضاء الجماعة معرفة واضحة أصيلة تمكنه من اختيار من يصاحبه ومن لا يصاحبه ومن يستعين ومن لا يستعين به.

وأهم ما تستخدم فيه الطريقة السوسيومترية دراسة التفاعل الاجتماعي الذي يحدث بين أفراد أي جماعة صغيرة وبين الجماعات الأصغر وصولاً بالأفراد في الجماعة(٣).

لذلك تصبح الطريقة السوسيومترية هي الوسيلة العملية لقياس العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين فرد وفرد آخر وبين فرد وجماعة أو بين جماعة وجماعة أخرى ولقياس مكانة الفرد في الجماعة

والزعامة ومدى تماسك الجماعة وانحلالها. ومدى استمرارها وغير ذلك من الخصائص المختلفة للجماعة الصغيرة ومدى تأثير الفرد بتلك الخصائص في تفاعله معها أو مع غيره من الأفراد[٤].

ثالثاً : مجالات استخدام الطريقة السوسيومترية.

تعددت مجالات استخدام الطريقة الوسيومترية تبعاً للموقف التي تستخدم فيه وفيما يلي عرض لبعض تصنيفات استخدامها:

الأول : يرى أصحاب هذا التصنيف أنها تستخدم فى الآتى :

١- يستخدم السوسيومتري أو القياس الاجتماعي في تحليل البنية الداخلية للجماعة الصغيرة وذلك عن طريق الكشف عن مظاهر الألفة والنفور والحب والكره وغير ذلك من المظاهر النفسية الاجتماعية.

٢- تصلح من أجل الكشف عن بعض المظاهر بأن يطلب من كل فرد من أفراد الجماعة أن يذكر أسماء من يريد أن يصاحبوه ومن لا يريد أن يصاحبوه.

٣- يؤكد مورينو أن السوسيومترية تؤدي إلى عمل شبكات للعلاقات الاجتماعية وهي الوسيلة القوية التي تكشف عن مدى تنظيم الجماعة وتكوينها الداخلي.

٤- قد أثبتت أبحاث الاختبارات السوسيومترية نظرية الكمون الجنسي كما صاغها فرويد:
- أن الأطفال من سن ٨ إلى ١٣ يتجه نحو اختيار الجنس المماثل.
- والأطفال التي تزيد أعمارهم عن ١٣ لا يتقيدون بالفروق الجنسية.

الثانى : ويرى أصحاب هذا التصنيف أنها تستخدم فى الآتى :

- التعرف على أنماط التكيف الاجتماعى.
- تكوين مجموعات متعاونة ومتجانسة لإنجاز نشاط معين.

- قياس التغيرات التطورية الاجتماعية لدى أفراد الجماعة.
- التعرف على الأشخاص المتميزين في المجموعة.
- التعرف على حالات المنبوذين من أجل إعادة تأهيلهم ودمجهم في الجماعة.
- التعرف على المشكلات السائدة بين الجماعة والعمل على حلها، حيث تعتبر وسيلة بحث مكملة لوسائل أخرى(٥).

رابعاً: خطوات إعداد الاختبار السوسيومترى.

كيفية صياغة الأسئلة السوسيومترية:

صيغت أسئلة الاختبار السوسيومترى منذ نشأتها الأولى لتكشف عن خصائص الفرد والجماعة التى ينتمى لها من حيث العمل الذي تؤديه. وعلى سبيل المثال أصبحت الصيغة الشائعة للدراسة في الفصل المدرسي "من يريد أن يجلس إلى جوارك" ومن لا يريد" وبعد أن يتسع مجال السؤال ليكشف عن الإدراك الاجتماعي للفرد فيطلب من كل طالب أن يكتب اسم من يظن أنهم يميلون إليه ومن يظن أنهم لا يميلون إليه.

شروط الاختبار السوسيومترى:

حدد مورنيو مجموعة من الشروط يجب مراعاتها وهي:

١- أن يتم الاختبار في جماعة صغيرة محددة.
٢- أن يختار الفرد أو يرفض من يشاء من أفراد جماعته دون التقيد بعدد محدد على أن يكون من فرد واحد إلى ثلاثة.
٣- أن يكون الاختيار والرفض بالنسبة لصفه محددة مثل المشاركة في رحلة.
٤- أن تستخدم نتائج القياس الاجتماعي في إعادة تنظيم الجماعة بما يحقق لأفرادها أعلى مستوى من التوافق.

٥- أن تتحقق من سرية الاختيار حتى يتمكن كل فرد في إبداء رأيه وإصدار حكمه.
٦- أن يكون الموقف الذي يتم فيه الاختيار أو الرفض موقفاً واقعياً[٦].

وبعد إعداد مجموعة الأسئلة ومعرفة الشروط الواجب توافرها في الاختبار السوسيومتري نحدد بعض الخطوات المتبعة لإعداد الاختبار السوسيومترى، وأهمها:

١- يقوم الباحث بعمل دراسة تهدف إلى جمع المواقف والأنشطة المختلفة التي تعكس جوانب التفاعل المختلفة بين أفراد الجماعة وذلك من خلال توجيه أسئلة مباشرة لبعض أفراد الجماعة عن الأنشطة التي يمارسونها في حياتهم سواء كانت هذه الأنشطة في المدرسة أو داخل الجماعة أو خارجها مثل: القيام بالرحلات - إجراء البحوث وغيرها.
٢- يقوم الباحث بتصنيف هذه الأنشطة والمواقف إلى جوانب ثلاثة:
   - علاقات إنسانية داخل المدرسة أو الجامعة أو العمل.
   - علاقات إنسانية خارج المدرسة أو الجامعة أو العمل.
   - القيادة.
٣- يقوم الباحث بعد ذلك بإعداد عدد من الأسئلة التي تدور حول كل موقف من المواقف السابقة، بالطريقة سالفة الذكر.
٤- يتأكد الباحث من فهم المبحوث لألفاظ الأسئلة وعدم صعوبتها بتجربتها عليهم قبل تطبيق الاختبار.
٥- إجراء ثبات وصدق الاختبار بأحد الطرق المعروفة وعادة ما يكون الصدق بسؤال أفراد الجماعة أو المدرسين عن صحة الاختيارات.

ويوجد العديد من نماذج الاختبارات السوسيومترية والتي استخدمت في دراسات مصرية وطبقت على العمال الصناعيين وفي دراسة أخرى في مجتمع لدولة الإمارات طبقت على تلاميذ المدارس بها.

ويكون عبارة عن استبيان يحتوي على مجموعة من الأسئلة والجوانب التي تتضمنها هذه الأسئلة ويوجد عدد من التعليمات للاختبار ويتضمن أو يمر الاختبار بعدة خطوات:

١- الدراسة على الاختبار.

٢- ثبات الاختبار.

٣- تفريغ نتائج الاختبار السوسيومترى[٧].

نموذج : الاختبار السوسيومترى لـ "مورينو"[٨]

١- من هم التلاميذ الذين ترغب في أن يكونوا معك ضمن نشاط ما؟

٢- من هم التلاميذ الذين لا ترغب في أن يكونوا معك ضمن نشاط ما؟

٣- من هم التلاميذ الذين تعتقد أنهم يرغبون في أن تكون معهم ضمن نشاط ما؟

٤- من هم التلاميذ الذين تعتقد أنهم لا يرغبون في أن تكون معهم ضمن نشاط ما؟

نموذج لشكل بطاقة الإجابة :

اسم التلميذ: ....

١- من هم التلاميذ الذين ترغب في أن يكونوا معك ضمن نشاط ما؟

أ- ....

ب- ....

ج- ....

٢- من هم التلاميذ الذين لا ترغب في أن يكونوا معك ضمن نشاط ما؟

أ- ....

ب- ....

ج- ....

٣- من هم التلاميذ الذين تعتقد أنهم يرغبون في أن تكون معهم ضمن نشاط ما؟

أ- ....

ب- ....

ج- ....

٤- من هم التلاميذ الذين تعتقد أنهم لا يرغبون في أن تكون معهم ضمن نشاط ما؟

أ- ....

ب- ....

ج- ....

خامساً: الشبكة الاجتماعية والعلاقات السوسيومترية.

١- الشبكة الاجتماعية.

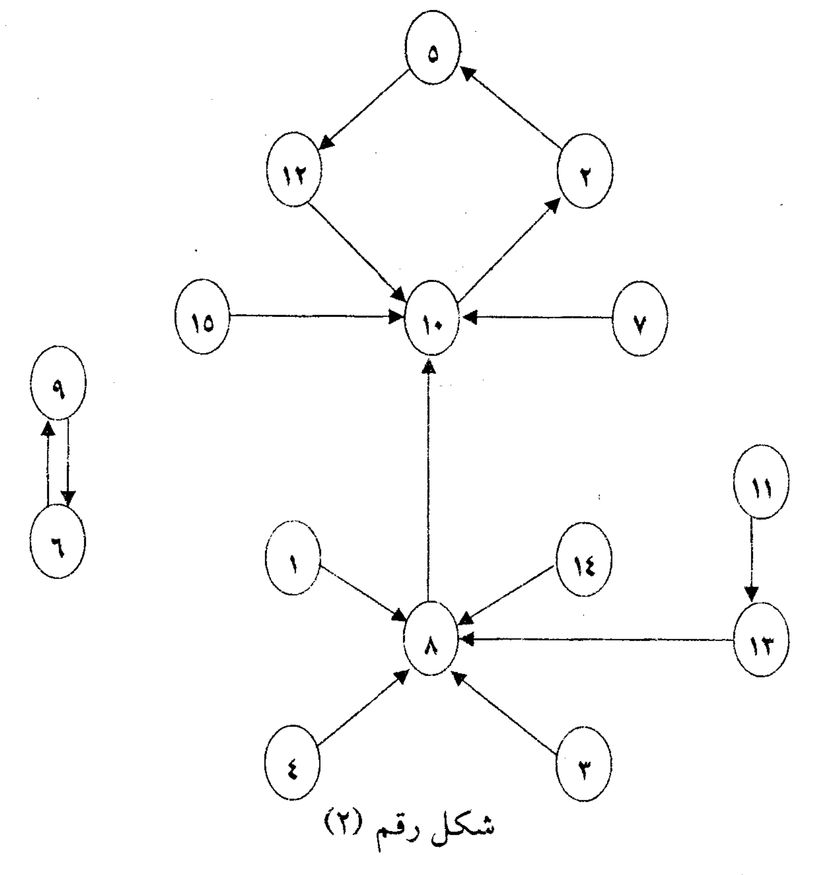
من المتبع في الاختبار السوسيومتري أنه لا يفيد حرية الفرد في اختياره لمن يشاء والشائع أن يكون حد الاختيار ٣ وقد تمتد إلى ٥ والمثال التالي يوضح العلاقات السوسيومترية لجماعة صغيرة مكونة من ١٥ طالباً من طلاب الجامعة.

حيث أن كل طالب يختار أقرب الأصدقاء إلى نفسه من بين أفراد الجماعة حسب الجدول التالي (جدول رقم ١)

وإذا رمزنا لكل طالب بدائرة تحمل رقمه ورمزنا باتجاه سهم يتجه نحو الاختيار ثم سجلنا هذه الرموز تسجيلاً يوضح تكوينها فإننا نصل إلى الشبكة الاجتماعية لجماعة الطلبة كما يبدو في الشكل (شكل رقم ٢)

رقم الطالب	الاختيار
١	٨
٢	٥
٣	٨
٤	٨
٥	١٢
٦	٩
٧	١٠
٨	١٠
٩	٦
١٠	٢
١١	١٣
١٢	١٠
١٣	٨
١٤	٨
١٥	١٠

جدول رقم (١)



شكل رقم (٢)

٢- العلاقات السوسيومترية.

تكشف الشبكة الاجتماعية عن أهم أنواع العلاقات منها العلاقات المتبادلة، المركزية، المتتابعة، الدائرية، المنفردة.

أ- العلاقات المتبادلة:

وتبدو في تبادل التأثير والتأثر وتبادل الاختيار مثل العلاقة الممتدة بين ٩، ٦ في شكل رقم (٢) ولقد رمزنا لهذا التبادل بخطين في نهاية كل خط سهم يتجه مرة من ٩ إلى ٦ ومرة من ٦ إلى ٩ وانتشار هذا النوع يؤدي إلى ضعف التماسك الداخلي للجماعة.

ب- العلاقات المركزية:

تبدو العلاقات المركزية في اختيار الجماعة لفرد واحد منها كمثل اتجاه علاقات ١، ١٣، ٣، ٤، ١٤ نحو ٨ واتجاه علاقات ٨، ٧، ١٢، ١٥ نحو ١٠ وتسفر هذه العلاقات عن زعامة ٨ وزعامة ١٠ ولكن إن زعامة ٨ تفوق على ١٠ لأن العلاقات التي تتجه إلى ٨ تزيد عن العلاقات التي تتجه إلى ١٠ ورغم ذلك فإن ٨ تستمد قوتها من ١٠.

ولهذه العلاقات أهميتها البالغة في معرفة التجمعات الداخلية للجماعة.

ج- العلاقات المتتابعة:

تبدو العلاقات المتتابعة في تتابع اختيار الأفراد ومثال ذلك ١١، ١٣، ٨، ١٠، .... ويساعد هذا التتابع على انتشار الإشاعات بسرعة داخل الجماعة.

د- العلاقات الدائرية:

مثل العلاقات الدائرية كمثل العلاقات المتتابعة تبدأ من فرد وتنتقل إلى فرد أخر وتظل في انتقالها حتى تعود إلى أول فرد مرة ثانية الذي بدأت منه ومثال ذلك ١٠، ٢، ٥، ١٢، ١٠ ويساعد على قياس نسبة المبالغات التي يضيفها كل فرد أثناء انتشار الإشاعة.

هـ- العلاقات المنفردة:

يبدو هذا النوع من العلاقات في فشل الفرد في اجتذاب الأفراد الآخرين نحوه في أية صورة كانت مثال ١، ٣، ٤، ٧، ١١ وهم ذلك يسفرون عن قصور ونقص في التكيف الاجتماعي وقد يؤدي هذا الفشل إلى السلوك اللاسوي[٩].

مصفوفات العلاقات السوسيومترية :

بالرغم من بساطة الشبكة الاجتماعية وسهولة رصد نتائجها ووضوح علاقاتها إلا إنها لا تصلح في كثير من تواجهها للتحليل الاحصائى لنتائج الاستجابات السوسيومترية من أجل ذلك فقد ظهرت الحاجة إلى رصد النتائج السوسيومترية في مصفوفة بين عمودها الرأسي الأول وبين سطرها الأفقي الأول اختيار هؤلاء الأفراد وتسجيل خلاياها نوعية اختيار كل فرد من أفراد الجماعة لغيره من الأفراد الأخرين. ومن هذه المصفوفات:

١- مصفوفة البهي.

٢- مصفوفة مسنجر.

المؤشرات الإحصائية للاستجابات السوسيومترية :

تعني المؤشرات الإحصائية المقاييس التي تبين مدى صلاحية نتائج القياس للتحليل والدراسة ومن أهم تلك المؤشرات:

١- أوزان الاختيار المتعدد.

٢- الاختيار المقصود والاختيار العشوائي[١٠].

سادساً : مزايا وعيوب الطريقة السوسيومترية.

أ- مزايا الطريقة السوسيومترية :

١- تحمل الطريقة السوسيومترية الكثير من الصدق والتلقائية.

٢- تعتمد على الدقة العلمية في اختباراتها.

٣- تتيح الفرصة للفرد لاختيار معايير كثيرة لأنها تعتمد على المرونة بصورة كبيرة في الاختبارات.

٤- إنها طريقة في البحث أكثر منه نظرية في العلم.

٥- تقوم على اكتشاف علاقات التجاذب والتنافر بين الأفراد.

ب- عيوب الطريقة السوسيومترية :

١- لا تكشف عن أسباب اختيار الأفراد لبعضهم البعض.

٢- لا تكشف عن دوافع السلوك.

٣- نسبة ثباتها ضعيفة بسبب عدم ثبات التركيب البنائي للجماعات.

٤- نسبة الثبات فيها تزداد بازدياد العمر.

٥- تعتبر أداة تشخيص فقط وليست وسيلة معالجة.

٦- لا تهتم بالتحليل الإحصائي.

٧- لا تدرس الجماعات الكبيرة نسبياً.

٨- الطريقة لها مشقة وعناء على الباحث.

٩- لا يمكن لها دراسة العلاقات الموجبة والسالبة[11].

المراجع المستخدمة

(١) شفيق رضوان، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ٢٠٠.

(2) http://knol.google.com/kl

(٣) محمود السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي: دراسات عربية وعالمية، دار النهضة العربية، المجلد رقم ١، ٢٠٠٩، ص ٢٥٢.

(٤) فؤاد البهي، سعد عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي: رؤية معاصرة، القاهرة، دار العربي، المجلد رقم ٩، ٢٠٠٦، ص ١٠٣.

(٥) محمود السيد أبو النيل، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

(6)http://webcache.googleuserontent.com/search?g=cache:na2g7D1vvMJ:faculty.ksu.edu.sa/6255/Documents/ct=clnk&gl=eg

(٧) محمود السيد أبو النيل، مرجع سابق، ص ٢٥٤.

(٨) كريس هوفمان، السوسيومتري، ٢٠٠٦م

http://www.enwikipedia.org.2007.

(9) D7g2http://webcache.googleuserconent.com/search?g=cache:na

(١٠) محمد الجوهري، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ٢٠٠٨، ص ٢٤٩.

(١١) المرجع السابق، ص ٢٤٩.

الباب الثالث

أدوات جمع البيانات

الفصل التاسع : المقابلـــة.

الفصل العاشر : الإستبيـان.

الفصل الحادى عشر : الملاحـظة.

الفصل التاسع

المقابلة

تمهيد.

تعتبر المقابلة الشخصية من أكثر وسائل الحصول على المعلومات شيوعاً وإن كانت تتفاوت فى أهميتها ونوعيتها بحسب المنهج والطريقة فالمقابلة الشخصيةتعتبر الوسيلة الأساسية للحصول على المعلومات فى كل من طريقة دراسة الحالة، والمنهج الأنثربولوجى فى حين أن دورها يختلف نسبياً فى المنهج التجريبى والمنهج التاريخى والطريقة الإحصائية التى تعتمد على معطيات رقمية بوسائل متعددة والتى قد تكون المقابلة الشخصية إحدى وسائلها. ويتوقف نجاح المقابلة على مستوى التخطيط لها من جهة، وعلى الكيفية التى تتبع فى تسجيل المعلومات والبيانات التى تسفر عنها هذه المقابلة من جهة أخرى.

والمقابلة وسيلة لا يستغنى عنها الباحث الإجتماعى فالظواهر الاجتماعية تحتاج فى توضيحها وبحثها فى كثير من الأحيان إلى نوع معين من العلاقات بين الباحث والمبحوث يطلق عليها علاقة المواجهة Face To Face فكثير من الأسئلة والنواحى الشخصية تصل دقتها إلى درجة لا ينسى معها الحصول منها على بيانات إلا فى مقابلة يقوم بها أخصائى مدرب، والمقابل المدرب هو الذى يستطيع ان يكتشف مدى صدق ما يسمعه من إجابات ويحصل من المبحوث على أكبر قدر منها.

وتعد المقابلة من أهم وسائل جمع البيانات وأكثرها إستخداماً نظراً لمميزاتها المتعددة ولمرونتها، هذا بالإضافة إلى الإعتماد عليها اعتماداً كلياً فى المجتمعات التى تنتشر فيها الأمية[1].

والمقابلة وسيلة من أهم وسائل جمع البيانات فى البحث الاجتماعى لأنها تجمع بين مميزات أدوات البحث الأخرى كالملاحظة، وإستمارة البحث ولقد أستخدمت المقابلة كأداة أساسية لجمع

البيانات فى كثير من العلوم الاجتماعية، وبعض العلوم الطبيعية، وتفيد بشكل مباشر فى المراحل الأولى للبحث فى الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة وفى تنمية الفروض والتعرف على بعض القضايا المثيرة للإستبصار وتعد المقابلة من أكثر ادوات البحث الاجتماعى مرونة بحيث تسمح للباحث ملاجظة الموقف الكلى الذى تجرى فيه المقابلة وتوضع ما قد يكون غامضاً من أسئلة المبحوثين[٢].

أولاً: تعريف المقابلة. (Interview)

لا شك أن المقابلة من الادوات الهامة التى يستخدمها المتخصص فى البحث الاجتماعى، كما يستخدمها الإنسان العادى فى حياته العامة. فكثيراً ما تستخدم المقابلة فى الحصول على معلومات أو إجابات عن أسئلة معينة لدى عامة أفراد المجتمع، إلا أن المقابلة التى تستخدم فى البحث العلمى المتخصص تختلف عن المقابلة التى تتم بين الأفراد العاديين[٣].

ولقد تعددت تعريفات المقابلة أو الإستبار ومن هذه التعريفات:

تستخدم كلمة الإستبار بدلاً من كلمة المقابلة ويرجع ذلك إلى الأصل اللغوى للكلمة، فالإستبار من يبر وأسبر وأستبر الجرح أو البئر أو الماء أى إمتحن غوره ليعرف مقداره وإستبر الأمر جربه وإختبره.

ويعرف "بنجهام" المقابلة بانها " المحادثة الجادة المواجهة نحو هدف معين، غير مجرد الرغبة فى المحادثة لذاتها"، وهذا التعريف ينطوى على عنصرين رئيسين هما:

١. المحادثة بين شخصين أو اكثر فى موقف مواجهة، ويرى "بنجهام" أن الكلمة ليست هى السبيل الوحيد للإتصال بين الشخصين

فخصائص الصوت وتعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام؛ كل ذلك يكمل ما يقال.

٢. توجيه المحادثة نحو هدف معين، فالمقابلة تختلف عن الحديث العادى فى أن الحديث قد لا يستهدف شيئاً أو قد يرمى الإنسان من ورائه إلى تحقيق لذة يجتنبها من حديثه إلى الآخرين، أما المقابلة فهى محادثة جادة موجهة نحو هدف معين، ووضوح هذا الهدف شرط أساسى لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث[٤].

ويعرف "انجلش وأنجلش" المقابلة بأنها "عبارة عن محادثة موجهة يقوم بها فرد مع أخر، أو أفراد وآخرين هدفها إستثارة انواع معينة من المعلومات لإستغلالها فى بحث علمى أو الإستعانة بها على التوجيه والتشخيص والعلاج"[٥].

وبذلك نجد أن تعريف "انجلش و انجلش" لا يختلف عن تعريف "بنجهام" فى تحديده لخصائص المقابلة إلا أنه يتميز عنه فى تحديد الأهداف الأساسية للمقابلة وهى:

١. جمع الحقائق لغرض البحث.
٢. الاستفادة بها فى التوجيه والتشخيص والعلاج.

كما يعرف "ماكوبى وماكوبى" المقابلة بأنها "تفاعل لفظى يتم عن طريق موقف مواجهة يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستثير معلومات أو آراء أو معتقدات شخص آخر، أو أشخاص آخرين بالإضافة إلى حصوله على بعض البيانات الموضوعية الأخرى".

وتعرف "بولين يونج" المقابلة بأنها " طريقة منظمة يتمكن الفرد من خلالها أن يسبر غور حياة فرد آخر غير معروف له نسبياً كما أنها تعتقد أن هذه الوسيلة تعتبر الوسيلة المثلى للباحث الاجتماعى".

وتـرى "بيـاتريس ويـب" أن المقابلـة بالنسـبة للباحـث الاجتماعى فى عمليات الإستقصاء والبحث تعادل أنبوبة الإختبار التى يستخدمها الكيميائى فى معمله أو الميكرسكوب الذى يستخدمه البكتريولجى فى إكتشافاته".

كما يذكر" بوجاردس" أنه لا يمكن فهم المواقف الاجتماعية إلا إذا توصلنا إلى معرفة الإتجاهات والقيم الإنسانية، ولا يمكننا التعرف على هذه الإتجاهات والتغير الحادث فيها إلا عن طريق المقابلة الشخصية[٦].

وعلى ذلك فإن المقابلة هى تفاعل اجتماعى يفضى إلى إنتقال المعلومة من الشخص موضوع المقابلة (المبحوث) إلى الشخص القائم بالمقابلة أو الباحث[٧].

والمقابلة أو الإستبار هى "محادثة بين باحث أو إخبارى بهدف الحصول على بيانات وهناك عدد من العلوم الاجتماعية تستخدم الإستبار كأحد أدوات جمع البيانات"[٨].

وغالباً ما تتحقق أهدافنا فى الدراسة الميدانية وبخاصة فيما تعلق بالمسوح الاجتماعية بإتباع طريقتى "المقابلة" و"الاستخبار"، وهذا ما تتطلبه الحياة فى مجتمع متغير ويغلب عليه التطور التكنولوجى السريع والتغير الثقافى الهائل، ويمكن تعريف المقابلة بأنها لقاء مباشر بين فردين وجهاً لوجه وتتحقق طريقة المقابلة فى الدراسات الميدانية عن طريق أسئلة يلقيها السائل لمعرفة رأى المجيب فى موضوع محدد بالذات أو الكشف عن اتجاهاته الفكرية ومعتقداته الدينية، ومن ثم تكون المقابلة فى ذاتها هى تبادل لفظى بين السائل والمجيب، أو أنها على حد تعبير "وليام جود" عملية من عمليات التفاعل الاجتماعى.

وكما تستخدم المقابلة فى علم الاجتماع تستخدم أيضاً فى علم النفس العلاجى وتسمى المقابلة فى الدراسات السيكولوجية باسم "المحاوره العلاجية"، وهنا تكون المقابلة تلقائية حيث توضع الأسئلة حسب وارد الخواطر على إعتبار ان ظروف المقابلة ليست محددة من قبل ولكن المقابلة فى علم الاجتماع وبخاصة فى ميدان المسح الاجتماعى إنما تختلف عنها فى علم النفس التحليلى أو المرضى حيث تكون المقابلة فى البحث الميدانى محددة أصلاً كما تكون الأسئلة مقننة.

وطريقة المقابلة من وجهة النظر الميثودولوجية هى أداة من الادوات العلمية وهى وسيلة تبتدأ بها البحوث التجريبية أو الدراسات الإستطلاعية، ولذلك تكون للمقابلة وظائفها المتعددة فى البحث العلمى، فهى وسيلة لمعرفة علاقة بين متغيرين كمعرفة العلاقة القائمة بين الرئيس والمرؤوس أو بين الطالب ومدرسيه، ومن ثم تكون المقابلة دراسية إستطلاعية وهى دراسة ضرورية قبل إجراء البحث الميدانى.

ومن وظائفها كأداة من أدوات البحث التجريبى هى أنها وسيلة لجمع وتسجيل المعلومات من المجال الاجتماعى، وذلك بقصد تحقيق فرض معين بالذات أو التمهيد لدراسة بحث تجريبى أو القيام بتجربة أنثربولوجية حقلية حيث تعتبر المقابلة وسيلة حقلية لإيضاح بعض النتائج التجريبية التى يكون معناها مازال مبهماً غامضاً ولذلك قد نلجأ إلى طريقة المقابلة لتوضيح ما خفى من معنى. وهى الوظيفة الثالثة كطريقة لإيضاح بعض النتائج والتجارب سواء فى ميدان علم الاجتماع أو فى حقل الدراسة الأنثربولوجية[٩].

وبذلك فإن المقابلة هى :

"حوار لفظى وجهاً لوجه بين باحث قائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو مجموعة أشخاص آخرين، وعن طريق ذلك يحاول القائم بالمقابلة الحصول على المعلومات التى تعبر عن الآراء أو الإدراكات أو المشاعر أو الدوافع أو السلوك فى الماضى والحاضر.

وتسهم المقابلة فى المراحل الأولى من البحث فى الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة وفى تنمية الفروض وفى إلقاء الضوء على الإطارات المرجعية لإستجابات أفراد التجربة وتمتاز المقابلة عن غيرها من أدوات البحث الاجتماعى بأنها أكثر مرونة وبأنها تيسر لدرجة أكبر ملاحظة المبحوث والتعمق فى فهم الموقف الكلى الذى يستجيب فيه للمقابلة[١٠]. ومن العرض السابق لتعريفات المقابلة يمكن أن نحدد الخصائص الجوهرية للمقابلة فيما يلى:

١. التبادل اللفظى الذى يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وما قد يرتبط بذلك التبادل اللفظى من إستخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام.
٢. المواجهة بين الباحث والمبحوث.
٣. توجيه المقابلة نحو غرض واضح محدد وهذا يجعلها تختلف عن الحديث العادى الذى قد لا يهدف إلى تحقيق غرض معين[١١].

ومن هذا كله يمكن أن نستخلص تعريفاً للمقابلة على أنها " محاورة لفظية بين باحث قائم بالمقابلة وبين مبحوثين بغرض الحصول على معلومات محددة حول موضوع محدد لمعرفة آراء وأفكار ومعتقدات ومشاعر المبحوث نحو موضوع معين فى موقف اجتماعى معين متبعاً فى ذلك إجراءات وترتيبات معينة.

ثانياً: عناصر المقابلة وتطورها.

(أ) عناصر المقابلة.

إن المقابلة كموقف إجتماعى وهو لفظى يتم بين باحث ومبحوثين يتم بينهم تفاعل فى موقف المقابلة فإنها بذلك تتكون من ثلاث عناصر رئيسية هى: القائم بالمقابلة (Interviewer) والمبحوث (Interviewee) وموقف المقابلة (Interview situation) وهناك إرتباط وثيق بين هذه العناصر الثلاثة على نحو يؤثر فى النتائج العامة للمقابلة، ويتوقف نجاح المقابلة إلى حد كبير على مهارة القائم بها ومدى فهمه لدوافع السلوك ومبلغ وعيه وإدراكه لمختلف العوامل فى الموقف المحيط به والتى يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفاً سلبياً من الباحث أو إلى إعطاء بيانات محرفه لا تتسم بالصدق والثبات[١٢].

ونظراً لإرتباط هذه العناصر إرتباطاً وثيقاً بعضها البعض فإنه يصعب مناقشة هذه العناصر على حده نظراً لهذا الإرتباط فالباحث هو الشخص القائم بالمقابلة الذى يريد الحصول على معلومات حول موضوع معين والمبحوث هو الشخص المفحوص من قبل الباحث الذى يكون مصدر المعلومات للباحث حول موضوع محدد، وموقف المقابلة هو الموقف الذى يتفاعل فيه الباحث مع المبحوث فى وقت وماكن محدد للحصول على المعلومات وهذا الموقف يشمل جوانب ملموسة طبيعة وجوانب تجريدية.

فالجوانب الملموسة تتضمن: مكان المقابلة، منزل المفحوص، مكان عمله، مكان عام أو غيره... كذلك الأفراد الذين يتصادف وجودهم أثناء المقابلة، كذلك الأدوات والتجهيزات المساعدة مثل الإضاءة أو إستمارة المقابلة هذا بالإضافة إلى الحالة البدنية للباحث

والفرد المفحوص فمثلاً لو كان المفحوص صماً أو ثقيل السمع يجعل موقف المقابلة يبعث على الملل.

أما الجوانب التجريدية فتشمل: علاقة الباحث بالمبحوث، ومجالهما الذهنى والفكرى، فكلاهما لديه مفهوم وصورة معينة عن الآخر وكلاهما يسلك فى مجال إطار مرجعى كونه لنفسه من خلال موقف المقابلة، ولو أن كلاهما لا يظهر شعوره تجاه الآخر ولكن قد يؤثر شعورهما الدفين على نتائج المقابلة إلى حد كبير فكلاهما يجمعها موقف واحد لتحقيق هدف معين وعلى ذلك فهدف كل منهما فى إطار موقف المقابلة يختلف عن الآخر، فالباحث يهدف الحصول على البيانات اللازمة لبحثه والفرد المفحوص يستجيب للباحث لهدف أو لآخر فى نفسه مثلاً، حب الإستطلاع، الشعور بالرضا نتيجة التحدث مع الباحث، مساعدة الباحث لتأدية مهنته[١٣].

ولقد حدد "كاهن وكانل" عدداً من المتغيرات التى يمكن ان تفيد فى تحليل موقف المقابلة بإعتبارها تعبر عن عملية إجتماعية تجرى بين الباحث والمبحوث، وهذه المتغيرات هى:

- السلوك الإنسانى متجه نحو تحقيق الهدف.
- طالما أن الحاجة أو الرغبة ترتبط عند الفرد بهدف معين يسعى إلى تحقيقه فإن لديه بعض القوى التى تنشأ بداخله وتحفزه نحو التحرك صوب الهدف.
- هذا الإرتباط بين الحاجة والهدف عندهما نسميه الدافع.
- إن السلوك لن يحدث فقط بعد أن يجد أمامه طريقاً يؤدى إلى هدف يسعى لتحقيقه.
- هناك دائماً أكثر من طريق واحد لتحقيق الأهداف التى يسعى الفرد إليها.
- وتختلف هذه الطرق فيما يتعلق بمدى إشباعها لأهدافه.

- إن الطريق الذى سيختاره الفرد يعتمد على مدى إمكانياته فى تحقيق أهدافه والصعوبات التى قد تواجهها الطرق الأخرى.
- الإدراك يختلف بإختلاف الأفراد وفقاً لخبراتهم وشخصياتهم الخاصة.
- يمكن فهم الفروق فى الإدراك بين الأفراد فى ضوء المجال السيكولوجى للفرد وبخاصة حاجاتهم الخاصة.
- فنحن حينما ندرك موضوعاً او موقفاً نربطه بخبراتنا فالإدراك عملية استقاء وظيفى(١٤).

(ب) تطور المقابلة.

من الجدير بالذكر أن المقابلة كأداة للبحث قد تطورت نتيجة عاملين هما:

١- المقابلة الإكلينكية:

لقد تطورت هذه المقابلة عن طريق تقارير الاطباء والأخصائيين النفسيين والمعالجين عن الحالات التى كانت تفرض عليهم ورغم أن الهدف الأساسى لهؤلاء كان هو التشخيص والعلاج أكثر منه تصنيف البيانات، إلا أن المقابلة الاكلينيكيه كان لها أثر بالغ فى توضيح قيمة المقابلة كأداة للبحث وجمع البيانات.

٢- حركة القياس السيكولوجى:

كان لتطور حركة القياس السيكولوجى وإهتماماتها بالتقنين أثربالغ فى إكساب المقابلة كطريقة للبحث طابعاً موضوعياً(١٥).

ثالثاً: مجالات إستخدام المقابلة وأهميتها.

لا جدال فى أن المقابلة تعد من الوسائل الهامة فى عمليات جمع البيانات والمعلومات على إختلاف أنواعها والهدف منها. ولقد إحتلت المقابلة هذه المكانة خاصة فى البحث العلمى نظراً لما تمتاز به من سهولة ومرونة فى موقف المقابلة الذى يتسم البعد عن التكلف

والقيود والشكليات، وكلما كان موقف المقابلة مرناً كلما شجع المبحوث على التعاون مع الباحث والتعبير عن نفسه أو عن آرائه وإتجاهاته بحرية دون تحيز، وتكمن أهمية المقابلة أيضاً فى تغلغلها فى كافة جوانب الحياة الاجتماعية، وهذا فضلاً عن إستخدامها لأغراض بحثية متنوعة ويمكن الإشارة إلى أهم مجالات إستخدام المقابلة على النحو التالى:

(١) مجال الحياة العامة:

كثيراً ما نستخدم المقابلة فى مجال حياتنا العامة، فهى تشغل جانباً كبيراً من حياة كل فرد فى المجتمع تقريباً، فالمدرس يقابل تلاميذه فى قاعة الدرس، ويقابل أولياء الأمور لمعرفة المستوى الدراسى لأبنائهم والمحامى يقابل عملائه ممن لديهم مشاكل قضائية والطبيب يقابل مرضاه فى عيادته أو فى منازلهم ومدير العمل يقابل الموظفين، والعمال لمعرفة مشاكل العمل، وينطبق ذلك على كل فئات المجتمع، وجدير بالذكر أن لكل فئة من الفئات السابقة أسلوبها الخاص فى المقابلة وإلمامها بالأسس والمبادئ أو الأساليب التى تساعد على نجاحها فموقف المقابلة الذى يجمع بين طبيب ومريض أو بين رجل شرطة وأحد المجرمين سوف يختلف عن طبيعة موقف المقابلة بين رجل دين وأحد أتباعه أو مريديه.

(٢) مجال البحث العلمى:

تستخدم المقابلة فى كثير من مجالات البحث العلمى كمجال للبحوث الاجتماعية والخدمة الاجتماعية والتعليم والأدارة والطب وعلم النفس الاجتماعى، والأمن والقانون والتجارة والصناعة وغيرها من مجالات البحث العلمى. فتستخدم المقابلة كأداة أساسية فى غالبية المسوح الاجتماعية سواء كانت فى مجال علم الاجتماع أو الأنثربولوجيا وتعد المقابلة وسيلة أساسية أيضاً فى بحوث السكان ومسوح الرأى العام والوعى الصحى وغيرها.

(٣) **مجال التشخيص والعلاج:**

تعد المقابلة أحد الوسائل فى المجال الطبى فلا غنى عنها لدى الأطباء فى تشخيص المرض وتحديد أساليب العلاج كما لا غنى عنها لدى الاطباء النفسيين والعاملين فى العيادات النفسية، وكذلك تعد وسيلة ضرورية للأخصائيين الاجتماعيين فى مقابلة الذين يعانون من مشاكل اجتماعية سواء فى مجال المدرسة أو بيئة العمل فالمقابلة التشخيصية أساس العلاج الناجح فى المجال الطبى والتربوى والاجتماعى.

(٤) **مجال المهارات والقدرات الخاصة.**

تستخدم المقابلة كوسيلة أساسية فى عمليات الإختبار والإنتقاء للمتقدمين لطلب وظائف معينة أو المتقدمين لطلب الدراسة فى الكليات والمعاهد العسكرية أو المتقدمين لدراسة علوم معينة تتطلب مهارات خاصة ككليات ومعاهد الفنون والعمارة وغيرها.

رابعاً: انواع المقابلة.

لا جدال فيما تحتله المقابلة من أهمية خاصة بين أدوات البحث الأخرى، حيث لا يقف استخدامها عند حدود تخصص معين أو علم من العلوم الاجتماعية، ومن ثم تتنوع المقابلة بتنوع التخصصات المختلفة من ناحية وتنوع الهدف منها ودرجة وعدد المتواجدين فى موقف المقابلة من ناحية أخرى، ولقد ظهر الكثير والكثير من التصنيفات لأنواع المقابلة من أهمها[١٦]:

(أ) **تصنيف "بولين يونج":**

ويتم التصنيف وفقاً للدور الذى يؤديه كل من الباحث والفرد المفحوص فى المقابلة وتقترح التصنيف التالى:

- **المقابلة غير الموجهة:** ويطلق عليها أيضاً المقابلة البسيطة ويتميز هذا النوع بعدم تحديد أسئلة أو فئات إستجابات لها مقدماً.
- **المقابلة البؤرية:** وهى طبقاً "لميرتون وفيك وكندال" تهدف إلى تركيز اهتمام العميل على خبرة معينة وعلى آثار معينة.
- **المقابلة المتكررة:** وهذا النوع يعنى تكرار المقابلة للوقف على تغير معين أو تطور أو نمو لشئ ما(١٧).

ويمكننا هنا الإشارة إلى أكثر انواع وتصنيفات المقابلة إنتشاراً حيث تصنف المقابلة كالتالى:

أ- تصنيف المقابلة من حيث الهدف منها:

(١) المقابلة لجمع البيانات.

وهى المقابلة التى يسعى فيها الباحث للحصول على معلومات أو بيانات معينة من عينة معينة كالمقابلات التى تستخدم فى البحوث المسحية وبحوث دراسات الحالة وغيرها. ويفيد هذا النوع من المقابلات فى وصف وتفسير واقع اجتماعى أو إقتصادى محدد وغالباً ما يستخدم هذا النوع من المقابلات فى الحصول على معلومات وبيانات تتصل بآراء الأفراد وإتجاهاتهم نحو موضوعات محددة ويستخدم هذا النوع من المقابلات فى البحوث الكشفية أو الإستطلاعية بهدف التعرف على الأبعاد الأساسية للمشكلة موضوع الدراسة، كما تستخدم أيضاً فى عمليات الإختبار المبدئى عند تصميم إستمارة البحث.

(٢) المقابلة التشخيصية.

يشيع إستخدام هذا النوع من المقابلات لدى العاملين بالمهن الطبية والنفسية والاجتماعية (الأخصائى الاجتماعى) حيث تستخدم المقابلة التشخيصية فى تشخيص حالات العملاء من المرضى وذوى

المشكلات الاجتماعية المختلفة ويسعى القائمون بهذه المقابلات إلى التعرف على أبعاد المرض أو المشكلات الاجتماعية وأسبابها المختلفة.

(٣) المقابلة العلاجية.

تأتى المقابلة العلاجية كمرحلة تالية للمقابلة التشخيصية خاصة فى دراسة المشكلات الاجتماعية، وقد تتزامن المقابلة العلاجية مع المقابلة التشخيصية فى موقف مقابلة واحد كما هو الحال فى الموقف الذى يجمع بين الطبيب والمريض العضوى. وبصفة عامة أن الهدف من المقابلة العلاجية هو رسم خطة لعلاج العميل وتخفيف حدة التوتر الذى يشعر به مع الإستفادة من إمكانيات البيئة الاجتماعية المحيطة وعموماً هناك تداخل واضح بين الأنواع الثلاثة السابقة من المقابلة فالمقابلة العلاجية مثلاً تعتمد اعتماداً كبيراً على نتيجة المقابلة التشخيصية والمقابلة التشخيصية بدورها لا يمكن أن تكون دقيقة إلا إذا اعتمدت على بيانات ومعلومات يمكن الحصول عليها من النوع الأول للمقابلة.

(٤) المقابلة التوجيهية.

وهى المقابلة التى تستخدم فى أغراض التوجيه والإرشاد والنصح والإستشارة سواء اكان هذا التوجيه تربوياً أو نفسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أودينياً وغير ذلك.

(٥) المقابلة الإختبارية

يكثر إستخدام هذا النوع من المقابلات فى ميادين عديدة من الحياة الاجتماعية والهدف الأساسى من هذه المقابلة هو إختبار من تجرى مقابلته أو قياس معارفه أو قدراته أو ميوله وإتجاهاته او قوة شخصيته ويستخدم هذا النوع من المقابلات فى إختبار القبول للكليات والمعاهد الاكاديمية بصفة خاصة، كما يستخدم أيضاً فى إختيار الموظفين المتقدين لشغل وظائف معينة يتم الإعلان عنها مسبقاً[١٨].

(ب) التصنيف من حيث عدد المبحوثين:

(١) المقابلة الفردية.

تجرى معظم المقابلات فى موقف خاص مع فرد واحد فى نفس الوقت لكى يشعر بالحرية فى التعبير عن نفسه تعبيراً كاملاً وصادقاً وهى التى تتم بين القائم بالمقابلة وبين شخص واحد من المبحوثين ويتطلب هذا النوع من المقابلة الكثير من النفقات والوقت والجهد، ورغم ذلك فهو النوع الأكثر شيوعاً فى الدراسات النفسية والاجتماعية.

(٢) المقابلة الجماعية:

وهى التى تتم بين الباحث وبين عدد من الأفراد فى مكان واحد ووقت واحد مستخدم هذا النوع من المقابلة لتوفير الوقت والجهد وللحصول على معلومات أوفر ذلك لأن اجتماع عدد من الأفراد يساعدهم على تبادل الخبرات والآراء وتذكر التفاصيل التى قد تغيب عن أذهان بعض الأفراد إذا اجريت معهم مقابلات على المستوى الفردى ثم إن وجود أفراد معاً يهيئ لهم فرصة المشاركة فى المناقشات الجماعية والتعبير عن آرائهم.

ومن الشروط الواجب توافرها فى تكوين الجماعة ألا يكون حجمها كبيراً إلى الدرجة التى يتعذر فيها على بعض الأعضاء الاشتراك فى المناقشات الجماعية، كما ينبغى أن يتوافر فيها أكبر قدر من التجانس بين أعضاء الجماعة سواء من ناحية النوع أو السن أو المستوى الاقتصادى أو الثقافى.

أما بالنسبة لسير المناقشة الجماعية فينبغى أن يأخذ القائم بالمقابلة فى الاعتبار جميع الأفكار التى تثار حتى التى تبدو لأول وهلة تافهة أو بعيدة عن الموضوع لأنها قد تنفع فى استثارة أفكار أخرى لدى أفراد آخرين، وإذا كان بعض أفراد الجماعة هادئين ساكنين

بطبيعتهم أو يشعرون بالعزلة أو الشعور بالاستعلاء فإن على القائم بالمقابلة أن يخلق الحافز الذى يدفعهم لمشاركة والمناقشة وإبداء الرأى وإذا أراد بعض الأعضاء احتكار المناقشة أو فرض آرائهم على المجموعة فعلى القائم بالمقابلة أن يعالج الأمر بلباقة ليسمح للجميع بالمساهمة فى الرأى كما يجب عليه ألا يسمح بظهور معسكرات متضاربة فى الرأى أو وجود مناقشات جماعية جانبية بين الأفراد حتى لا تتشتت المجموعة فلا تؤدى المقابلة أهدافها كما ينبغى ألا تشمل المقابلة الجماعية على بعض الموضوعات المحرجة لبعض الأفراد حتى تسير المقابلة فى جو طبيعى[١٩].

(ج) تصنيف المقابلة حسب درجة المرونة.

يمكن تصنيف المقابلة حسب درجة مرونتها إلى مقابلة مقننة ومقابلة غير مقننة ومقابلة بؤرية غير موجهة والمقصود بالتقنين هو مدى حرية الباحث فى إلقاء الأسئلة وصياغتها وترتيبها.

(١) المقابلة المقننة:

يتوجه الباحث فيها لإجراء عملية الاستبار ومعه قائمة أسئلة قامت هيئة البحث بتصميمها من قبل لهذا الغرض وهو فى هذه الحالة مقيداً بالأسئلة الواردة فى هذه القائمة كما أنه مقيداً كذلك بالتعليمات المرفقة بها[٢٠].

وفى هذا النوع من المقابلة يقوم الباحث بتحديد أسئلة المقابلة سلفاً وصياغتها بالأسلوب الذى يتفق مع الأسلوب والمستوى الثقافى للمبحوثين وترتيبها بالشكل الذى يخدم اغراض البحث ويقوم الباحث بتوجيه الأسئلة إلى جميع المبحوثين بنفس الأسلوب وبنفس التدريب. وتدوين الإجابات أيضاً بنفس الأسلوب الذى يجيب فيه المبحوثين على الأسئلة المفتوحة، كذلك تعين الاجابات التى يشير إليها فقط المبحوثين بالنسبة للأسئلة المقفولة. وغالباً ما يتم تدريب

الباحثين على هذا النوع فى المقابلات ووضع قائمة من التعليمات التى يلتزم بها كل الباحثين فى جميع مقابلاتهم وتفيد عملية التقنين فى إمكانية القيام بمقارنات دقيقة للمعلومات التى يدلى بها المبحوثين طالما أن أسلوب القياس واحد وأن الأفراد يستجيبون لنفس الأسئلة ويخضعون لنفس الظروف بقدر الإمكان أثناء المقابلة.

(٢) المقابلة غير المقننة.

تختلف المقابلة غير المقننة فى أنها تتسم بقدر كبير من المرونة بالنسبة للباحث أثناء موقف المقابلة فعلى الرغم من أن الباحث يقوم بإعداد أسئلة كلا النوعين سبقاً إلا أنه لا يسمح له بتعديل أو تبديل الأسئلة فى المقابلة المقننة بينما يسمح له بذلك فى غير المقننة حيث بإمكانه تغيير صيغة الأسئلة وإضافة أسئلة جديدة وحذف بعض الأسئلة التى يرى أنها تثير مخاوف أو قلق أو حرج المبحوثين ولقد استخدم هذا النوع فى البحوث الأنثربولوجية والسوسيولوجية خاصة فى الدراسات الاستطلاعية وفى الفحوص الإكلينيكية السيكولوجية وفى الحصول على بيانات متعمقة عن الاتجاهات والقيم والدوافع الاجتماعية، ويحتاج هذا النوع إلى مهارة عالية من الباحثين المدربين وخبرة فى مجال البحث ولكن يعاب عليها صعوبة تحليل نتائجها بشكل كمى وطول الوقت الذى تستغرقه[٢١].

(٣) المقابلة البؤرية.

فى هذا النوع من المقابلات تكون الوظيفة الأساسية للباحث هى تركيز الاهتمام على خبرة معينة صادفها الفرد وعلى آثار هذه الخبرة ويحدد الباحث مقدماً المواضيع أو الجوانب المختلفة للسؤال الذى يرغب فى مناقشته والتى يستنبطها من مشكلة البحث أو من تحليله لموقف أو خبرة شارك فيها الفرد المبحوث ومن فروضه المبنية على نظرية اجتماعية أو نفسية وللباحث الحرية فى توجيه أسئلة

بالتدريب الذى يترائى له كذلك فى توجيه بعض الأسئلة عن النقاط التى لم يتوقعها فى إجابة المبحوث وبديهى انه كلما زادت خبرة الباحث بموضوع المقابلة كلما تيسر له إعداد جدول المقابلة فالباحث فى هذه المقابلة يبذل جهداً لمعرفة الآثار الخاصة التى أحدثتها خبرة مشاهد المبحوث لمسرحية أو قراءة كتاب وعلى الباحث فى هذه المقابلة أن يسمح للمبحوث أن يعبر عن نفسه تعبيراً كاملاً على أن يوجه الباحث خط تفكيره وهذه المقابلة أقل شيوعاً من المقابلة غير الموجهة.

(٤) المقابلة غير الموجهة.

فى هذا النوع من المقابلة يكون الفرد المبحوث أكثر حرية فى التعبير عن مشاعره ودوافعه وسلوكه بدون توجيه معين من الباحث فدور الباحث هنا قاصر على توجيه بعض الأسئلة للفرد بدون تحديد اتجاهاً معيناً أثناء إجابته ويقوم الباحث أثناء المقابلة بتشجيع الفرد على سرد ما يحلو له ويتطلب هذا خلق جوانب الثقة والطمأنينة حتى يشعر الفرد بحريته المطلقة أثناء المقابلة[٢٢].

وهذه المقابلة غير الموجهة أكثر أنواع المقابلات بعدا عن التقنين حيث يكون الهدف منها هو دفع المبحوث إلى الحديث عن نفسه بل واستمرار الحديث ومن ثم نترك له حرية كاملة للكلمة والتعبير ويشيع هذا النوع من المقابلة فى العلاج النفسى بصفة خاصة ولو أن استخدامها فى مجال البحوث الاجتماعية محدود إلا فيما يعرف باسم الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية.

والمقابلات المركزة أى البؤرية وغير الموجهة هى من المقابلات غير المقننة والتى يشيع استخدامها فى المراحل الأولى أو الاستطلاعية للبحث كما تستخدم وبنفس الكفاءة فى الدراسات المركزة التى يتطلب فهما أكثر عمقاً لموضوع البحث[٢٣]. وبذلك تتعدد تصنيفات المقابلة تبعاً للغرض منها ودور كل من الباحث والمبحوث وغيرها.

خامساً: خطوات وإجراءات المقابلة.

إذا كانت المقابلة الشخصية واحدة من أكثر الوسائل الفعالة فى الحصول على البيانات والمعلومات الضرورية، فقد تبدو هذه الوسيلة للشخص الذى لا خبرة بهذا الأسلوب شيئاً بسيطاً أو سهلاً وهى ليست كذلك فى واقع الأمر فأسلوب المقابلة ليس مجرد الإلتقاء بعدد من الناس وسؤالهم بعض الأسئلة العرضية.

إن المقابلة بالنسبة للدراسة العلمية لا يمكن أن تتم مثلاً بنفس الطريقة التى سمعها فى الإذاعة عند مقابلة المذيعين للناس على الهواء وسؤالهم بعض الأسئلة العامة والخاصة[٢٤].

وأياً كان النموذج الذى يختاره الباحث للمقابلة كأداة لجمع البيانات اللازمة للبحث فإن كفاءة هذه الأداة تتوقف على بعض الاعتبارات التى ترتبط بتصميمها وبطريقة إجرائها. والمقصود بالتصميم هو عملية تحديد نوع المقابلة التى سيجريها الباحث ووظيفتها تحديد مضمونها أى ما تشمل عليه من موضوعات تطرح للمناقشة الحرة أو أسئلة تغطى الإجابة عنها جوانب هامة للبحث هذا بالإضافة إلى تحديد نوع وأفراد العينة أى الأفراد الذين سيجرى معهم المقابلة وتدريب من يستعان به من الباحثين لإجرائها أو تطبيقها[٢٥]. ووفقاً لذلك فإنه لإجراء المقابلة كأداة لجمع البيانات يجب إتباع عدة خطوات وإجراءات كالتالى:

لا جدال فى أن المقابلة كأحد الأدوات الأساسية فى البحث العلمى الاجتماعى تحتاج لمجموعة من الإجراءات المنهجية والميدانية لضمان نجاحها وتحقيق الهدف منها ويمكن تحديد هذه المتطلبات المنهجية فى مطلبين أساسيين ومرتبطين فيما بينهم:

- **الأول:** وهو الإعداد للمقابلة وما تتضمنه عملية الإعداد من نواح مختلفة.

- **الثانى:** هو القيام بعملية المقابلة ذاتها أو ما يعرف بإجراء المقابلة.

أ- الإعداد للمقابلة :

تشمل عملية الإعداد للمقابلة عدة أمور أهمها:

١- تحديد موضوع المقابلة والهدف منها :

يعد تحديد موضوع المقابلة والهدف منها أولى خطوات الإعداد للمقابلة وفى ضوء الموضوع يستطيع القائم بالمقابلة تحديد نوعية المقابلة ذاتها التى سوف يستخدمها فى البحث وأيضاً تحديد التقنين والتوجيه.

٢- تحديد المواقف التى سوف تستخدم المقابلة من أجلها :

ولا شك أن هذه المواقف تحدد تبعاً لمشكلة البحث والهدف منه والفروض التى يسعى الباحث فى اختبارها إذا كان البحث من النوع الذى يختبر فروضاً.

٣- تحديد عينة البحث :

وهم الأفراد الذين سوف يجرى معهم الباحث المقابلات وفى البحوث الاجتماعية لابد أن تخضع عملية اختيار العينة للشروط المنهجية المتعارف عليها فى تحديد حجم العينة وأسلوب سحبها أو مدى تمثليها للمجتمع الأصلى وينبغى أن يقوم الباحث بتحديد أفضل للاماكن لأجراء المقابلات وأنسب الأوقات التى تتلاءم وظروف المبحوثين، وهذا ما تناولناه مستبقاً

٤- صياغة أسئلة المقابلة :

تتطلب المقابلة إعداد ما يعرف بـ (دليل المقابلة) وهذا الدليل يضم مجموعة من الأسئلة تختلف درجة ترتيبها وتقنينها باختلاف نوع المقابلة وهناك أسلوبان فى صياغة أسئلة المقابلة الأسلوب الأول هو استخدام الأسئلة المفتوحة أو الأسئلة المغلقة النهايات والأسلوب الثانى هو استخدام الأسئلة المباشرة والأسئلة غير المباشرة وينبغى

على الباحث أن يراعى بعض الاعتبارات عند صياغة أسئلة المقابلة أهمها لغة الأسئلة التى يجب أن تتناسب مع المستوى الثقافى والاجتماعى للمبحوث هذا فضلاً عن تجنب الأسئلة المركبة أو التى تحمل أكثر من معنى وتجنب الأسئلة التى تثير إحراج أو حساسية المبحوث ويجب أيضاً استبعاد الأسئلة الايحائية التى توجه المبحوث إلى إجابة يرغب الباحث فيها هذا فضلاً عن تنظيم الأسئلة وتباعدها.

٥- اختيار القائمين بالمقابلة :

تعتبر هذا الخطوة من أهم خطوات الإعداد للمقابلة فإجراء المقابلة عمل فنى من الدرجة الأولى ونجاحها يتوقف إلى حد كبير على مهارة وسلوك القائم بها وقدرته على التفاعل مع المبحوثين والحصول على المعلومات التى يحتاجونها ومن ثم ينبغى إنتقاء الباحثين الذين سوف يقومون بإجراء المقابلات بدقة فى ضوء سماتهم الشخصية وخبراتهم ومدى إلمامهم بموضوع البحث هذا فضلاً عن ضرورة إعداد برنامج لتدريبهم على عملية إجراء المقابلة وفقاً لخصائص وطبيعة عينة البحث، ويؤكد "نادل وكلاكهون" ضرورة اجتماع القائمين بالتدريب على موضوعات مثل "البحث الحقلى وإجراءاته" وطرق تطبيق المقابلة والملاحظة من خلال خبرة الآخرين وأساليب تسجيل المعلومات ومبادئ العلاقات العامة.

(ب) إجراء المقابلة :

لاشك أن إجراء المقابلة هى عملية مكملة لعملية الإعداد لها فليس هناك إنفصال بين العمليتين فعلى سبيل المثال قد يلجأ القائم بالمقابلة بصياغة بعض الأسئلة التى تتطلبها مواقف المقابلة أو تعديل بعضها أو حذف بعضها الآخر أثناء عملية إجراء المقابلة وبصفة عامة هناك بعض الإجراءات أو المتطلبات التى يجب على الباحث مراعتها لنجاح المقابلة أهمها:

١- بدء المقابلة:

يتوقف جانب كبير من نجاح المقابلة على عملية بدء المقابلة فينبغى على القائم بالمقابلة أن يبدأها بمقدمة مبسطة حول موضوع المقابلة وأهميتها ولماذا اختير هذا المبحوث هذا فضلاً عن تقريب المبحوث بالقائمين بالبحث سواء أكانوا الإدارة أو هيئة علمية أو أكاديمية والتأكيد له على سرية المعلومات أو البيانات التى سوف يدلى بها وأن هذه البيانات هى فقط لأغراض البحث العلمى وتنصح "مارجريت ستاسى" القائم بالمقابلة أن يبدها بتساؤل أساسى أتستطيع مساعدتى فمثل هذا السؤال سوف يضفى على جو المقابلة نوع من الود بين القائم بالمقابلة والمبحوث مما ساعد على كسب ثقة المبحوث.

٢- تهيئة جو المقابلة:

يؤكد كافة المشتغلين بالبحث الاجتماعى على أهمية تهيئة الجو المناسب للمقابلة والذى يتمثل فى اختيار الزمان والمكان المناسبين للمقابلة وطالما أن المقابلة هى عملية تفاعل واتصال أو أخذ وعطاء وإفضاء بمعلومات دقيقة وطالما أن المبحوث يتأثر فى استجاباته بكافة عناصر مواقف المقابلة مثل البعد عن الضوضاء وعن مضايقات المقاطعات الشخصية والهاتفية، وعن الأماكن الرسمية وعن الأماكن التى لا تسمح التقاليد الاجتماع فيها كما ينبغى على الباحث أن يختار وقت المقابلة بشكل يتناسب وظروف المبحوث بعيداً عن أوقات العمل والالتزامات المنزلية.

ويعد تهيئة الجو النفسى والاجتماعى من العوامل الأساسية لنجاح المقابلة فالحفاظ على بناء علاقة ودية طيبة بين القائم بالمقابلة والمبحوث يشجع الأخير على الاستجابة وتدفعه للتفكير فيما يقول إلى الإفصاح عما لديه بمعلومات عن موضوع المقابلة وتبعث لديه

الشعور باحترام الذات والثقة بالنفس والطمأنينة وتبعد عنه مشاعر الخجل والتردد كما يجب على الباحث أن يتجنب كل ما يسبب إحراج المبحوث أو يؤدى إلى قلقه وتوتره النفسى وأن يتجنب مقاطعته أثناء الحديث إلا للتعليق الخفيف وأن يتجنب اتهامه بأنه يخفى حقائق وأن يتجنب إصدار أحكام قيميه على من يقابله وعلى إجاباته[٢٦].

٣- توجيه الأسئلة:

- ينبغى ألا يبدأ القائم بالمقابلة بتوجيه أسئلة منصبه على الموضوع رأساً فقد تثير هذه بعض جوانب الخوف والمقاومة لدى المبحوث ويفضل أن تكون الأسئلة الأولى من النوع الذى يثير اهتمام المبحوث، تليها أسئلة متخصصة لها صلة وثيقة بموضوع البحث ثم أسئلة أكثر تخصصاً مع مراعاة أن يكون التدرج فى توجيه الأسئلة متمشياً مع تدرج العلاقة الودية التى تنشأ بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.
- لكى يحصل الباحث على الفائدة الكافية ينبغى إجراؤها بطريق المناقشة فلا تلقى الأسئلة بطريقة جامدة.
- ينبغى على القائم بالمقابلة أن يوجه الأسئلة برفق متجنباً أسلوب التحقيق ومراعاة حالة المبحوث فقد يكون المبحوث من الأشخاص الذين يتكلمون ببطء أو من الذين يتكلمون بسرعة كبيرة جداً لدرجة أنهم يمضغون الكلمات وفى مثل هذه الحالات يجب أن يمنح القائم بالمقابلة الشخص الذى أمامه الفرصة الكاملة التى تجعله لا يشعر بسرعته الخاصة.
- لا يجب توجيه أكثر من سؤال فى وقت واحد حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع أفكاره بالنسبة لكل سؤال وأن ينظم إجاباته تنظيماً دقيقاً.

- فـى حالـة اسـتخدام المقابلـة غـير المقننـة ينبغـى توجـه الأسـئلة بالطريقة التى يفهمها المبحوث وقد يعد الباحث أن من الأنسب تفتيت السـؤال الواحـد إلى جملـة أسـئلة ليسـتطيع اسـتخلاص البيانات من المبحوث حسب المستوى الثقـافى، أمـا فـى المقابلـة المقننة فينبغى توجيه الأسئلة بنفس الترتيب مع جميع المبحوثين.
- إذا لم يفهم المبحوث المعنى المقصود من أحد الأسئلة فينبغى على القائم بالمقابلة أن يعيد السؤال بتـأن مـع تأكيـد بعـض الاجـزاء الهامة فإذا استمر المبحوث فى عدم فهمه للسؤال فيمكن الانتقـال للسؤال الذى يليه.
- يجب أن يظل القائم بالمقابلة ممسكاً بزمام المناقشـة بحيـث يوجههـا إلى الناحية التى تحقق أهـداف البحـث دون أن يـترك للمبحـوث فرصة بوجهه كما يشاء. ويجب أن يحصل على إجابة لكل الأسـئلة فإذا وجد أن البحوث قد أجاب عـن هـذا السـؤال سـابقاً فعليـه التمسك به للتأكد من صحة الاجابة الأولى[٢٧].

٤- الحصول على الإجابة

يجب على الباحث الحصول على إجابات لجميـع الأسـئلة وان يستكمل مـن المبحـوثين بعـض المعلومـات التـى يـرى انهـا ناقصـة وضرورية للبحث وعليه أن يتجنب الإيحاء بإجابـات معينـة وأن يعيـد الصفاء لكل ما يقول وأن يمنحه الفرصة الكاملة ليقول ما يريد[٢٨].

٥- تسجيل المقابلة.

إختلف بعض المشـتغلين بالبحـث الاجتمـاعى حـول افضـل أسلوب لتسجيل إجابات المبحوثين فهل يتم التسجيل بشـكل فـورى ومباشر لكل ما يدلى به المبحوث من معلومات أم اختزال ما يـدلى بـه المبحوث من بيانات فى رموز معينة أو جمل قصيرة لحـين الانتهـاء مـن المقابلة، أم ترك عملية التسجيل إلى ما بعد الإنتهـاء مـن المقابلـة[٢٩]؛

وهناك عدة أساليب للتسجيل يتحدد إستخدام بعضها دون الآخر فى ضوء الهدف من البحث ونوع المقابلة ودرجة تقنينها ونوعية المبحوث ومدى الإستجابة لموقف المقابلة من هذه الأساليب:

* **التسجيل البعدى:**

أى تسجيل الباحث للمعلومات عقب إنهاء المقابلة معتمداً على الذاكرة وهذا النوع له مزاياه وعيوبه، حيث نجد أن اعتماد الباحث على الذاكرة من شأنه أن يزيد من احتمالات الوقوع فى أخطاء ولو أنه فى نفس الوقت يتيح فرصة أوسع للمبحوث أن يعبر عن آرائه بحرية دون خوف أو قلق كما يتيح للباحث القدرة على الإستبصار والتركيز وملاحظة الإستجابات الإنفاعلية للمبحوث.

* **التسجيل الحرفى:**

وهو تسجيل لكل ما يدلى به المبحوث أثناء المناقشة ويكثر استخدام هذا النوع فى المقابلات غير الموجهة بصفة خاصة أو غير المقننة بصفة عامة.

* **التسجيل الصوتى لموقف المقابلة:**

يكثر استخدامه فى مجال التحليل والطب النفسى بصفة خاصة ولو أن استخدامه فى مجال البحوث الاجتماعية كثيراً ما يؤدى إلى معلومات خاطئة أو مضللة نظراً لما يثيره فى نفس المبحوث من ريبه وخوف يبديه المبحوث من تصنع أو قلق أو تكلف الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى طبع موقف المقابلة بطابع رسمى غير طبيعى.

* **تسجيل المعلومات أو البيانات على هيئة إجابات عن أسئلة رتبت على نحو معين.**

وهذا الأسلوب كما هو الحال فى إستمارات الإستبيان، ونؤكد أن المرونة المنهجية هى التى تحتم على الباحث إختيار منهج دون الأخر أو استخدام طريقة دون أخرى أو تفضيل أداة دون أخرى تحتم فى الوقت نفسه إختيار أسلوب معين فى التسجيل دون آخر وفقاً لما

يتطلبه موضوع البحث من بيانات وما تحدد له من أهداف وما حدد للمقابلة ذاتها من مستوى التقنين وما أتيح لموقف المقابلة من ظروف خاصة[٣٠].

٦- ثبات وصدق المقابلة.

المقصود بصدق المقابلة أن هذه الأداة وما تشتمل عليه من أسئلة صادقة فى قياس ما يراد قياسه فى الواقع، بمعنى إذا استعملت مرة ثانية على الأفراد وأنفسهم وفى ظروف وشروط المرة الأولى سوف تعطى نفس النتائج السابقة ومن ثم فإن الصدق المقصود به هنا صدق الأداة "المقابلة" فى قياس ما صممت لقياسه.

أما ثبات المقابلة فالمقصود به ثبات المبحوث فيما يدلى به من معلومات بعد إعادة مقابلته مرة ثانية بعد فترة محددة وثبات وصدق المقابلة يتأثران بعوامل عديدة كموضوع المقابلة وأسلوبها والظروف التى أجريت فيها ويستطيع الباحث أن يتأكد من ثبات وصدق المقابلة من خلال عدة إجراءات اهمها:

- صياغة بعض الأسئلة التى تعرف بالأسئلة المراجعة وهى تكرار بعض الأسئلة بصياغة جديدة والهدف الأساسى منها هو إختبار صحة أسئلة أخرى ثم يقارن الباحث بين إجابة المبحوث على الأسئلة المراجعة للتأكد من صدق المبحوث وثباته على إجاباته.
- عقد مقارنة بين إجابات المبحوث اللفظية وبين الادلة الموضوعية المتصلة بهذه الإجابات كالمقارنة بين دخل المبحوث ومستويات إنفاقه أو ممتلكاته.
- عقد مقارنات بين بيانات المقابلة وبين بيانات أخرى يمكن التنبؤ بوجود إرتباط بينها سواء كانت هذه البيانات نظرية تدعمها نظريات منطقية معينة أو عملية مستقاه من نتائج بحوث ميدانية سابقة[٣١].

سادساً : مزايا وعيوب المقابلة.

لا جدال فى أن المقابلة كأداة أساسية من أدوات البحث الاجتماعى تعد أكثر الوسائل شيوعاً لما تمتاز به من خصائص تفتقدها بعض الوسائل الأخرى، ولكن هذا لا يعنى انها خالية من بعض العيوب فلكل اداة من أدوات البحث حدودها فى البحث الاجتماعى، وبصفة عامة يمكن الإشارة إلى أهم مزايا المقابلة وعيوبها على النحو التالى:

أ- مزايا المقابلة :

١. تتميز المقابلة بالمرونة حيث تتيح فرصة الإجتماع مع المبحوث وجهاً لوجه، فيستطيع القائم بالمقابلة أن يشرح له معانى بعض الكلمات أو العبارات[٣٢].

٢. هذه الطريقة تصلح أن تكون ضرورية فى حالة إذا ما كان أفراد البحث يكثر بينهم غير الملمين بالقراءة والكتابة كما فى حالة مجتمعنا.

٣. تساعد فى جمع بيانات عن طريق الملاحظة غير طريق الأسئلة وذلك بالمشاهدة والملاحظة وبذلك ينذر على الباحث توجيه بعض الأسئلة المحرجة، أو الأسئلة الخاصة (بحالة الإناث أو نظافة المنزل وغيرها)، وذلك بالمشاهدة ودون توجيه أسئلة.

٤. يمكن تكرار الزيارة أكثر من مرة إذا ما إستدعى الأمر مراجعة دقة البيانات المأخوذة.

٥. تفضل فى الحالات التى لا يتيسر فيها إستخدام الملاحظة مثل السلوك فى الماضى والآمال فى المستقبل، والسلوك الجنسى، والحالات التى يصعب فيها التنبؤ مقدماً[٣٣].

٦. تفيد المقابلة فى مناقشة بعض الأمور التى قد تثير إنفعال أو عواطف المبحوث، كالتوافق الزواجى أو المشاكل الزواجية ومثل هذه الموضوعات لا يستطيع الباحث بحثها بوسائل أخرى.

٧. يستطيع الباحث القائم بالمقابلة أن يتأكد من صحة البيانات التى يدلى بها المبحوث خاصة البيانات التى قد يبالغ فيها المبحوث كمستوى الدخل والتعليم ومستوى المعيشة فيمكن للباحث المقارنة بين ما يدلى به المبحوث وبين الواقع الذى يلاحظه الباحث.

٨. فى المقابلة يجيب المبحوث عن الأسئلة دون أن يتأثر بغيره من الأفراد كما يحدث عادة فى الإستبيان كذلك توجه الأسئلة بالترتيب والتسلسل الذى يرغب فيه القائم بالمقابلة ولا يطلع المبحوث على باقى الأسئلة التى قد تؤثر على إجابته.

٩. يستطيع القائم بالمقابلة أن يحصل على إجابات عن جميع الأسئلة التى يطرحها على المبحوث بينما نجد أن نسبة كبيرة من إستمارات الإستبيان لا يجيب عليها بسبب عدم وضوحها أو فهمها أو نسيانها.

١٠. تحقق المقابلة تمثيلاً أكبر وأدق لإمكانية الحصول على بيانات من جميع المبحوثين.

ب- عيوب المقابلة:

على الرغم من المميزات السابقة التى تتميز بها اداة المقابلة كوسيلة لجمع البيانات إلا انها لا تخلو من بعض العيوب أهمها:

١. تتطلب المقابلة الكثير من النفقات والوقت والجهد فهى تحتاج إلى عدد كبير من القائمين بالمقابلة وتدريبهم على إجرائها خاصة إذا كانت من المقابلات المسحية التى تفرض فيها أن تغطى عدداً

كبيراً من الأفراد ويحتاج القائمون بالمقابلات إلى نفقات كبيرة للإنتقال، كما تحتاج المقابلة لفترة زمنية طويلة للإنتهاء منها.

٢. تعتمد المقابلة إعتماداً كلياً على التقرير اللفظى الذى يدلى به المبحوث وقد يكون هذا التقرير صادقاً أو غير صادقاً، وقد يؤخذ على علته وقد يحاول الباحث التأكد من صدق التقرير ولكن هناك بعض الأسئلة التى يصعب التأكد من صدق الاجابة عليها خاصة إذا كانت هذه الأسئلة من النوع الحرج أو تتصل بأمور خاصة يحرص المبحوث على عدم معرفة الناس موقفه منها. وتزداد صعوبة المقابلة فى المناطق الريفية التى يتشكك سكانها فى حقيقة القائم بالمقابلة وتتضح الصعوبة أكثر فى الإجابة على أسئلة الدخل لإرتباطها بالضرائب.

٣. أن احتمالات الصدق والثبات فى المقابلة أقل من الأدوات الأخرى خاصة إذا تعدد القائمين بها ولم يتدربوا تدريباً خاصاً على المواقف التى سيواجهون بها كذلك الحال إذا كان دليل المقابلة غير معد إعداداً دقيقاً.

٤. قد تقع المقابلة فى خطأ التحيز من قبل القائم بالمقابلة نظراً لموقفه الأيديولوجى أو إنتمائه الطبقى وقيمة وأخلاقياته المهنية.

٥. إن تعدد القائمين بالمقابلة يجعلها أكثر عرضه لخطأ التحيز نظراً لتعدد الأدوار الاجتماعية والمستويات الثقافية لهؤلاء الباحثين وقدراتهم الذاتية على فهم إجابات المبحوثين، وعدم قدراتهم على الألتزام بالموضوعية والبعد عن الذاتية فى تفسير الإجابات التى يدلى بها المبحوثين[٣٤].

٦. كثيراً ما ينسى المبحوث تفاصيل ما حدث ليدلى بما يتصوره أو يفترض أنه قد حدث بالفعل ولذلك فإن اعتماد المبحوث على

ذاكرته عند الإدلاء بالبيانات المطلوبة كثيراً ما يصيب هذه البيانات بالقدر الكبير من التحريف أو التشويه[٣٥].

ولكن كل هذه العيوب لا تقلل كثيراً من أهمية المقابلة ولا يمكن أن تدفع الباحث للتخلى عن المقابلة حيث أنها من أهم أدوات جمع البيانات لما تتميز وتختص به من مميزات لا تتمتع بها الأدوات الأخرى من مواجهة الباحث للمبحوث وجهاً لوجه، وهذه العيوب لابد من ان تدفع الباحث على العمل على زيادة درجة ثبات وصدق البيانات التى يحصل عليها وذلك عن طريق إتخاذ الإجراءات الضرورية فى عملية التخطيط لإجراء المقابلة بحيث يجعلها قادرة على تحقيق الهدف من ورائها فى الحصول على المعلومات الصحيحة عن موضوع المقابلة.

المراجع المستخدمة

(١) غريب سيد أحمد، البحث الاجتماعى، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٢٩١.

(٢) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مناهج وطرق البحث، الأسكندرية، مطبعة البحيرة، ٢٠٠٧، ص ٣٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٧٨.

(٤) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعى، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠، ص ٣٣٠.

(٥) جمال زكى، السيد يس، أسس البحث الاجتماعى، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢، ص ٢١٠.

(٦) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ٢٩٢.

(٧) جوردون مرشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهرى وآخرون، ط١، المجلس الاعلى للثقافة، المشروع القومى للترجمة، المجلد الاول، ٢٠٠٠، ص ٣٧٨.

(٨) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ٢٢٧.

(٩) قبارى محمد إسماعيل، مناهج البحث فى علم الاجتماع: مواقف واتجاهات معاصرة، الأسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨١، ص ١٥٦.

(١٠) محمد على محمد، علم الاجتماع والمنهج العلمى: دراسة فى طرائق البحث وأساليبه، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨، ص ٤٦٣.

(١١) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٣١.

(١٢) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٤٦٣.

(١٣) جمال زكى، السيد يس، مرجع سابق، ص ٢١٨.

(١٤) محمد على محمد، مرجع سابق، ص ٤٦٤.

(١٥) المرجع السابق، ص ٤٦٤.

(١٦) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ٣٩١.

(١٧) جمال زكى، مرجع سابق، ص ٢١٤.

(١٨) عبد الله عبد الرحمن، محمدالبدوى، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

(١٩) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢٠) على محمود إسلام الفار، معجم علم الاجتماع، ط٢، القاهرة، دار المعراف، ٢٠٠١، ص ٢٧٤.

(٢١) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ٣٩٣.

(٢٢) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

(٢٣) سامية محمد جابر، منهجيات البحث الاجتماعى والاعلامى، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ص ٤١٣.

(٢٤) أحمد بدر، أصول البحث العلمى ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية الثقافية، ١٩٩٤، ص ٣٣٩.

(٢٥) سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص ٤١٤.

(٢٦) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ص ٣٩٥ : ٣٩٨.

(٢٧) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٤٤.

(٢٨) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ٣٠٤.

(٢٩) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ٣٩٩.

(٣٠) سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص ص ٤١٧ : ٤١٨.

(٣١) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ٤٠١.

(٣٢) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٤٤٩.

(٣٣) غريب سيد أحمد، مرجع سابق، ص ص ٢٩٤ :٢٩٥.

(٣٤) عبد الله عبد الرحمن، محمد البدوى، مرجع سابق، ص ص ٤٠٢ : ٤٠٣.

(٣٥) سامية محمد جابر، مرجع سابق، ص ٤١٩.

الفصل العاشر
الاستبيان

تمهيد.

أولاً : تعريف الاستبيان.

ثانياً : أنواع الاستبيان.

ثالثاً : استخدامات الاستبيان.

رابعاً : خطوات إجراء وتصميم الاستبيان.

خامساً : مزايا وعيوب الاستبيان.

تمهيد.

يعد الاستبيان قائمة مطبوعة من الأسئلة تعطي لمستجيبين يقومون أنفسهم بالإجابة عليها دون الاستعانة بشخص يقوم بمقابلتهم. وتعد هذه الأداة أرخص من عملية تعيين مقابلين، كما أنها تحتفظ بميزة أنها تسمح للمستجيبين أن يكونوا غير معلومين، ومن ثم يشعر المستجيب أنه أكثر حرية في التعبير من آرائه بل وقدم معلومات دقيقة تتصل به عكس الحال لو كان في موقف المقابلة. ويستخدم الاستبيان في الغالب لجمع بيانات لأغراض المسوح الاجتماعية، فالمسح الاجتماعي يتضمن فيما يتضمنه جمع نفس نوع المعلومات من كل أفراد العينة، ومن ثم فإنه يعطي لهم مجموعة متماثلة من الأسئلة ويطلب منهم الإجابة عليها. ويعد الاستبيان أسلوباً سريعاً ورخيصاً وفاعلاً في الحصول على قدر كبير من المعلومات من عدد كبير نسبياً من الأفراد.

أولاً: تعريف الاستبيان.

الاستبيان، الاستقصاء، هو: من الطرق الإحصائية الشائعة في الدراسات الاجتماعية وقوامها لائحة من الأسئلة يجاب عليها كتابة أو هاتفيا[1]. فالاستبيان هو قائمة مصممة لتحقيق غرض معين وتتميز بالنسقية والانتظام ويمكن عن طريقها الحصول على معلومات من المستجيبين للاستبانة حول موضوعات تتعلق بخصائصهم الموضوعية وسلوكهم وحاضرهم واتجاهاتهم وما يعتنقونه من قيم وعقائد ومعايير أفعلهم وما لديهم من أسباب لممارسة الفعل بطريقة معينة وتعرض الاستبانة عادة في ذلك منسق ومنطقي يبدأ من الأسئلة الأبسط ذات الطابع الواقعي ثم تتقدم إلى الأسئلة المعقدة ذات الطابع الذاتي أو الحساس.

وصياغة الأسئلة كما أوضح باين Paynes L. ينبغي أن تولي عناية خاصة لبناء الأسئلة لكي يتجنب الإيحاء بإجابة ممكنة عن طريق الكيفية التي يوجه بها السؤال وتعد المقابلات التجريبية بالنسبة للأسئلة المهذبة ضرورية قبل البدء في استعمال الاستبانة في مسح واسع المدى ويمكن أن تستخدم درجات متنوعة من البنية عند تأخير الأسئلة ويتم التشفير بالنسبة لأسئلة الاختيار المحدد سلفاً. مثلاً (موافق – غير موافق – ليس بموافق – ولا غير موافق)

اما الأسئلة ذات النهاية المفتوحة فليس لها إجابات ذات اختيارات محددة ويتم تحليلها وترميزها بعد الحدث والأسئلة ذات الإجابات المحددة تتميز بالسهولة في إدارتها والسرعة وبالكفاءة والتكلفة المحدودة في المسح ذي التدرج الواسع[٢].

الاستبيان هو أداة للحصول على الحقائق وتجميع البيانات عن الظروف والأساليب القائمة بالفعل ويعتمد الاستبيان على إعداد مجموعة من الأسئلة ترسل لعدد كبير نسبياً من أفراد المجتمع (حيث ترسل هذه الأسئلة عادة لعينة ممثلة لجميع فئات المجتمع المراد فحص آرائها) وعلى الرغم من أن طريقة الاستبيان هي طريقة شائعة في البحث إلا إنها كثيراً ما يساء استخدامها[٣].

قد يرسل الاستبيان أو الاستقصاء بطريقة غير مباشرة باستخدام البريد أو النشر على صفحات الجرائد أ, المجلات أو على شاشة التليفزيون أو الإذاعة[٤].

ويهدف الاستبيان إلى تجاوب الأفراد الموجه لهم الاستبيان للإجابة على الأسئلة التي يشتمل عليها وإرسال إجاباتهم إلى القائمين على الدراسة إما باليد أو البريد حتى يمكن تحليلها[٥].

الاستبيان مجموعة أسئلة تستخدم فى البحث العلمى وتقدم للمبحوثين وتصمم لتقديم معلومات مناسبة لموضوع البحث وقد يتم استكمال الاستبيان من قبل المبحوثين أنفسهم، أو من قبل المقابلين وقد يكون الاستبيان ذو نهاية مغلقة وهو الذي تكون فيه الحالة مختارة من إجابات محددة سلفاً أيضاً إنما بشكل معقد وليس بسيط أو تكون الأسئلة من نوع ذو النهاية المفتوحة الذي تكون فيه حالة المبحوث مجيباً عليها حسب رغبته وعندما يستكمل الاستبيان بواسطة البريد أو عندما تكون نسبة الأمية عالية بين المبحوثين عندئذ يستعمل الاستبيان ذو النهاية المغلقة وهناك حالة يتم استخدام الاستبيان في المقابلة أو يقدم إلى مبحوثين أميين فإن الاستبيان ذو النهاية المفتوحة يمكن أن يكون مفضلاً استخدامه في مثل هذه الحالة بشكل أدق.

وقد يستخدم الاستبيان مجموعة من الأسئلة ذات مستوى معين لكن يخرج بعض الناس عن مضمون السؤال ويذكروا معلومات غير مطلوبة منهم من الأسئلة عندئذ تصبح الحاجة إلى جدول المقابلة من أجل حصر الإجابات ضمن الأسئلة المطلوبة[٦].

الاستبيان شكل من أشكال البحث يستخدم فيه مجموعة من الأسئلة حول موضوع معين وعادة ما يستخدم الاستبيان عندما يكون المجيب متعلماً حيث يطلب منه أن يكتب بنفسه الإجابة على هذه الأسئلة وقد تستخدم أيضاً في حالة المجيب غير المتعلم حيث يقوم الباحث بتدوين إجاباته نيابة عنه ومن الضروري أن تحمل الأسئلة نفس المعنى الحقيقي والمقصود بالنسبة لكل المجيبين وفيما عدا مواقف الضبط يجب أن توضع الأسئلة بنفس النظام وبنفس الكلمات وتختلف درجة تقنين الاستبيان اختلاف طبيعة تصميم الأسئلة.

ففي الاستبيان ذي الأسئلة المفتوحة النهاية يترك المجيب حراً للإجابة على السؤال كما يريد بينما في الاستبيان ذي الأسئلة المغلقة النهائية عليه أن يختار بين عدد من الإجابات المحددة من قبل وفي الوقت الذي يسمح فيه الاستبيان الأول بإجابة كاملة للسؤال يكون من الصعب ترميز الإجابات على النحو الذي يحدث في الاستبيان ذي الأسئلة المغلقة.

فلو أن هذا النوع الأخير قد يحدد مقدماً قنوات الاستجابة أمام المجيب كذلك فإن كلا النوعين يعاني من صعوبة التأكد في أن المجيبين سوف يرمزون أو يعبرون عن مشاعرهم المشابهة بطريقة واحدة وأخيراً فإن الاستبيان الذي يرسل للأفراد عن طريق البريد قد يتيح إجراء الدراسة على عينة أوسع من السكان بتكاليف أرخص وجهد ووقت أقل من إجراء الدراسة بطريقة المقابلة لولا أن هذا النوع من الاستبيان يواجه دائماً بصعوبة إهمال المجيبين أو عدم إعادته للباحث[٧].

ثانياً: أنواع الاستبيان.

تتفاوت أنواع الاستبيان من حيث شكل الأسئلة التي يتضمنها الاستبيان فمنها ما يشتمل على سؤال واحد شامل يترك للمستجوب حرية الإجابة عليه بالطريقة والأسلوب الذي يفضله.

ويسمى هذا النوع من الاستبيان (الاستبيانات غير المقيدة أو الاستبيانات ذات النهاية المفتوحة أما النوع الثاني من الاستبيانات فيعتد بعدد محدد من الأسئلة المغلقة حيث يلي كل سؤال مجموعة من الإجابات التي يختار من بينها الإجابة المفضلة وتعبر عن رأي المستجوب بأسلوب أفضل وقد يجمع النوعين من الأسئلة المفتوحة والمغلقة في استبيان واحد ومن هذا العرض يمكن تصنف الاستبيانات إلى نوعين أساسيين هما:

١- الاستبيانات غير المقيدة.

يتكون هذا النوع من الاستبيانات من سؤال واحد أو عدة أسئلة غير محدد الإجابة عليها ويكون للمستجوب مطلق الحرية في التعبير عن أفكاره أو آرائه أو مشاعره أو اتجاهاته التي تعتبر هامة بالنسبة له. لذلك فإنه ينبغي الإجابة التي يراها ذات أهمية ودلالة خاصة بالنسبة لخبراته وميوله وفي بعض الأحيان قد يصاحب هذا النوع من الاستبيان مقابلة شخصية غير مقيدة.

٢- الاستبيانات المقيدة.

يغلب على هذا النوع من الاستبيانات تحديد الأسئلة وإجاباتها إلى حد ما حيث يختار المستجوب من الإجابات العديدة التي تلي كل سؤال ما يتعقد مع وجهة نظره ويعبر عن رأيه الشخصي وقد يحدد أولويات الإجابات المختارة طبقاً لترتيبها التنازلي أو التصاعدى(٨).

ثالثاً : استخدامات الاستبيان.

تذكر (بولين يونج) أن استخدام الاستبيان قد زاد زيادة ملحوظة في الولايات المتحدة الأمريكية في خلال العشرين عاماً الماضية وخاصة بواسطة الحكومة والهيئات الصناعية والتجارية وذلك لجمع بيانات تساعد على وضع تخطيط سليم لبرنامج هذه الهيئات. كما استخدم الاستبيان أيضاً فى البحوث الاجتماعية كوسيلة مساعدة في جمع البيانات عن الظواهر الاجتماعية القابلة للقياس.

رابعاً : خطوات إجراء وتصميم الاستبيان.

أ- تأكد من العلاقة بين طريقة البحث الموظفة والمشكلة والفرضيات المطروحة. وكن على أقصى درجة من الفهم

الواضح الجلي للأهداف التي تسعى إليها ولطبيعة البيانات التي تريد الحصول عليها[٩].

ب- **ابدأ بصياغة الأسئلة:**

١- اجعل اللغة التي تستخدمها في مستوى المستجيب.

٢- اختر الكلمات بعناية ودقة بحيث يكون لها نفس المعنى لدى كل مستجيب.

٣- إبتعد عن الأسئلة الطويلة، فعندما تطول الأسئلة تصبح غامضة ومشوشة.

٤- لا تتصور منذ البداية أن المستجيب الذي تدرسه لديه معلومات فعلية أو آراء لم يعرفها أحد من قبل، فالأم قد تكون قادرة على تحديد الكتب التي يقرأها ابنها، لكن ابنها نفسه يجب أن يسأل لمعرفة ما يشعر به وهو يقرأ تلك الكتب.

٥- اجعل إطارك المرجعي أو تصوراتك في دماغك ولا تعلنه.
لا تسأل مثلاً: كم عدد المجلات التي تقرأها؟
اسأل: أي المجلات تقرأها؟

٦- عند صياغة السؤال، إما أن تقترح البدائل الممكنة أمام المستجيب أو لا تقترح أي شئ بالمرة.
لا تسأل مثلاً: هل تعتقد أن علي الزوج مساعدة أولاده الصغار في ارتداء ملابسهم وفي تناول طعامهم عندما يكون بالمنزل؟
اسأل: هل تعتقد أن الزوج يجب مساعدة أولاده الصغار في ارتداء ملبسهم وتناول طعامهم عندما يكون بالمنزل، أم تعتقد أن هذا الأمر من مهام المرأة في أي الأحوال؟
أو: من الذي عليه أن يلبس ويطعم الصغار عندما يكون الزوج بالمنزل؟

٧- تجنب الأنا (الغرور) لدى المستجيب.

لا تسأل: هل تعرف اسم القاضي الأول في المحكمة العليا؟

اسأل: هل حدث أن عرفت اسم القاضي الأول في المحكمة العليا؟.

٨- لو أنك كنت قد مررت بموقف أو بظرف غير سار بالنسبة لك، أى أنك في ظرف معنوي غير جيد، أعطي للمستجيب الفرصة للتعبير عن مشاعره بإيجابية أولاً حتى لا ينظر إليه نظرة غير مرغوبة.

اسأل: ماذا تحب في "فلان"؟

ثم اسأل بعد ذلك: ما الذي لا تحبه في "فلان"؟

٩- قرر هل تريد سؤال مباشر، غير مباشر، أو سؤال غير مباشر متبوعاً بسؤال مباشر.

المباشر: هل حدث وأن سرقت يوماً وأنت في العمل؟

غير المباشر: هل تعرف أي شخص حدث وأن سرق في العمل؟

نمط الجمع بين المباشر وغير المباشر: هل تعرف أي شخص سرق خلال العمل؟ هل حدث وأخذت أي شئ من العمل؟

١٠- قرر ما إذا كان السؤال يجب أن يكون مفتوحاً أم مغلقاً؟

السؤال المفتوح : يعتقد أن بعض الأفراد في هذا المجتمع يتمتعون بسلطة كبيرة للغاية، هل تعتقد أن ذلك صحيحاً؟ من هم؟

السؤال المغلق : يعتقد أن بعض الأفراد في هذا المجتمع يتمتعون بسلطة كبيرة للغاية: هل هذه العبارة صحيحة..

خاطئة.. لا تعرف ..، لو كانت صحيحة من هم؟ زنوج.. يهود.. بولنديين... إيطاليين...

١١- قرر ما إذا كانت الأسئلة التي تحتاجها من النوع العام أو المحدد (أي تتناول أمراً بالذات).

فيمن الاكتفاء بالسؤال: هل تحب هذا الكتاب؟

ويمكن أن يكون من الأفضل أن نسأل أيضاً: هل أوصيت أحداً بمطالعة هذا الكتاب؟

١٢- تجنب استخدام الكلمات الغامضة أو المشوشة.

لا تسأل: هل تعمل في الغالب بمفردك؟

اسأل: لا... أعمل مطلقاً بمفردي. نعم... أعمل بمفردي أغلب الوقت.

١٣- تجنب التحيز أو الأسئلة التي توحي بإجابة معينة.

لا تسأل: هل مارست حقك كمواطن أمريكي في التصويت في الانتخابات التي جرت مؤخراً.

اسأل: هل صوت في الانتخابات الأخيرة؟

١٤- صغ الأسئلة على نحو لا تصبح معترض عليها؟

فبدلاً من أن تسأل: هل تخرجت من مدرسة عليا (كلية جامعية).

اسأل: ما هي آخر درجة علمية أكملتها أو حصلت عليها؟

١٥- قرر أيا من الأسئلة الشخصية (الذاتية) أو غير الشخصية هي التي سوف تحقق أفضل استجابة.

السؤال غير الشخصي: هل أوضاع العمل مرضية أم غير مرضية في المكان الذي تعمل فيه؟

السؤال الشخصي: هل أنت راض أم غير راض عن أوضاع العمل في المشروع الذي تعمل فيه.

١٦- يجب أن يكون السؤال محدداً أو يتناول فكرة واحدة أو إشارة إلى شئ واحد.

لا تسأل: هل تؤيد أم تعارض زيادة أسباب تحقيق الأمن بالعمل والأجر السنوي المقرر؟

اسأل: هل تؤيد أو تعارض زيادة أسباب تحقيق الأمن بالعمل؟

اسأل: هل تؤيد أو تعارض الأجر السنوي المقرر؟[١٠]

ج- **تنظيم الاستبيان.**

١- ابدأ بالأسئلة السهلة التي تستهوي المستجيب وتجعله يجيب عليها باستمتاع لا تبدأ بالسن والعمل والحالة الزوجية.

اسأل الأسئلة التي تستثير لديه اهتمامه بالموضوع الذي يتناوله الاستبيان.

٢- نظم الأسئلة على نحو يجعل الإجابة على بعضها يفضي إلى الإجابة عما يليها.

أ- ابدأ بالأسئلة العامة نزولاً إلى الأسئلة الخاصة أو المرتبطة بقضايا نوعية أو تفصيلية.

- كيف ترى أن هذا البلد تتوثق علاقته مع غيره من البلدان؟
- ما الذي تراه أننا نفعله أو نقوم به في علاقتنا بالدولة (س) مثلاً؟

ب- ابدأ بالأسئلة السهلة نزولاً إلى الأسئلة الصعبة[١١].

٣- استخدام تتابع في الأسئلة يمنح فرصة ظهور الأنا لدى المستجيب. دع الأسئلة التي تتناول الدخل تأتي في الأخر.

٤- قرر ما إذا كان سؤالاً واحداً أم أكثر من سؤال يوفر أفضل المعلومات التي يحتاجها تحقيق الهدف من البحث.

٥- إلى جانب الأسئلة الحرة، أي التي تعطي المستجيب الحرية في تقديم ما يراه من تصور مثلاً، يكون من المفيد في بعض الأحيان وجود الأسئلة الزوجية أي المزدوجة التي تسأل عن أمور بعينها.

٦- يجب حسر الأسئلة المفتوحة والمغلقة النهايات التي تتطلب تفكير أو كتابة في أضيق الحدود. ويمكن وضعها بشكل عام في النهاية لنضمن أن الأسئلة المغلقة سوف يجاب عليها.

٧- يجب أن ترتب الموضوعات التي يطرحها الاستبيان والأسئلة على نحو يرى فيها المستجيب معنى ومغزى. والهدف هو أن يأتي الترتيب على نحو يبدو تتابعي طبيعياً وسهلاً للمستجيب.

د- الاختبار القبلي للاستبيان.

١- اختار عدداً من المستجيبين الممثلين للمجتمع الذي تود القيام بإجراء بحثك عليه. شجع هؤلاء على أن يسألوا أي أسئلة أثناء قيامهم بالاستجابة على عناصر الاستبيان. راقب المسائل المختلط عليهم فهمها، المشوشة والتي تحتاج إلى تفسير. اسألهم كيف يتعاملون مع سؤال صعب عليهم فهمه أو الإجابة عليه.

٢- لا تحذف أو تلغي ما قدموه من رؤى للتعامل مع الأسئلة التي صعب عليها فهمها أو الإجابة عليها.

هـ- اختر نوع الورق وشكل الكتابة بعناية، حيث أن ذلك يكسب الاستبيان عنصراً من عناصر الجذب إليه.

و- بين الجهة التي يتبعها البحث وترعاه وأسماء الذين يتعاونون معك في خطاب ترفقه بالاستبانة، حيث أن ذلك من المطالب الهامة والأخلاقية بالنسبة للبحث العملي.

ز- ادرس الوسائل التي تراها كفيلة بزيادة نسبة العائد من الاستبانات وقرر أياً منها لابد من إعطائها مزيداً من الاهتمام لرفع معدلات العائد من الاستبانات[١٢].

خامساً: مزايا وعيوب الاستبيان.

أ- مزايا الاستبيان:

هناك العديد من المزايا التي تميز الاستبيان عن غيره من أدوات جمع البيانات من هذه المزايا ما يلي:

- تقليل التكلفة لجمع البيانات، وتوفير الوقت والجهد وخاصة إذا نشر فى صفحات الجرائد ووزع على الأفراد.
- إمكانية الوصول إلى مجتمع كبير ومترامي من المستجوبين المشتتين في مناطق مختلفة يصعب التوصل إليهم عن طريق المقابلة مثلاً، وذلك فيستطيع الباحث أرسال الاستبيان عن طريق البريد.
- إعطاء فرصة وحدية أكبر للإجابة على الأسئلة من قلب المستجوبين في ظروف مناسبة لهم.
- إمكانية تصنيف الأسئلة الموحدة والمتجانسة.
- عدم الحاجة إلى أعداد كبيرة من جامعي البيانات كما في حالة المقابلة، وذلك لأن الإجابة على أسئلة الإستبيان وتسجيلها لا يتطلب إلا المبحوث وحده دون الباحث.
- سهولة الحصول على بيانات حساسة أو محرجة يصعب الإعلان عنها في المقابلة الشخصية.
- إمكانية تجنب التحيز الذي قد يظهر في المقابلة الشخصية نتيجة أسلوب توجيه السؤال أو تفسيره من قبل الباحث[١٣].

- يعطي الاستبيان البريدي لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة خاصة إذا كان نوع البيانات المطلوبة متعلقاً بجميع أفراد الأسرة(١٤).

- يتميز الاستبيان بأنه يمكن أن يصل إلى أفراد ينتشرون على رقعة واسعة من الأرض ولذلك لا تفرض على الباحث قيود عن طريق وسيلة جمع البيانات كما يحدث في وسائل أخرى إلا أنه لكي تتحقق هذه الميزة لابد من توافر مواصفات في المجتمع تخرج عن إمكانية تحكم الباحث لعل أهمها وجود نظام بريدي جيد ونعني بالجيد على الأقل صفتي الدقة والسرعة(١٥).

- نظراً لأن المستجيب يقوم بنفسه بالإجابة على أسئلة الاستمارة ولأن العادة تقتضي عدم كتابة الاسم أو إعطاء بيانات تفصح عن هويته فإنه يفترض أنه بالإمكان توجيه عدد من الأسئلة التي يصعب السؤال عنها لو تم جمع البيانات بوسيلة أخرى فقد استخدم الاستبيان لجميع بيانات حول جوانب من حياة الفرد الخاصة ولكن لا يصدق هذا إلا في المجتمعات التى تسمح ثقافاتها بتوجيه أسئلة عن الحياة الخاصة للفرد وحيث اعتاد الأفراد الحديث عن كثير من الجوانب الخاصة لحياتهم. لذلك يساعد الاستبيان فى الحصول على بيانات حساسة أو محرجة ففى كثير من الأحيان يفشى المبحوث إعلان رأيه والتصريح به.

- إذا سلم الاستبيان باليد وتمت تعبئته في الحال فإن هذه الوسيلة يمكن اعتبارها وسيلة أسرع من حيث الزمن ولكن الاستبيان البريدي يتطلب مالاً وجهداً كبيرين لا يقلان من حيث الدرجة عما يحدث في بعض الوسائل الأخرى لجمع البيانات(١٦).

- يوفر الاستبيان ظروف التقنين أكثر مما تتوافر لوسيلة أخرى وذلك نتيجة للتقنين في الألفاظ وترتيب الأسئلة وتسجيل الإجابات.

- يساعد الاستبيان في الحصول على بيانات قد يصعب على الباحث الحصول عليها إذا ما استخدم وسائل أخرى فقد تحتم طبيعة البحث توجيه أسئلة قد يتردد الفرد في الإجابة عليها بصراحة فيما لو جابه البحث فمثلاً إذا كان موضوع البحث يتعلق بالعلاقات الزوجية فقد يتردد الفرد في الإدلاء ببيانات للباحث.
- يوفر الاستبيان وقتاً للفرد للإجابة على أسئلة الاستمارة أكثر مما لو سئل مباشرة وطلب منه الإجابة عقب توجيه السؤال[١٧].

ب- عيوب الاستبيان:

على الرغم مما يتوافر للاستبيان من مزايا فإنه لا يخلو من عيوب تجعله غير صالح بالنسبة لجميع المواقف ومن هذه العيوب:

- الاستبيان يعتمد على القدرة اللفظية فإنه لا يصلح إلا إذا كان المبحوثون دون السن أو صغار السن والذين لا يزالون مثلاً في المدارس الابتدائية.
- قلة الاستجابة للإجابة على أسئلة الاستبيان مما يؤثر على مصداقية الإجابة والنتائج التابعة منها.
- طول الوقت الذي قد يستغرق في الاستبيان المرسل عن طريق البريد[١٨].
- عدم الاعتقاد على القدرة اللفظية للمستجوبين وإمكانية فهمهم للأسئلة المطروحة[١٩].
- يفقد الباحث اتصاله الشخصي بأفراد الدراسة وهذا يحرمه من ملاحظة ردود فعل الأفراد واستجابتهم لأسئلة البحث.
- كثير من المصطلحات والكلمات تحمل أكثر من معنى لمختلف الأفراد وهذا يحد من قيمة الاستبيان إذا ليس هناك فرصة للتأكد من فهم الفرد للسؤال أو المصطلحات والكلمات الواردة فيه. وقد

يتغلب على هذه الصعوبة إلى حد ما عند إجراء اختبار الاستمارة قبل وضعها في صورتها النهائية.

- لا يمكن استخدام الاستبيان إلا في مجتمع غالبية أفراده يجيدون القراءة والكتابة ولذلك لا يصلح الاستبيان كوسيلة لجميع البيانات في جميع المواقف عادة ما تشتمل استمارة الاستبيان على أسئلة محدودة إذا لا يمكن توجيه الكثير من الأسئلة المطولة للأفراد حتى يقدموا على إرسال إجاباتهم فكلما كثرة الأسئلة كلما تردد الأفراد في الرد عليه وقل اهتمامهم في التدقيق في كتابتها.

- لا يمكن للباحث التأكد من صدق استجابات الأفراد والتحقق منها ولكن يمكن التغلب على هذه الصعوبات يلجأ الباحثين إلى الاستبيان البريدي أي جمع البيانات عن طريق إرسال الاستمارات إلى المبحوثين بالبريد أو توزع عليهم باليد ويرفق معها نشرة صغيرة مبيناً بها الغرض من البحث واسم الهيئة المشرفة عليه وأهمية الدراسة بالنسبة للمجتمع مع رجاء التعاون في استيفاء البيانات المطلوبة ثم إعادة الاستمارة[٢٠].

- كما يجب أن يذكر في هذه النشرة ما يطمئن الأفراد على سرية هذه البيانات وأنها لن تستخدم لغرض آخر غير البحث العلمي وأن محتويات البحث لن يستفيد منها غير الهيئة المشرفة على البحث التي لا يهمها أسماء الأفراد أو الأسر بقدر ما يهمها المعالم العامة والبيانات الأساسية للمجتمع موضوع الدراسة ككل دون الاهتمام بخصائص وحداته إلا بكونها أجزاء من هذا الكل كما يرفق مع استمارة البحث مظروف بعنوان الهيئة المشرفة على البحث ويلصق عليه طابع بريد وفي ذلك تسهيل وتشجيع لأفراد البحث على إعادة الاستمارة بعد استيفائها[٢١].

المراجع المستخدمة

(١) ناتاليا يفريمونا، معجم العلوم الاجتماعية، ترجمة: توفيق سلوم، موسكو، دار التقدم، ١٩٩٢.

(٢) ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ١٩٩٤.

(٣) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط٥، ١٩٩٤، ص١٦٠.

(٤) محمد علي محمد، البحث الاجتماعي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٨، ص ٣٥٠.

(٥) محمد محمد الهادي، أساليب إعداد وتوثيق البحوث العلمية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥، ص ١٥٥.

(٦) معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، لبنان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١، ص ٢٧٠.

(٧) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦، ص ٣٣٥.

(٨) محمد محمد الهادي، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٩) محمد طلعت عيسى، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية، القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٢، ص ١٥٤.

(١٠) أحمد النكلاوي، طرق البحث الاجتماعي، القاهرة دار الثقافة العربية، ٢٠٠٣، ص٣٠٣.

(١١) مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، القاهرة، معهد الانماء العربى، ط١، ١٩٨٩، ص ١٣٤: ١٣٦.

(١٢) عبد الباسط محمد حسن، أصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠، ص٣٢٨.

(١٣) أحمد بدر، مرجع سابق، ص ١٦١.

(١٤) محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٣٥٠

(١٥) عبد الباسط محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٢٦.

(١٦) مصطفى عمر التير، مرجع سابق، ص ١٤٠.

(١٧) جمال ذكي، السيد يس، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(١٨) محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٣٥٠.

(١٩) جمال ذكي، السيد يس، مرجع سابق، ص ٢٠٧.

(٢٠) المرجع السابق، ص ٢٠٧.

(٢١) محمد علي محمد، مرجع سابق، ص ٣٥١.

الفصل الحادى عشر

الملاحــظة

تمهيد.

أولاً : الجذور التاريخية للملاحظة.

ثانياً : تعــريف الملاحــظة.

ثالثاً : استخــدامات الملاحظة.

رابعاً : أنــــواع الملاحظة.

خامساً : أبعــاد موقف الملاحظة.

سادساً : خطــوات إجراء الملاحظة.

سابعاً : وسائــل تسجيل الملاحظة.

ثامناً : مزايــا وعيوب الملاحظة.

تمهيد.

الملاحظة أداة من أدوات جمع البيانات فى البحث فهى قديمة قدم الإنسان نفسه فقد شغل الكتاب والشعراء منذ أقدم العصور بوصف السلوك الاجتماعي وبالحديث عن الدوافع والمشاعر على أساس السلوك الملحوظ، كما أن كل إنسان يتأثر فيما يلاحظه في سلوكه اليومي وفي محيط حياته، فالطفل في تنشئته الاجتماعية، يتعلم بما يلاحظه ويدور حوله من أحداث، وما يبدو على وجوه المحيطين به من تعبيرات.

ورئيس العمل يلاحظ، سلوك مرؤسيه، وقائد المناقشة قد يهتدي في توجيهها بما يلاحظ من استجابات الأعضاء لسلوكه كقائد... إلخ. إلا أن الملاحظة العلمية تمتاز عن الملاحظة غير العلمية بأنها تهدف إلى تحقيق هدف علمي محدد، وبأنها تكون مخططة تخطيطاً مقصوداً تتحكم فيه طرق تسجيل وتدوين الملاحظات.

وتتميز الملاحظة عن غيرها من أدوات جمع البيانات، بأنها تسجيل السلوك بما يتضمنه من مختلف العوامل، في نفس الوقت الذي يتم فيه، فيقل بذلك احتمال تدخل عامل الذاكرة لدى الملاحظ، وقدرة الشخص على أن يستجيب لما يوجه إليه من أسئلة وبذلك يتضح أهمية استخدام الملاحظة.

أولاً: الجذور التاريخية للملاحظة.

شهد الفكر العلمى تطوراً ملحوظاً خلال القرن السابع عشر، فى أوروبا، وميزة هذا التطور أنه ساهم بدوره فى دفع الفكر الاجتماعي إلى التطور، ومع تطور العلم، وتطور الأدب الاجتماعي ساهم هذا الشكل الأدبي في نشر الملاحظات الاجتماعية، المتلازمة مع التقدم الاجتماعي، وأصبح هناك نوع جديد من المسرح هو المسرح

الاجتماعي وظهر هذا المسرح على يد الكاتب والمخرج والممثل المسرحي "موليار" ومسرحه يقوم على نقد الحالات الاجتماعية للمبارزة آنذاك كالأغنياء الجدد، ومدعين التدين، والأطباء، والدجالين... إلخ.

كما ساهم أيضاً على الصعيد الشعري "لافونتين" بقصص ذات مغزى اجتماعي في انتشار "الملاحظة" الاجتماعية الناقدة. وبالتالي فالملاحظة لقت رواجاً في العلوم الاجتماعية. حيث أن العلوم الاجتماعية تتميز عن العلوم الدقيقة بأن موضوع البحث هو: "الإنسان"[1].

ومن ثم فإن موضوع البحث في هذا المجال هو "الانسان الناطق" الذى يمكن ملاحظة أعماله واستجوابه، وهو ما لا يتوفر في العلوم الدقيقة التي تضطر إلى اللجوء إلى الميكروسكوب أو إلى أدوات الملاحظة الجامدة المختلفة لفهم ما يدور فى عالم المادة غير قادرة على استجوابها بشكل مباشر كما هو الحال في العلوم الاجتماعية.

"فالملاحظة" التى بقيت في إطار الأدب والمسرح في ق١٧، بالرغم من أنها عودت الناس على اقتباس أسلوبها – فقد مهدت، من حيث لا تدري لولادة العلوم الاجتماعية بعد قرنين ولتبلورها في تقنيات منهجية دقيقة[2].

ثانياً: تعريف الملاحظة.

الملاحظة هى عبارة عن فحص السلوك المباشر عن طريق باحث أو مجموعة أشخاص يقومون بدور الملاحظين وتحتاج الظواهر المعقدة إلى درجة من التحليل، أو التركيب أو تفسير البيانات.

وفحص الظواهر، أو تسجيلها أو ترميمها طبقاً لهذا المعنى يمكن أن تصنف الملاحظة إلى مباشرة أو غير مباشرة، شخصية أو غير

شخصية، كما أن أي أسلوب لجمع البيانات يعتبر ملاحظة بما فى ذلك جمع البيانات من السجلات وبالتالي فالملاحظة كما هو واضح مما سبق تعتمد على الأسلوب العملي[٣].

كما أنها هى التكتيك المثالي الذي يمكن من خلاله أن يقتفيه الباحث لدى استعماله هذه الطريقة هو الدخول إلى الجماعة دون علم الجماعة به أو من دون علمها بقيامه بالدراسات الموضوعية حولها وهذا ما يساعد على نجاحه في الحصول على المعلومات الحقيقية غير المصطنعة من الجماعة التي يهدف دراستها. وفي حالات كثيرة يستعمل علماء الانثروبولوجيا هذه الطريقة في دراساتهم المدنية حول الشعوب والأقوام البدائية فيذهبون إلى هذه المجتمعات ويتعلمون لغاتها ويتصرفون بموجب عاداتها وتقاليدها وأخلاقها، ثم بعد ذلك يستطيعون الحصول على المعلومات الحقيقية التى يهتمون بجمعها[٤].

ثالثاً: استخدامات أسلوب الملاحظة.

تعتبر الملاحظة وسيلة هامة، فى البحوث الاجتماعية وذلك لتعدد استخدامها حيث تستخدم فيما يلي:

١. كوسيلة من وسائل تجميع البيانات ذلك لأنها تسهم إسهاماً أساسياً في البحث الوصفى وذلك لأهمية عملية الملاحظة.
٢. هناك معلومات يمكن أن يحصل عليها بالفحص المباشر وذلك عندما يكون الأمر متعلقاً بالأشياء المادية والنماذج وهي عملية تكون بسيطة نسبياً، وذلك عندما تكون الملاحظة بسيطة.
٣. دراسة الإنسان أثناء قيامه بعمله، وهذه العملية تعد أكثر صعوبة وتعقيداً، ومع ذلك فهى مهمة.
٤. تحليل النشاطات المتعددة المتعلقة بالمفحوصين، بواسطة وسيلة الملاحظة المنظمة لإجراء الملاحظة.

٥. المـذكرات التفصـيلية والخـرائط "الـتي تشـير إلى علاقـة البيئـة الجغرافية والسكان بطريقة توزيعهم وما يختص بالموارد الطبيعية"، لمعرفة أماكن تركز السكان وملاحظتهم.

٦. يستخدم أسلوب الملاحظة من خلال: استمارات البحث وهي التي تحتوي على قائمة بالمواد المطلوب ملاحظتها ويمكن التأشير عليهـا بكلمة "نعم" أو "لا" وتفيد هذه الاستمارات في إمكانية تحويـل معلومات إلى بيانات رقمية من أجل ملاحظة تتسم بالدقة.

٧. يستخدم أسـلوب الملاحظـة في نظـام الفئـات "وذلـك لتصـنيف السلوك إلى فئات تساعد الباحث على وصف المواقف الاجتماعية بطريقة كمية"(٥).

رابعاً: أنواع الملاحظة.

١- الملاحظة البسيطة:

يقصد بالملاحظـة البسـيطة عمليـة المعاينـة المباشـرة للظـاهرة موضوع البحث كما تحدث تلقائياً في ظروفهـا الطبيعيـة العاديـة دون تدخل من الباحث بهدف الضبط أو التجريب أو استخدام وسيلة من وسائل التقنية. وتعتبر الملاحظة البسيطة ملاحظة مقصودة لأن الباحث هناك رغم عدم تدخله يحدد مقدماً ما الذي يريد ملاحظتـه في الموقـف. وتنقسم الملاحظة البسيطة بدورها إلى نوعين أساسيين همـا: الملاحظـة بالمشاركة والملاحظة بدون المشاركة(٦).

أ- الملاحظة بالمشاركة:

وهي تتلخص في أن يعيش القائم بالملاحظـة مـع الأشـخاص المطلوب ملاحظتهم، لفترة زمنية طويلة نسبياً، قد تمتد إلى ما يقرب من العـام. وذلـك للتعمـق في فهـم خصائصـهم الاجتماعيـة والثقافيـة والسـلوكية... إلخ. وقـد اسـتخدمت هـذه الطريقـة في البحـوث

الأنثروجولوجية، لدراسة مجتمعات كلية، وثقافات، وأحياء من المدن، ومصانع وجماعات ذات أنواع مختلفة ويتعين على الملاحظ المشارك أن يبتعد عن التحيز لفئة من الفئات، فإن أراد دراسة المصنع مثلاً فإن عليه أن يدرس العمال والإدارة معاً، دون أن يتحيز إلى جانب معين، وهو يندمج في الواقع الذي يعيشه، ولكن يحاول قدر المستطاع أن يصوره بشكل موضوعي[٧].

ب- الملاحظة بدون المشاركة:

أسلوب آخر للبحث هو الملاحظة بدون المشاركة، فالباحث لا يشارك بنفسه في التفاعل ولكنه قد يلاحظ جماعة من الأطفال يلعبون في فناء المدرسة دون أن يعي الأطفال بوجوده كلية، وأيضاً قد يلاحظ سلوك الناس في الميدان في ساعة الذروة من وراء النافذة، فالباحث لا يتصل بالفاعلين حتى أن لا يبادلهم النظرات، كما أن الفاعلين يجهلون أنهم موضوع الملاحظة، وتقلل هذه الطريقة من الأثر المترتب على الوعي بوجود الباحث، ويتجنب الباحث التحيز الذي قد ينتج عن الانغماس في الجماعة ويحد وضع الباحث الملاحظ خارج الجماعة من فهمه للموقف ويعوق من ملاحظاته لتعبيرات الوجه وإدراكه للحوار والمحادثات التي تدور بين المتفاعلين في الموقف ويلاحظ الباحث الناس مباشرة ويتفاعل معهم وجهاً لوجه فهو يعرفهم وهم يعرفونه ويعون ويدركون وجوده والملاحظة المباشرة لا تحتاج إلى زمن مسبق لإجراء الملاحظة، فهى ملاحظة دقيقة في ذاتها.

والملاحظة أجدى وأنفع إذا ما وطد الباحث علاقته بالمواطنين، حين يقوم الباحث بدور الصديق المهتم بهم لا بدور الحكم غير المشارك والموجه للسلوك، حتى تتسم الملاحظة بالصدق، وتتطلب الملاحظة من الباحث تكرار مشاهدته، والقيام بزيارات متعددة لموقف

التفاعل، والاهتمام بالمتفاعلين في السلوك، والباحث عند ملاحظته لسلوك الجماعة لفترة طويلة قد يلاحظ السلوك الحركي أو حركات الذراعين والرأس أو تعبيرات الوجه بغية معرفة معدلات التفاعل الاجتماعى، وهو عندما يلاحظ السلوك الظاهر يضع نصب عينيه أن ما يقوله الناس ليس هو المهم، بل مدى التفاعل الاجتماعى بينهم فهذا هو الأهم، فعليه أن يلاحظ من الذي يسيطر؟ ومن الذي ينقاد؟ ومن هو الشخص الخاضع؟ ومن الذي يشاهد؟ ومن الذي ينصت؟

والباحث لا يهتم بالسلوك اللفظي فقط، بل يعطي القدر الأكبر لملاحظة الاستجابات غير اللفظية، مثل الابتسامة، وإيماءة الرأس، والتجهم، وكيفية تبادل التحية، وعلى الباحث ألا يهتم بأقوال الناس بل بما يفعلونه وما يبدو أنهم يشعرون به، وذلك مهم في عملية الملاحظة التي يقوم بها، ويستطيع الباحث من خلال الملاحظة أن يلاحظ متى ينفعل الناس أثناء الحديث اليومى، وما يتبع هذا الانفعال عادة، ويهتم بتحديد العلاقة بين الإيماءات وتعبيرات الوجه وحركات الأطراف بوصفها رموزاً تحدد أنماط الشخصية(٨).

٢- الملاحظة المنظمة:

يطلق عليها اسم "الملاحظة العلمية". حيث أن الملاحظة المنظمة هي كل ما يلاحظه الباحث بصبر وأناة للكشف عن تفاصيل الظواهر وعن الصلات الخفية التي توجد بين عناصرها، أو بينها وبين بعض الظواهر الأخرى. وهي تتميز عن الملاحظة الفجة بالدقة ووضوح الهدف الذي تريد تحقيقه فشتان بين ملاحظات الرجل العادي وبين ملاحظات العالم، فقد يلاحظان شيئاً واحداً، ولكنهما يفهمان ما يريان فهماً مختلفاً، فيعبر كل منهما عما يرى بلغة تختلف تماماً عن لغة الآخر.

ويحرص العلماء على أن تكون ملاحظاتهم غاية في الدقة، حتى تكون "موضوعية" أي مجردة من كل طابع أو تقدير شخصي، ولا يدل هذا الحرص الزائد من أن العلماء يحاولون التعبير دائماً عن ملاحظاتهم بأنها تستخدم أيضاً على "هيئة أرقام أو رسوم بيانية مضبوطة، حتى يستطيع غيرهم التأكد من صحتها. ولهذا نرى أن العلوم الطبيعية تستخدم الرياضة في التعبير عن الحقائق التى تهتدى إليها، كما نرى أن العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع وعلم الاقتصاد والسياسة تحاول محاكاة العلوم الطبيعية في استخدام الرياضة، في هذه الملاحظة.

إن كثيراً مما تم ذكره تحت عنوان الملاحظة البسيطة يصدق بالنسبة للملاحظة المنظمة والتي عادة ما تستخدم في الدراسات الوصفية أو في دراسات اختبار الفروض السببية. والفرق الجوهري بين الأسلوبين يرجع إلى أن الباحث في الدراسات المنظمة يعرف الجوانب الهامة التي لها صلة مباشرة بدراسته والتي تفيد بحثه، وهذا يجعله في موقف يسمح له بأن يصمم خطة لإجراء وتسجيل ملاحظاته قبل بدء جمع البيانات، وعملية الملاحظة المنظمة فهي هامة في البحوث الاجتماعية وتستخدم الملاحظة المنظمة في بحث الوحدات الصغيرة أو الحالات الفردية عندما يكون الفرض من البحث وصفياً أو تشخيصياً وذلك لعناصر الوحدة المطلوب دراستها، والتي تكون محددة المعالم قبل القيام بالملاحظة. وهذا لا يمنع من استخدامها في دراسة الوحدات الكبيرة، بشرط أن تسبقها دراسة استطلاعية بواسطة النوع الأول من الملاحظة، وفيها يركز الملاحظ دراسته على موقف اجتماعي واحد وليس مجموعة من الأحداث، وعلى سبيل المثال ملاحظة علاقة القائد بأتباعه، وتقدير الكفاية الإنتاجية، من أجل ملاحظه حاسمة.

وعموماً فالملاحظة المنظمة تستخدم في الحالات التشخيصية والوصفية وليس بغرض استطلاعي متشعب النواحي كما في حالة الملاحظة عن طريق المشاركة، كما تستخدم للوقوف على وجود حالة التعاون والتنافس بين أعضاء الجماعة موضع الملاحظة، وبالتالى فالملاحظة المنظمة موضوعية وعلمية[٩].

٣- الملاحظة غير المنظمة:

تعنى أن يذهب الباحث إلى مجال البحث بلا هدف محدد وتستخدم الملاحظة غير المنظمة في الأبحاث التمهيدية والاستكشافية قبل أن يحدد أهداف الملاحظة تحديداً واضحاً من أجل الاهتمام بملاحظته.

فالملاحظ يلاحظ كل شئ يحدث أمامه، حسب الموضوع، وهو يعطي اهتماماً أكبر لعمليات التفاعل والسلوك الاجتماعي وردود الأفعال إزاء اتجاهات معينة ولا يعطي اهتماماً للعمليات النفسية والبيولوجية للأشخاص في الموقف المراد ملاحظته.

وهو يحاول أن يسجل تتابع الأحداث، ويصف الموقف الإجمالي ويتقصى عن الفاعل الذي يقوم بأداء كل الأفعال، وهو يميز بين ما يلاحظه وبين ما يقدمه من تفسيرات وهو يستخدم ذهنه وذاكرته أمام المعلومات الغزيرة التي يجمعها، وهو لا يسلم بشئ مطلقاً ويتجنب الأفكار المبالغ فيها، في الموضوع الذي يقوم بعملية ملاحظته ويلاحظه.

وتعتمد الملاحظة على الوصف المركز للسلوك ولقد أثبتت دراسات متعددة في الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية فضائل المدخل الوصفي المركز، الذي يقدم لنا مجموعة خصبة من البيانات بدلاً من التركيز على مجال معين، كما يجمع الباحث عدداً كبيراً متبايناً من الحقائق، التي يستطيع أن يرى من خلالها سلوك الفاعلين، في مواقف

متباينة تعبر عن اتجاهاتهم وتعطي الوفرة في التفاصيل وضوحاً للنتائج حتى أنه يتعذر أن يصل إلى ها الوضوح من خلال طريقة أخرى.

ولما كان الباحث موجوداً أثناء التفاعل فإنه يستطيع أن يفهم عمليات السلوك وأنماطها فلا يحتاج إلى إعادة بنائها ليفهمها، كما يفعل الباحث الذي يستخدم المقابلة في هذه الحالة.

والملاحظة غير المنظمة تعتمد على المشاهدة العشوائية. فالباحث لا يستطيع أن يخضعها للتحليل العلمي، ومن ثم يصبح الباحث في شك من البيانات التي أمامه، وقد يتعرض لأنواع من الخطأ أثناء إجراء الملاحظة وتسجيل الحقائق وتفسيرها. وهذه الأخطاء ليست محددة، كما أن الباحث لا يستطيع أن يحدد مدى الثقة في البيانات التي يجمعها.

وتساعدنا الملاحظة على تكوين انطباع أولي عن سمات نمط الشخصية السائدة، وطريقة الحياة السائدة وطريقة أداء الناس لأدوارهم وطبيعة التفاعل الاجتماعي وتركيبات الجماعة، أو اتجاهات الناس نحو الملكية وحركات الناس، ثم يتبع بعد ذلك محاولة تفسير ما تشاهده العين تفسيراً اجتماعياً أو نفسياً أو تاريخياً[(١٠)].

خامساً : أبعاد موقف الملاحظة.

ويقسم إلى عناصر أساسية هي:

١. **المشتركون في الموقف**: وهو بُعد يهتم بتحديد العنصر البشري في موقف الملاحظة وهنا يتحتم على الباحث معرفة كل ما يرتبط بهم من خصائص مميزة كالعدد والسن والجنس ودور كل منهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وشكل تنظيمهم، وميكانيزمات وأشكال تفاعلهم[(١١)].

٢. **مسرح الحوادث:** وهو بُعد يهتم بالعنصر المكاني أو الأيكولوجي لموقف الملاحظة حيث يهتم الباحث بالخصائص المكانية للموقف الاجتماعي وأشكال السلوك المرتبطة بكل نموذج مكاني، فسلوك الأفراد في المقهى يختلف مثلاً في المسجد، أو في السوق، أو في المدرسة وهكذا حسب مسرح الحوادث(١٢).

٣. **الهدف من الموقف:** ويقصد به الكشف عن طبيعة تجمع الأفراد في موقف الملاحظة هل هو تجمع عارض أم تجمع يحقق هدفاً من الأهداف ثم ما هو طبيعة هذا الهدف ودرجة استجابة المشتركين لهذا الهدف(١٣).

٤. **السلوك والتفاعل الاجتماعي:** وهو بُعد يركز على النشاط أو سلوك أو تصرفات الأفراد كما يرتبط بطبيعة هذا السلوك هل هو سلوك عفوي أو سلوك مخطط وما هي أهداف هذا السلوك وموجهاته وخصائص السلوك وبشكل عام الاهتمام بإثارة السلوك(١٤).

٥. **انتظام الموقف وتواتره:** وهو يشير إلى البعد الزمني للموقف من حيث بدء حدوث هذا الموقف أو الفترة الزمنية التي يستغرقها الموقف المراد ملاحظته ودرجة تكراره أو تواتره ودرجة اتفاقه أو اختلافه عن مواقف أخرى وأخيراً العوامل، والظروف التي تؤدي أو تحول دون حدوثه.

سادساً: خطوات الملاحظة.

تمر عملية الملاحظة بعدة خطوات أو مراحل نجدها فيما يلي:

أ- تحديد وحدة الاهتمام:

يلاحظ الباحث عادة أنماطاً سلوكية، أو أفعالاً اجتماعية، ويتسبب في هذه الأمور فرد أو أكثر من الحياة، وتحدث هذه الأفعال لتأدية مهام ووظائف متميزة وتتصل بجانب أو أكثر من جوانب الحياة

الاجتماعية، ومن خلالها يستطيع خدمة موضوع البحث، ويقرر الباحث قبل أن يبدأ عملية الملاحظة بهدف جمع بيانات منظمة، ويحدد نوع وصفات وحدة دراسته، هل هي فرد واحد أو جماعة، وهل هذا الفرد أو الشخص يتصف بصفات معينة، كأن يكون ذكراً أو مدرساً في مدرسة.... إلخ. من خلال القيام بتحديد أبعاد الفعل الاجتماعي الذي ستدور حوله الملاحظة.

ب- تحديد أبعاد الفعل الاجتماعي الذي ستدور حوله الملاحظة:

وتشير هذه الخطوة إلى نوع الفعل الذي سيلاحظ والصفات الرئيسية للمشاركين في تكوينه وإلى المكان الذي سيتم فيه مثل: حجرة أو ساحة أو مصنع أو طريق... إلخ، على حسب إختيار الباحث، ويحتاج الباحث أيضاً إلى الاهتمام بإبراز، الهدف من وراء الفعل أو من وراء تجمع المشاركين في نشاط يومي عادي في حقل أو مصنع أو فى مدرسة أو حفل بمناسبة معينة أو مباراة رياضية أو أدبية... إلخ.

ج- تحديد نوع العلاقة بين الباحث وموضوع الملاحظة:

ويرتبط بهذا تحديد طبيعة العلاقة بين الملاحظ والأشخاص الذين يلاحظهم، ويرتبط بهذا تحديد طبيعة العلاقة بينهم وبين ملاحظة سلوكهم.

د- تحديد أسلوب أو وسيلة تسجيل الملاحظات:

ويشمل هذا إعداد برنامج واضح للكيفية التي سيتم بها تسجيل الأفعال أو الوقائع التي يمكن ملاحظتها والاهتمام بها، ويمكن أن توجه العناية إلى الزمن بحيث تسجل الوقائع بحسب ساعة حدوثها، منذ بداية الفعل أو النشاط الاجتماعي حتى نهايته، من خلال موقف الملاحظة وما يراد ملاحظته، وكذلك يتضمن البرنامج توجيهات للباحث ولمساعديه بطريقة تنظيم المادة التي تمت ملاحظاتها بحيث

يتفادى الوقوع في خطأ شائع وهو الخلط بين ما يجري من أفعال وبين تفسير الملاحظ لها، أي لهذه المواقف والأفعال المراد القيام بملاحظاتها.

كما يتضمن البرنامج وصفاً للخطوات التي سيتبعها الباحث لمراجعة ما سجله من خلال ملاحظات وتنسيقها بحيث تأتي مترابطة ومتعلقة ببعضها البعض، ولكي تخدم الملاحظة المراد القيام بها، وقد يتضمن مثل هذا البرنامج فقرة تتعلق بضرورة عرض البيانات المنسقة على عدد من الثقات أولاً بأول لمراجعتها وشرح معاني الأجزاء الغامضة للباحث(١٥).

سابعاً : وسائل تسجيل الملاحظة.

لكي يتمكن الباحث من تسجيل الملاحظة بشكل دقيق وموضوعي فلابد من استخدام أدوات متعددة، وذلك لتساعده في إجراء ملاحظات أكثر موضوعية، ولتساعد في تنظيم عملية جمع البيانات، ولذلك استخدم الباحثين الأساليب الآتية:

أ- بطاقات الملاحظة واستمارات البحث :

كثيراً ما يعد الباحثون بطاقات الملاحظة أو استمارات البحث لتيسير وتسهيل عملية تسجيل البيانات ويسجل في هذه الاستمارات مجموعة من البنود أو عوامل الملاحظة والمحددة بعناية. والتي تتعلق بالمشكلة، وتجمع في فئات إن أمكن، ويترك بعد كل بند مسافة للملاحظة التي تتعلق بالمشكلة، تكتب فيها كلمات وصفية قليلة، أو يبين وجوداً، وغياباً تكرار حدوث الظاهرة، المراد الاهتمام بها والقيام بملاحظاتها. وتساعد هذه الموجهات الباحثين على تسجيل ملاحظات مختلفة بصورة أسرع، وتضمن عدم إغفالهم أي دليل يتعلق بالمشكلة المراد ملاحظتها.

ب- العينة الزمنية:

تتطلب طريقة العينة الزمنية أن يسجل الفرد تكرار الصور الملاحظة للوقائع من خلال عدد من الفترات الزمنية المحددة، والموزعة توزيعاً منظماً. وقد دلت البحوث بصفة عامة على أن الملاحظات القصيرة المتعددة، والموزعة توزيعاً جيداً، تعطي صورة أكثر مطابقة للسلوك من فترات الملاحظة القليلة في عددها والتي يستغرق كل منها زمناً طويلاً، من أجل القيام بعملية ملاحظه.

ج- اليوميات السلوكية والسجلات القصصية:

تستخدم أحياناً في جمع البيانات بطرق أقل شكلية، مثال ملاحظة المفحوص طوال يومه في الدراسة، أو للصالة، أو المطعم أو في أي موقف أخر ملموس، وبذلك يستطيع الباحث أن يكتب تقريراً مفصلاً عن المفحوص يتجمع فيه بيانات كافية تبصره بنحو المفحوص وتطوره وتكيفه. ومهما يكن فإن قيمة السجلات القصصية تصبح ضئيلة، إذا لم يكن الملاحظون قادرين على تسجيل الوقائع المناسبة، بطريقة موضوعية، كما أنها تتطلب وقت كبير(١٦).

ثامناً: مزايا الملاحظة وعيوبها.

أ- مزايا الملاحظة:

١. أنها تسمح بتسجيل السلوك وقت حدوثه في الحال، كما أنها تسجل السلوك التلقائي ولا تترك المجال للاعتماد على الذاكرة، وبالتالي فالملاحظة من أدوات البحث الهامة.
٢. كثيراً ما يقوم الأفراد بأنماط من السلوك دون تفكير، وقد لا تكون لديهم القدرة اللغوية أو الكلمات المعبرة لهذا السلوك، بل لعلهم لا يجدون الأسباب التي يعللون بها هذا السلوك، ونجد أن الباحث

قد يتمكن من خلال ملاحظته من ملاحظة أشياء لا يستطيع غيره ملاحظتها.

٣. تكون الملاحظة عادة مستقلة وغير متأثرة برغبة الشخص الذي تجري عليه الملاحظة أو عدم رغبته، في المشاركة في العمل.

٤. تستخدم فى الحالات التي لا يتيسر فيها استخدام غيرها من الوسائل، مثل طرق الحل الجماعى للمشكلات أو للتفاعل الاجتماعى فى لعب الأطفال، فلا يمكن للباحث أن يستطيع النكوص للطفولة من أجل تصور تفاعلاتهم، ونجد أن للملاحظة العلمية حدودها، إذ على الباحث أن ينتظر وقوع الحدث حتى يقوم بملاحظته وتسجيل الانفعالات واتصالات الأشخاص بعضهم بالبعض الآخر. كما أن بعض العوامل قد تتدخل في حدوث بعض الأحداث فتمنعها من الحدوث، أو تغير مجرى الحوادث، ككل، والملاحظة في غالب أحيانها تعتمد على لغة الوصف وليس الأرقام(١٧).

ب- عيوب الملاحظة :

١. لا تستخدم في الحالات التي يصعب فيها التنبؤ مقدماً بحدوث السلوك موضع الدراسة.

٢. عدم تحديد السلوك الذي يريد الباحث ملاحظته.

٣. لا يتمكن الباحث من ملاحظة أشياء حدثت في الماضي ويهتم بها.

٤. أنها مقيدة بفترة الملاحظة. فإذا ما أردنا دراسة تاريخ حياة أي فرد لن نتمكن من ملاحظته مدى حياته.

٥. أن هناك من مظاهر السلوك ما تعجز عن ملاحظته مباشرة، كالسلوك الأسرى، والمشاكل العائلية الداخلية وما إلى ذلك من أمور تمتاز بالسرية.

٦. قد يتحيز القائم بالملاحظة فلا يسترعى انتباهه إلا كل غريب وكل شاذ.

٧. وقد يتحيز الباحث بأن يعطي تفسيرات للسلوك بدلاً من وصف السلوك نفسه، ولهذا يجب أن يدرب الباحثون، والقائمون على عملية الملاحظة، على القيام بالملاحظة والتسجيل دون تحيز ودون إصدار أي أحكام تشوه الحقائق[١٨].

المراجع المستخدمة

(١) فردريك معتوق، منهجية العلوم الاجتماعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٩، ص ٥٥: ٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩، ص ٣٠٧.

(٤) أحمد النكلاوي، طرق البحث الاجتماعية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢، ص٣٠٦.

(٥) أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، ط١١، ٢٠٠٨، ص٣٤٢.

(٦) محمد علي محمد، البحث الاجتماعي: دراسة في طرائق البحث وأساليبه، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص٣٢٥.

(٧) المرجع السابق، ص ٣٣٦.

(٨) محمد سعيد فرح، الشخصية القومية، الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٩، ص ١٣٣.

(٩) محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٠، ص ٨٤.

(١٠) محمد سعيد فرح، لماذا؟ وكيف؟ تكتب بحثاً اجتماعياً، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٠، ص ٢٣٧.

(١١) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(١٢) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(١٣) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(١٤) علي عبد الراز ق جلبى، آخرون، البحث العلمي الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٥، ص ٢٥٥.

(١٥) مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، القاهرة، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٩، ص ٢٢١.

(١٦) ديوبولدن خان دالين، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة: محمد نبيل نوفل، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٩، ص ٤٢٣.

(١٧) محمد سعيد فرح، لماذا؟ و كيف؟ تكتب بحثاً اجتماعياً، مرجع سابق، ص ٢٤١.

(١٨) غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨، ص ٢١٣: ٢١٥.

فهرس